الهيئة المصرية العامة للكتاب
سلسلة الجوائز

سلسلة الجوائز
٨٦

رواية

أورسولا كى لى جوين

لافينيا

ترجمة: لنا عبد الرحمن
مراجعة: مصطفى محمود

• الكاتبة:

أوروسولاكى لى جوين. كاتبة وشاعرة أمريكية.

• ولدت فى أكتوبر عام ١٩٢٩، فى بيركلى بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

• كتبت الرواية والشعر والقصة والمقالة كما أنها كتبت للطفل.

• درست فى فرنسا، واهتمت بالأدب منذ الصغر، وبحثت فى أعمالها.. الطاوية والاثنية والسيكولوچية النسوية والموضوعات الاجتماعية.

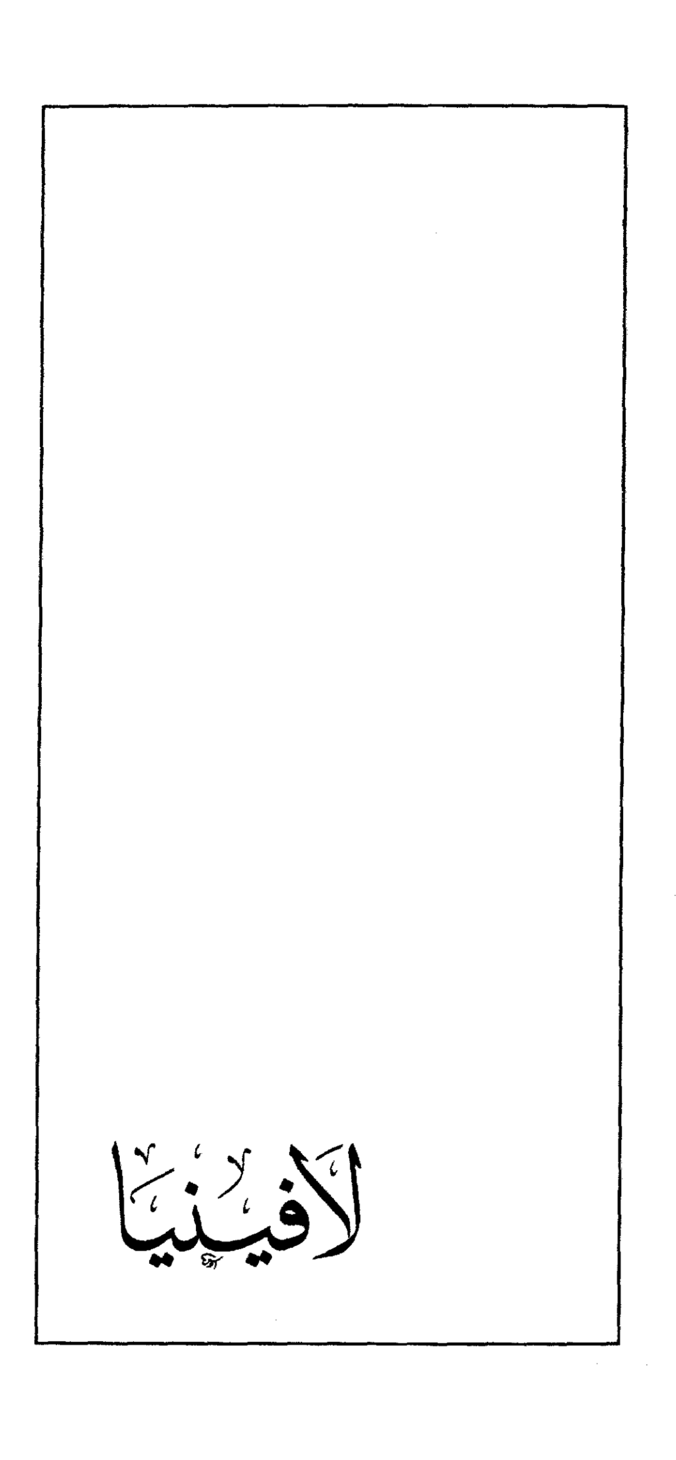
• لاقت روايتها الأولى "اليد اليسرى للظلام" رواجًا كبيرًا وتوالت نجاحاتها الأدبية. فحازت العديد من الجوائز الأدبية طوال مشوارها الإبداعى من أهمها.. "جائزة مكتبة الكونجرس للفنانين والكتاب" عام ٢٠٠٠، و"جائزة بن / مالامود" عن التفوق فى بناء التخيل الروائى عام ٢٠٠٢، و"جائزة ديمون نايت التذكارية الكبرى" لكتاب الخيال العلمى والفانتازيا عام ٢٠٠٣.

الجائزة:

جائزة ديمون نايت التذكارية الكبرى.

أو الجائزة الكبرى لكتاب الخيال العلمى والفانتازيا.

وهى جائزة سنوية يمنحها الاتحاد الأمريكى لكتاب الخيال العلمى والفانتازيا، وهى تُمنح لمؤلف على قيد الحياة عن إنجازاته طوال حياته فى مجال الخيال العلمى والفانتازيا، وهى جائزة رسمية تختلف عن جائزة "نيبولا" على الرغم من أنه يتم منحها فى احتفالية "نيبولا"، وقد كانت تُعرف باسم "الجائزة الكبرى"، ولكن ابتداءً من عام ٢٠٠٢، أُعيد تسميتها تكريمًا للراحل "ديمون نايت" مؤسس الاتحاد الأمريكى لكتاب الخيال العلمى والفانتازيا، وقد فازت بها الروائية "أورسولاكى لى جوين" فى دورة ٢٠٠٣، عن إسهاماتها فى الخيال العلمى الناعم فى العلوم الاجتماعية والأنثروبولوچيا.


لافينيا

ليجوين، أورسكولاكى .

لافينيا: رواية/ تأليف: أورسولاكى ليجوين؛ ترجمة: لنا عبد الرحمن؛ مراجعة: مصطفى محمود. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١ .

٤٢٤ ص ؛ ٢٢ سم .

تدمك ١ ٧٧٠ ٤٢١ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ القصص.

أ ـ عبد الرحمن، لنا . (مترجم)

ب ـ محمود، مصطفى. (مراجع)

ج ـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٥٠١/ ٢٠١١

I. S. B. N 978 - 977 - 421 -770 - 1

ديوى ٨٠٨,٨٣



رواية

أورسولا كى لى جوين

ترجمة: لنا عبد الرحمن

مراجعة: مصطفى محمود



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١١

• الكتاب: **لافينيا**

Lavinia

• تأليف: **أورسولا كي لى جوين**

Ursula K. Le Guin

• ترجمة: **لنا عبد الرحمن**

• مراجعة: **مصطفى محمود**

• يصدر هذا الكتاب باللغة العربية بإذن خاص من المؤلفة للهيئة المصرية العامة للكتاب.

• الطبعة الأولى ٢٠١١.

• طبع فى مطابع الهيئة المصرية للعامة للكتاب.

ذهبت إلى الضفاف المالحة عند مصب النهر فى شهر مايو، عندما كنت فى التاسعة عشرة من عمرى، لجمع الملح اللازم للوجبة المقدسة، وأتت معى تيتا ومارونا". وأرسل أبى معنا عبداً من المنزل القديم وغلاماً مع الحمار ليحمل الملح إلى البيت، فالمكان يبعد بضعة أميال عن الشاطئ، لكننا أمضينا طيلة الليل فى نزهة، نُحمل الحمار الصغير المسكين بالطعام، فقد استغرقنا طوال النهار للوصول إلى هناك، وأقمنا معسكراً على التل العشبى فوق شاطئ النهر والبحر. تناولنا نحن ـ الخمسة ـ العشاء حول النار وحكينا الحكايات، وغنينا الأغنيات، بينما الشمس تهبط فى البحر، وتحول الشفق الأحمر لشهر مايو إلى اللون الأزرق الذى ازدادت زرقته شيئاً فشيئاً، ثم نمنا جميعاً تحت نسيم البحر.

استيقظت مع ظهور أول شعاع ضوء، فيما استمر الباقون فى نومهم. وكانت الطيور على وشك البدء فى تغريدها عند الفجر. استيقظت ومضيت إلى فم

النهر. أخذتُ قليلاً من الماء فى يدى وتركته يتسرب قبل أن أشرب منه وأنا أردد اسم النهر: "تايبر"، الأب ايبر، وأسماءه السرية القديمة أيضاً، "اكبو" وروممون، ثم شربت ولعقت المذاق نصف المالح للماء. كانت السماء مضيئة بما يكفى لأن أرى الموجات الطويلة على حافة الشاطئ، حيث التيار يقابل المد القادم.

وفيما وراء البحر المعتم، رأيت سُفناً - خط من السفن السوداء العظيمة - تأتى من الجنوب، وتتحرك باتجاه فم النهر. وعلى كل جانب من جانبى السفينة مجاديف تصطف ثم ترتفع وتنخفض لتضرب الماء مثل جناحين فى ضوء الفجر. سفينة تلو أخرى تشق الأمواج عند الحاجز، ترتفع وتنخفض لتأتى مباشرة نحو مصب النهر. كان منقارها الثلاثى المحنى الطويل مصنوعاً من البرونز.

انحنيت على جانب الماء فى الوحل المالح. السفينة الأولى دخلت إلى النهر، وأتت خلفى سوداء تتحرك بثبات من خلال ضربات هادئة ثقيلة للمجاديف على الماء. كانت وجوه الرجال على المجاديف مكسوة بالظلال، لكن أحد الرجال وقف باتجاه السماء على الجانب الأعلى لمؤخرة السفينة، يتطلع إلى الأمام. كان وجهه متجهماً، لكنه غير حذر، إنه يتطلع إلى الأمام فى الظلمة ويصلى، وعرفت من هو.

ومع مرور الوقت مرت من جانبى آخر السفن بتلك الضربات القوية والناعمة واندفاع المجاديف، ثم

اختفت وراء الغابة الكثيفة على كلتا الضفتين. كانت الطيور تغرد بصوت عال فى كل مكان، والسماء مشرقة فوق التلال الشرقية. تسلقت عائدة إلى معسكرنا. ولم يكن أحد مستيقظاً، فقد مرت السفن إلى جانبهم وهم نائمون.

لم أقل لهم شيئاً عما رأيته، ومضينا إلى أكوام الملح وحفرنا ما يكفى فى الطمى الرمادى المتجمد لعمل الملح بما يكفينا لاستخدام عام كامل، وحملناه فى السلال على ظهر الحمار متجهين نحو البيت.

لم أدعهم يتأخرون، رغم أنهم اشتكوا وتباطأوا قليلاً لكننا وصلنا البيت قبل حلول الظهيرة.

ذهبت إلى الملك وقلت: "أسطول ضخم من السفن الحربية، مضت إلى جانب النهر عند الفجر ياأبى". نظر إلى وكان وجهه حزيناً وكل ما قاله: "سريعاً، سريعاً جداً".

عرفت من أكون، أستطيع أن أخبرك من يمكن أن أكون. ولكنى الآن فقط فى هذا السطر من الكلمات أنا أكتب. أنا لست متأكدة من طبيعة وجودى وأتعجب أن أجد نفسى أكتب. أتكلم اللاتينية بالطبع، لكن هل أنا تعلمت كتابتها من قبل؟ هذا يبدو غير محتمل. لاشك فى أن امرأة أخرى تحمل اسمى "لافينيا" قد وُجدت، لكنها مختلفة تماماً عما أفكر به عن نفسى أو عن فكرة شاعرى عنى، وهذا هو ما أربكنى فى التفكير بشأنها. فكما أعرف، فقد كان شاعرى هو

الذى أعطانى وجوداً واقعياً على الإطلاق، وقبل أن يكتب كنت أكثر الشخصيات غموضاً، تقريباً لست أكثر من اسم فى سلسلة الأنساب، لقد كان هو الذى أعادنى إلى الحياة، إلى نفسى، وكذلك جعلنى قادرة على تذكر حياتى ونفسى التى عشتها بحيوية وبكل أنواع العواطف التى أشعر بها، قوية حينما أكتب ربما لأن الأحداث التى أتذكرها جاءت إلى الوجود حينما كتبتها أو كما كتبها هو. لكنه لم يكتبها. لقد استخف بحياتى فى شعره وسطحها، لأنه توصل إلى معرفة من أكون فقط حينما كان يحتضر. لذا لا لوم عليه. لقد كان الوقت متأخراً بالنسبة إليه أن يدخل الإصلاحات ويعيد التفكير ويكمل أنصاف السطور ويتمم القصيدة التى ظن أنها لم تكتمل. لقد حزن من أجل ذلك، أعرف أنه حزن من أجلى. حيثما يكون هو الآن أسفل عبر الأنهار المظلمة ربما يخبره شخص ما أن "لافينيا" تحزن من أجله.

أنا لن أموت. وأنا متأكدة تماماً من ذلك. لقد كانت حياتى كلها مصادفة من غير المتوقع أن تقود إلى أى شىء مطلق مثل الموت، فأنا لم يكن لدى فناء حقيقى.

لكن بدون شك أنا سوف أفنى فى النهاية، وأضيع فى النسيان، كما كنت سأفعل منذ زمن بعيد لو لم ينتشلنى الشاعر إلى الوجود. ربما كنت سأصبح حلماً زائفاً يصفق مثل خفاش تحت أوراق شجرة على بوابة العالم السفلى، أو بوم يطير فوق غابة السنديان

المظلمة فى "ألبونيا". لكننى ما كان لى أن أفصل نفسى عن الحياة وأمضى إلى أسفل فى الظلام كما فعل، الرجل المسكين، أولاً فى خياله ثم على هيئة شبحه الخاص. لقد كان علينا نحن ـ الاثنين ـ أن نستمر إلى ما بعد حياتينا، لقد قال لى ذات مرة إن هذه هى الطريقة لفهم ما قد قال. لكن هذا التأخير المتوانى المخيم فى العالم السفلى ينتظر النسيان أو الولادة من جديد. وهذا ليس وجوداً حقيقياً أو حتى نصف حقيقى، حيث إن وجودى هو ما أكتب وتقرأه أنت، ولا يوجد مكان يقترب من الحقيقة مثل هذه الكلمات. الكلمات الرائعة المزهرة التى عشت فيها لقرون.

إن الجزء الخاص بى من هذه الكلمات، هى الحياة التى منحنى إياها فى قصائده، حياة معتمة جداً، ما عدا اللحظة التى أمسكت النيران فى شعرى، ولم يكن لحياتى لون حتى اللحظة التى تلطخت فيها خدودى العاجية بلون الصبغ القرمزى. لذلك فأنا فى العادة لا أحتمل المزيد من هذا. فإذا كان يتحتم على أن أمضى قرناً بعد قرن، فلابد أننى سأتمكن ذات مرة من الخروج والكلام: لم يسمح لى بالتفوه بأية كلمة. ينبغى على أن آخذ الكلمة منه. منحنى حياة طويلة، لكنها مختصرة. أحتاج لمكان لى، أحتاج هواءً نقياً. روحى تصل إلى الغابات القديمة لبلدى إيطاليا، نحو التلال المشمسة، إلى أعلى حيث رياح البجع، والغراب ينعى الحقيقة. كانت أمى مجنونة، لكننى لم أكن كذلك. كان أبى عجوزاً لكننى كنت شابة. ومثل

هيلين الإسبارطية تسببت فى الحرب. لكن هيلين تسببت فى الحرب عندما تركت الرجال الذين يريدون أخذها يفعلون. أما أنا فقد تسببت فى الحرب لأننى لم أرغب فى أن أُمنح أو أن أؤخذ عنوة. لكننى أردت أن أختار رجلى وقدرى، الرجل كان معروفاً، أما قدرى فقد كان مبهماً، ليست معادلة سيئة.

وأحياناً أعتقد بالطريقة نفسها أننى ميتة منذ زمن طويل، وأننى أبوح بالقصة من مكان ما فى العالم السفلى لا نعرف عنه شيئاً - مكان مخادع نظن فيه أننا مازلنا أحياء، أننا نتقدم فى السن، ونتذكر ما حصل معنا عندما كنا يافعين، حين اندفع سرب النحل، وأمسكت النيران بشعرى، حينما جاء الطرواديون. وبعد ذلك كله كيف كان من الممكن أن نتكلم مع بعضنا البعض. أتذكر الأجانب فى الجانب الآخر من العالم، يبحرون نحو نهر "تايبر" داخل البلد التى لا يعرفون عنها شيئاً. جاء مبعوثهم إلى بيت أبى، وقال إنه "طروادى"، خاطبه بطريقة مهذبة، وبلغة لاتينية سليمة. كيف حدث ذلك؟ هل نحن نعرف كل اللغات؟ أيكون صحيحاً بالنسبة إلى الأموات، الذين يكون موطنهم بعيداً تحت الأرض، وتحت كل الأراضى الموجودة؟ كيف من الممكن لك أن تفهم لغتى، أنا التى عشت منذ مايقارب من ٢٥ أو ٣٠ قرناً مضى، هل تعرف اللاتينية؟

لكن لا، فما من شىء من الممكن عمله مع الموت، ليس الموت هو الذى يجعل أحدنا قادراً على فهم الآخر ولكنه الشعر.

لو أنك التقيت بى حين كنت فتاة شابة فى منزل والدى ستظن بأن شاعرى رسم صورة باهتة لى، كما لو أنه نقشها بقلم نحاس على طاولة من الشمع، تعرض بوضوح: فتاة، ابنة ملك، عذراء فى عمر الزواج، عفيفة، مطيعة، وجاهزة لاستقبال رجل، كما الحقل فى الربيع يكون جاهزاً للحرث.

لم أقم بالحراثة أبداً لكننى ظللت طوال حياتى أراقب مزارعينا وهم يقومون بذلك. الثور الأبيض يسير مجهداً، ويتقدم إلى الأمام تحت المقود، بينما الرجل يجذب العارضة الخشبية الطويلة كما لو أنها تقاوم شفرة المحراث كى لا تتحرك فى التربة التى تبدو مستسلمة وجاهزة للحرث وفى الوقت نفسه قاسية ومغلقة. كان يندفع بكل ما أوتى من قوة ليحرث الأرض حتى العمق الذى يتمكن منه، وذلك كى تلتقط الأرض حبوب الشعير. يعمل بجد حتى ينهكه التعب، ويصير كل ما يرغب فيه أن يلقى بجسده ليرتاح على صدر أمه الأرض بين الحجارة، أما أنا فلدى أم قاسية أيضاً. فالأرض من الممكن أن تأخذ المزارع بين ذراعيها، وتدعه ينام بعمق مشابه لنوم حبوب الشعير، لكن أمى لم تكن تأخذنى بين ذراعيها على الإطلاق.

كنت صامتة إذ لو تكلمت بوضوح، لو كشفت عن إرادتى، ستتذكر أمى دائماً أننى التى نجوت، وليس أخواه اللذان اختطفهما الموت. وقد عانيت المرارة من هذا الأمر. كنت فى السادسة من عمرى عندما ماتا. الصغير "لاتينوس" والطفل الرضيع "لورينوس" كانا

أكثر ما أحب، كانا شُغلى الشاغل. كنت ألعب معهما وأهيم بهما حباً. تراقبنا أمى "أماتا" وتبتسم وفى يدها مغزل يرتفع وينخفض بين أصابعها. لم تكن تتركنا مع مربيتنا "فيستينا"،أو مع سائر النساء كما تفعل الملكة، بل تبقى معنا طوال النهار، وبكل حب. فى الغالب كانت تغنى لنا ونحن نلعب، وفى بعض الأحيان تتوقف عن الغزل وتخطو نحونا فجأة، تأخذ بيدى وبيد لاتينوس وترقص معنا، وكنا نضحك جميعاً بسرور. كانت تنادى الولدين بكلمة "أحبائى المحاربين" وأذكر أنها كانت تنادينى بالكلمة ذاتها، لأنها كانت تشعر بسعادة غامرة وهى تناديهم "بالمحاربين". كانت سعادتها هى سعادتنا أيضاً.

وأصبنا بمرض ما، فى البداية الطفل الرضيع، ثم لاتينوس بوجهه المستدير الأحمر وأذنيه الكبيرتين وعينيه الصافيتين، ثم مرضت أنا. أتذكر الأحلام الغريبة التى راودتنى خلال مدة الحمى طار نحوى جدى نقار الخشب، ونقر رأسى فبكيت من شدة الألم. وفى خلال شهر أو أكثر تحسنت كثيراً واستعدت عافيتى من جديد.

أما أخواى فقد ظلت نوبات الحمى تنتابهما بين حين وآخر. أصبحا شديدى الهزال، وتدهورت حالتيهما. فى بعض الأحيان كان يبدو كما لو أنهما فى طور التحسن. "لورينوس" يبدو متلهفاً لرعاية أمى والبقاء على صدرها. وكان "لاتينوس" يقفز خارج السرير ليلعب معى. لكن الحمى كانت تعود ثانية

وتتمكن منهما. وفى إحدى الأمسيات أصابت "لاتينوس" تشنجات شديدة متلاحقة. كانت الحمى كما لو أنها كلب يدفع فأرًا إلى الموت، كان يرتعش ارتعاشة الموت، وريث العرش الذى كانت تتعلق عليه آمال مملكة "لاتيوم"، رفيق طفولتى، أخى الحبيب. وفى تلك الليلة نام الأخ الصغير بسهولة، كانت الحمى قد هدأت تماماً، وفى الصباح مات بين ذراعى وهو يلهث مرتعشاً مثل قطة صغيرة. ومنذ ذلك الحين أصاب أمى الجنون من الحزن.

ولم يفهم أبى أبداً أنها قد أصيبت بالجنون.

لقد حزن بمرارة على فقدان ولديه. كان رجلاً ذا مشاعر دافئة، يرى فى ولديه انعكاساً لصورته، بكى من أجلهما بصوت مرتفع فى البداية ثم مع مرور الوقت ولسنوات ظل يبكى بصمت، لكن أبى وجد عزاءه فى القيام بواجباته كملك، وفى الطقوس التى كان ينبغى عليه إتمامها، الشعائر المكررة التى تؤكد على سكينة الأرواح القديمة لعائلته فى المنزل. كنت أنا أيضاً عزاءً له لأننى أتممت معه الطقوس كلها، كما ينبغى لابنة ملك أن تفعل، هو أيضاً أحبنى جداً، كنت مولودته الأولى، التى جاءت إليه بعد وقت؛ لأن أبى كان يكبر أمى بسنوات كثيرة.

كانت فى الثامنة عشرة عندما تزوجها، وكان هو فى الأربعين. هى أميرة روتالية من أرديا، وهو ملك على لاتيوم كلها. كانت جميلة، عطوفة، وشابة، وهو كان رجلاً لا يضاهى، وسيماً، وقوياً، ومحارباً منتصراً،

محباً للسلام. لقد كانا متناظرين ذلك التناظر الذى تحول تماماً.

لم يلق عليها أبداً باللوم لموت الولدين، ولم يلمنى لأننى لم أمت. تقبل أبى خسارته ورضى بما بقى له معلقاً آماله علىّ. كان الشيب يزداد فى شعره عاماً تلو الآخر، وتزداد كآبته، لكنه لم يصبح قاسياً على الإطلاق، ولم يضعف أبداً، ظل قوياً فى كل شىء فيما عدا أمر واحد: لقد ترك أمى تفعل ما تريده، ينظر بعيداً عندما تتصرف برعونة، ويصمت حين ترفع صوتها عالياً.

إن حزنها العميق لم يجد تجاوباً إنسانياً. فقد تُرِكت مع زوج لم يكن بمقدوره أن يسمعها أو يتكلم معها، وابنة باكية فى السادسة من عمرها، ومع كثير من النساء الخائفات والخانعات، امرأة مرعوبة وخائفة كما ينبغى أن يخاف الخدم والعبيد الذين كان من الممكن أن يُعاقبوا على موت الطفلين.

كانت تحس نحوه بالازدراء فقط، وتحس نحوى بالغضب.

مازلت أذكر كل مرة لمست فيها يد أمى، أو جسمها، أو حين لمستنى هى، منذ موت أخوى. كما أنها لم تنم ثانية على السرير ذاته الذى جمعها بوالدى حين حملت بنا.

بعد مرور عدة أيام على بقائها قابعة فى غرفتها، خرجت وقد بدا عليها أنها تغيرت قليلاً.

مازالت مشرقة بشعرها الأسود اللامع، ووجهها حليبى اللون. كانت تحركاتها شديدة الكبرياء. وكان سلوكها مع العامة فيه شىء من التباعد والرفعة. أجادت تأدية دور الملكة بينهم، وكنت أتعجب كيف كانت مختلفة تماماً مع الرجال الذين يتجمعون فى بيت الملك، عنها عندما تكون فى رفقتنا تغنى أو تضحك أو ترقص أو تغزل معنا. كانت تصرفاتها مع سكان البيت متصلبة وعنيدة وساخنة الطباع، لكنهم أحبوها جميعاً، فقد كانت سخية معهم. الآن صارت لا مبالية بالجميع، حتى بنا لكن حين أتكلم أنا أو حين يتكلم أبى كنت أرى على وجهها أمارات الاشمئزاز والازدراء والغضب الشديد، قبل أن تشيح بوجهها بعيداً عنا.

ارتدت حول رقبتها قلادتى الطفلين، القلادتين اللتين تحملان الأحجبة داخلهما، أحجبة مصنوعة على شكل قضيب ذكرى من الطين، كان الولدان يرتديانها لجلب حسن الطالع والحماية. تركت الأحجبة مختومة بالغطاء الذهبى ومخبأة تحت ثيابها، ولم تكن تخلعها على الإطلاق.

كان الغضب الذى تخفيه عن الجموع، تُظهره حين تكون فى جناح النساء بخاصة عندما تكون فى ذروة غضبها منى. إن اسم التدليل الذى كان الناس ينادوننى به، الملكة الصغيرة تحديداً، أزعجها جداً، وسرعان ما توقفوا عن مناداتى بهذه الكلمة. لم تكن تتكلم معى أبداً، وإن حدث وقمت بتصرف ما يزعجها، تنهرنى بصوت مرتفع قائلة "غبية، بشعة، جبانة".

كانت تقول: "أنت خائفة منى وأنا أكره الجبناء" . كان حضورى فى بعض الأحيان يسبب لها نوبة من الجنون. كانت تدفعنى بعنف وتهزنى من جسدى حتى يتأرجح رأسى إلى الأمام والوراء. فى إحدى المرات دفعها الغضب إلى أن تنشب أظافرها فى وجهى. أبعدتنى فيستينا من أمامها، أدخلتها إلى غرفتها وحاولت تهدئتها، ثم أسرعت إلى لتغسل وجهى وتمسح عن وجنتى آثار الدماء. كنت فى حالة من الصدمة جعلتنى عاجزة عن البكاء، لكن فيستينا كانت تبكى وهى تضع لى المرهم على الخدوش وتقول لى وسط دموعها: "إنها جروح طفيفة، لا تخافى، أنا واثقة أن هذه الجروح سطحية وستزول" .

جاء صوت أمى من غرفتها هادئاً يقول: "هذا جيد" . طلبت منى فيستينا أن أقول للناس إن القطة قد خدشتنى. وحينما رأى أبى وشاهد الخدوش على وجهى، وطلب أن يعرف ما حدث قلت له: إن قطة سيلفيا الكبيرة قامت بخدشى. كنت أمسكها بين يدى بشدة، حين مر كلب صيد من أمامنا فأصابها خوف شديد وقامت بخدش وجهى. هذا لم يكن خطأها. كدت أصدق الحكاية ـ كما يفعل الأطفال ـ بل إننى زينتها بالتفاصيل والظروف المناسبة. مثل أننى كنت وحيدة عندما حدث ذلك فى بستان أشجار السنديان قرب مزرعة تيروس، وقد ركضت عائدة إلى البيت. كررت عبارة أن سيلفيا لم تكن هى الملومة ولا القطة. فلم أرغب فى أن أسبب الأذى لأى منهما. فالملك كان

سريع العقاب. وهذا ما خفف من قلقهما. كانت "سيلفيا" صديقتى الحميمة ورفيقتى فى اللعب، أما القطة فقد كان لديها قطط رضيعة ولدتها حديثاً، ومن الممكن أن يموتوا إن أُبعدت عنهم، لذلك فقد تعين أن تكون غلطتى بمفردى التى تسببت فى إصابة وجهى بهذه الخدوش. كما أن فيستينا كانت على حق، فالمرهم المهدئ جيد المفعول، حيث التحمت الخدوش وشفيت ولم تترك أية ندوب، فيما عدا خط خفيف لامع على خدى الأيسر تحت العين. وجاء اليوم الذى سألنى فيه آينيس وهو يمرر أصبعه على الأثر المتبقى: "ما هذا"؟ قلت: "القطة خدشت وجهى، كنت أمسكها حين قام كلب بإخافتها".

أعرف أنه سيكون هناك ملوك عظماء لممالك عظيمة أكثر من لاتينوس مملكة أبى. "أعلى النهر وعلى التلال السبعة" كان يوجد مكانان صغيران حصينان لهما أسوار قذرة، جانيكلم وساتورينا، فيما بعد جاء بعض المستوطنين اليونان، وبنوا مكانهما على جانب التل، وأطلقوا على حصنهم ومدينتهم اسم بالانتيوم. حاول شاعرى أن يصف لى ذلك المكان كما عرفه حينما كان حياً، أو كما سيعرفه عندما يكون حياً. ينبغى على القول، على الرغم من أنه كان يحتضر حين أتى إلىّ، وأنه الآن ميت منذ زمن طويل، فهو لم يكن قد ولد بعد. كان من بين أولئك الذين ينتظرون على الجانب الآخر البعيد من النهر المنسى. هو لم ينسنى بعد، لكنه سيفعل، عندما تأتى لحظة

ولادته ويبحر عبر المياه الحليبية. عندما تخيلنى أول مرة ما كان يعرف بأنه سيلتقى بى بعد ذلك فى غابة ألبونيا. على أية حال، لقد أخبرنى بأنه سيأتى زمن على المكان حيث توجد القرية الآن والتلال السبع وكل ضفاف النهر، تغطيها على مسافة أميال مدينة تفوق الخيال. سوف تكون هناك عند أعلى التل معابد من الرخام مرصعة بالذهب، وبوابات عليها أقواس واسعة، وأشكال لا حصر لها من البرونز والمرمر، وسيمر فى يوم واحد الكثير من الناس فى ساحة تلك المدينة، أكثر مما سوف أراه فى حياتى، فى كل البلدات والمزارع، وفى كل الطرقات، وفى الاحتفالات، وساحات المعارك فى مملكة لاتيوم. سوف يصبح ملك تلك المدينة أعظم حاكم فى العالم، سيكون عظيماً إلى حد أنه سيستغنى عن اسم الملك، سيكون معروفاً بأنه الشخص الذى جعلته القوة المقدسة عظيماً. جميع الشعوب، فى كل البلدات سينحنون له، ويقدمون فروض الولاء. صدقت ذلك لأننى أعرف أن شاعرى يقول الحقيقة دائماً. فلا يوجد شاعر يمكنه أن يتحدث بالحقيقة الكاملة.

لكن حين كنت بنتاً صغيرة، كانت مدينته العظيمة، مدينة صغيرة بدائية، مشيدة على صخور منحدرة، مليئة بالكهوف التى تنمو فيها أشجار سميكة ومنخفضة. ذهبت إلى هناك ذات مرة برفقة والدى، أبحرنا فى النهر مدة يوم مع الرياح الغربية. كان هناك الملك إيفاندر، وهو حليف لنا. كان منفياً من

اليونان، ويعانى هنا أيضاً بعض المتاعب. فقد قام بقتل ضيف له. كانت لديه أسبابه ومبرراته، لكن مثل هذا الفعل لم يكن ليُنسى من شعب بلدى؛ لذا كان شديد الامتنان للخدمة التى أسداها له أبى فقام بأقصى ما يمكنه القيام به ليحسن ضيافتنا. كانت حياته متواضعة جداً مقارنة بالحياة التى يعيشها مزارعونا الأثرياء. كانت "بالانتيم" مكاناً معتماً محجوزاً تحت الأشجار ما بين النهر الأصفر الواسع وتلال الغابات. وعلى الرغم من أنهم قدموا لنا وليمة من عدة أنواع من لحوم البقر والغزلان، لكنهم قدموها لنا بطريقة فى منتهى الغرابة. كان علينا أن نتكئ على مقاعد ممتدة أمام طاولات صغيرة، وذلك بدلاً من أن نجلس جميعنا على مائدة واحدة طويلة، وهذا التصرف كان عادة يونانية، كما أنهم لم يضعوا الملح المقدس والطعام على المائدة، وهذا ما أزعجنى طوال وقت المأدبة.

أخبرنى بالاس ابن ايفاندر - وهو ولد لطيف كان فى مثل عمرى أحد عشر أو اثنى عشر عامًا حينئذ - قصة رجل يشبه الحيوان اعتاد أن يعيش هناك فى أحد الكهوف يخرج منها عند الفجر ليخطف قطعان الماشية ويقطع الناس إرباً. كان نادراً ما يشاهده أحد، ولكنه ترك آثار أقدام غائرة، ثم جاء البطل اليونانى الذى يدعى "إيركليس" وقتل الرجل الوحش. سألته "ماذا كان اسمه؟" أجابنى بالاس: كاكوس. وعرفت أن هذا يعنى "إله النار"، قائد مستعمرة القبيلة الذى

احتفظ بـ"فيستا" آلهة النيران مشتعلة من أجل الناس المجاورين. قام بذلك بمساعدة بناته، تماماً كما فعل أبى. لكننى لم أرغب فى نقض الحكاية الإغريقية عن الرجل الوحشى، التى كانت أكثر تشويقاً من حكايتى.

سألنى بالاس إن كنت أود مشاهدة وكر الذئبة؟ قلت نعم، فقادنى إلى كهف يدعى لوبريكال على مقربة من القرية تماما. قال إن هذا المكان مقدس عند "بان"(*) وهو يبدو أنه هو ما أسماه جدنا فاونوس. وعلى أية حال فإن المستوطنين تصرفوا بحكمة حين تركوا الذئبة، وجراءها، ولم يقوموا بإيذائهم، وهى أيضاً تركتهم وشأنهم، حتى أنها لم تقم بإيذاء كلابهم، على الرغم من أن الذئاب تكره الكلاب جداً. ويوجد الكثير من الغزلان عند التلال من أجلها، تفترسهم الذئبة للحصول على طعامها. أما الآن فى الربيع، ربما تأخذ أحد الخرفان. كانوا يقدمون لها الخراف كأضحية وحين لا تقوم هى بأخذ الخروف كانوا يقدمون لها كلباً. أما رفيق الذئبة فقد اختفى فى الشتاء الماضى.

لم يكن تصرفاً حكيماً بالنسبة إلى طفلين أن يقفا أمام مدخل عرين ذئبة لديها جراء صغيرة، وهى موجودة هناك. كانت رائحة الكهف قوية جداً وكان مظلماً من الداخل وساكناً تماماً. ولكن بما أننى اعتدت على الظلام فقد رأيت عينيها نقطتين ساكنتين

(*) بان Pan: إله المراعى والقطعان والأحراش الجبلية فى الميثولوجيا الإغريقية. (المترجم).

تلمعان فى الظلام، حين وقفت الذئبة بثبات لتحول بيننا وبين صغارها.

أنا وبالاس ابتعدنا ببطء، ونحن نحدق فى عينيها. لم أكن أريد الذهاب، على الرغم من معرفتى أنه علىّ أن أفعل. استدرت فى النهاية وتبعت بالاس ولكننى كنت أنظر للوراء لأرى إذا كانت تلك الذئبة ستغادر بيتها لتقف هناك غاضبة، مشدودة الأرجل، الأم المُحبة، الملكة المتوحشة.

فى زيارتى لتلك التلال السبعة، أدركت أن والدى ملكاً عظيماً أكثر مما كان إيفاندر. ولاحقاً عرفت أنه كان أكثر قوة من أى ملك من ملوك الغرب وُجِد فى زمنه على الرغم من أن قوته هذه قد تكون لاشىء بالمقارنة مع الملك الجليل الذى سيأتى فيما بعد. لقد شيد أبى مملكته بقوة، قبل أن أولد بوقت طويل، عبر الحروب، والدفاع عن حدوده جيداً. عندما كنت طفلة صغيرة، لم تكن هناك حروب ليحكى عنها، بل كان هناك وقت طويل من السلم. كانت توجد بالطبع ضغائن، ومعارك ما بين المزارعين على طول الحدود. نحن قوم قساة ولدنا بين المطرقة والسندان، هكذا كانوا يقولون عن أنفسهم. هنا فى الأرض الغربية، يثورون سريعاً، والسلاح لا يفارق أيديهم. كان ينبغى على أبى من حين إلى آخر التدخل لتسوية النزاعات ووضع حد للشجارات العنيفة التى تشتعل بشدة على مدى واسع. لم يكن لديه جيش ثابت. إن إله الحرب "مارس" يعيش فى تلك الأراضى الزراعية وعلى

حدودها، وكذلك المزراعون يعيشون فى الأراضى، لذا عندما تقع أى من المتاعب كان لاتينوس يستدعى المزراعين من حقولهم، فيأتون بسرعة وهم يحملون سيوف آبائهم البرونزية القديمة، والدروع الجلدية، ويكونون مستعدين للقتال حتى الموت من أجله. وبعد أن تنتهى الاضطرابات، يعود المزارعون إلى حقولهم ويعود أبى إلى بيته الكبير.

كان البيت الكبير، الريجيا مزاراً عظيماً فى المدينة، مكاناً مقدساً، لتسكن آلهتنا وأرواح الأسلاف وآلهة البيوت التى تحمى المدينة والناس. أتى اللاتينيون من كل أرجاء لاتيوم ليتعبدوا، ويقدموا الأضاحى، ويقيموا الولائم، ويحتفلوا بأعيادهم مع الملك. لقد رأوا المنزل العالى عبر مسافة بعيدة من الريف، يقف فيما بين الأشجار الطويلة، وتعلو الجدران الأبراج والأسطح.

كانت أسوار لورنتيوم مرتفعة وقوية؛ لأنها لم تبن على أعلى التل مثل معظم مدن الجوار، بل بُنيت فى سهل منبسط ينحدر باتجاه البحيرات والبحر. تحيط بها الحقول الزراعية والمراعى خارج الخندق، والتلال الترابية أمام بوابة المدينة. كانت هناك مساحة شاسعة من الأراضى المفتوحة التى يلعب فيها الرياضيون ويدرب الرجال فيها خيولهم. يشبه الدخول إلى بوابة "لورنيتوم" كما لو أنك كنت فى مكان فيه شمس وريح ثم دلفت إلى مكان ظليل عطر الرائحة. كانت المدينة غابة واسعة من الخمائل، كل بيت من بيوتها شيد فيما

بين أشجار السنديان والتين والدردار. كانت الشوارع ظليلة ومورقة وضيقة. أما أوسع الشوارع فإنها تؤدى إلى بيت الملك، عظيمة وجليلة، تحيط بها الأعمدة المصنوعة من خشب الأرز.

كان هناك على كل رف فى الجدران الداخلية للبيت عند ممر الدخول صف من الرسومات نحتها أحد الإتروسكانيين، وقدمها هدية للملك. كانت النقوش تمثل أرواح الأسلاف.. وجهان لجانوس، ساتورن، إيتالوس، سابينوس، وجدى بيكوس الذى تحول إلى طائر أحمر على هيئة نقار خشب. لكن رسمه فى التمثال الصلب نُحت وهو يرتدى ثوبه الرومانى الفضفاض ويمسك سيفه المقدس ودرعه، صف مزدوج من الأشكال المعتمة من خشب الأرز الأسود المهشم. لم تكن الصور ضخمة، لكنها الصور الوحيدة الموجودة فى "لورنتيوم" على هيئة بشر، ماعدا التمثال الطينى الصغير لـ"بيناتس"، إلهة البيت. كانت الصورتبث الرعب فى داخلى، وغالباً كنت أغلق عينى عند المرور بين هذه الوجوه المعتمة الطويلة، وعيونها المحملقة الخاوية، تحت الفئوس والخوذات المريشة، والرماح عند بوابات المدينة ومقدمات السفن والنصب التذكارية للحرب، مثبتة على الجدران.

كان ممر التماثيل ينفتح على القاعة الرئيسية، قاعة منخفضة، كبيرة ومعتمة، مع سقف مفتوح فى وسطه نحو السماء. فى الجانب الأيسر يوجد المجلس وقاعات الولائم التى لم أدخلها إلا نادراً وأنا طفلة. وفى الخلف يوجد الجناح الملكى، وإلى الأمام مباشرة

يوجد مذبح "فيستا"، آلهة النار، وخلفه توجد المخازن ذات القباب المبنية بالطوب. استدرت نحو اليمين، عبرت المطابخ لأصل إلى الفناء المركزى، حيث النافورة المتدفقة تحت شجرة الغار التى زرعها والدى حين كان شاباً، وأشجار الليمون، وشجرة الحور، والشجيرات الصغيرة، والأعشاب المزروعة فى أصص كبيرة، مثل الريحان والمردقوش والطرخون، بينما النساء يعملن، ويتسامرن، يغزلن وينسجن، ويملأن الجرار من بركة النبع. ركضت لأعبر من بينهن تحت أعمدة خشب الأرز المنصوبة لأدخل الجناح الخاص بالنساء، أفضل قسم فى المنزل.

إذا كنت حريصة بما يكفى كى لا أجذب انتباه والدتى، فليس هناك ما أخشى منه. فى بعض الأحيان وأنا أقترب من مرحلة اكتمال الأنوثة، كانت تتحدث إلى بلطف شديد. فهناك العديد من النسوة اللواتى أحببننى وتقربن إلى، هناك أيضاً فيستينا العجوز لترعانى، وفتيات فى مثل سنى ليرافقننى، وأطفال لألعب معهم، وسواء كنت مع الرجال أو مع النساء، فإنه بيت والدى الملك، وأنا ابنته.

مع أن أفضل صديقة لى لم تكن فتاة من "الريجيا" على الإطلاق، بل كانت الابنة الصغرى لـ"تيروس" الرجل الذى يقوم برعاية مواشينا، وقطيعه الخاص. كانت مزرعته تبعد قليلاً عن بوابات المدينة، مكان ضخم يحتوى على مبان كثيرة وإسطبل المنزل القديم المبنى من الحجارة والأعمدة تقف فيما بينها

مثل ذكر الإوز الذى يقف فى وسط سرب من الإوزات. وكانت حظيرة الماشية والخراف تمتد من حدائق المطبخ عبر التلال التى تتوجها أشجار السنديان. لقد كان المكان خلية نشاط لا تهدأ، يعمل الناس فيه فى كل مكان طوال اليوم، وما لم يكن كير الحدادة مشتعلاً، والمطرقة تدق، أو كانت قطعان الماشية تساق مع بعضها من أجل الإخصاء، أو من أجل إرسالها إلى السوق، فإن الهدوء التام يسود المكان. كان صوت الخوار يأتى من الوديان، مع هديل الحمامات النائحة وحمامات الغابات على السنديان عند المنحدرات بالقرب من المنزل تصدر أصواتاً مستمرة ناعمة، تتضاءل إلى جانبها الضوضاء القادمة من بعيد وتخفت. لقد أحببت هذه المزرعة.

كانت سيلفيا تأتى فى بعض الأحيان لترافقنى فى "الريجيا"، ولكن كنا نفضل أن نلتقى فى مكانها. فى الصيف كنت أسرع إلى هناك كل يوم تقريباً، وأتت معى "تيتا" الخادمة التى تكبرنى بعامين، لحراستى كما يتوجب نحو أميرة عذراء. لكن بمجرد أن نذهب إلى هناك تنضم تيتا لأصدقائها من بين نساء المزرعة. نركض أنا و"سيلفيا" لنتسلق الأشجار، أو نجعل الأخشاب تطفو على الجداول، أو نلعب مع القطط أو نمسك صغار الضفادع ونطوف الغابات منطلقين مثل العصافير.

كانت أمى تفضل أن أبقى فى المنزل،" فأى نوع من الصحبة هذه التى اختارتها مع رعاة الأبقار!".

ولكن لأن أبى وُلد ملكاً، تجاهل احتجاجها، وقال: "دعى الطفلة تركض ويشتد عودها،إنهم أناس طيبون". وفى الحقيقة كان تيريوس رجلاً موضع ثقة وذا كفاءة، يحكم قطعانه بحزم كما يحكم أبى مملكته. كان طبعه سريع الغضب، ولكنه كان عادلاً مع أهله. وقد واظب على تقديم الولائم بكرم فى الأعياد، وإقامة الشعائر وتقديم الأضحيات لأرواح الأهل والأماكن المقدسة. حارب إلى جانب أبى فى الحروب القديمة منذ زمن بعيد ومازال لديه حس المحارب. ولكنه كان ليناً مثل الزيدة الدافئة حينما يتعلق الأمر بابنته. فقد ماتت أمها فى أعقاب ولادتها. ولم يكن لديها شقيقات؛ لذا نشأت مدللة عند أبيها وإخوتها، وكل أهل المنزل. وكانت من عدة وجوه تبدو كأميرة أكثر منى أنا. لم تكن مضطرة أن تمضى النهار لتغزل وتنسج ولم تكن مكلفة بواجبات شعائرية. الطباخون العجائز يتولون أمور المطبخ عنها، ويقوم الخدم بالإشراف على الأعمال المنزلية من أجلها، والفتيات ينظفن الموقد ويوقدن النار، لقد توفر لديها الكثير من الوقت فى هذا العالم، لأن تركض، وتنطلق فى التلال وتلعب مع حيواناتها الصغيرة.

كان لـ"سيلفيا" طريقة رائعة فى التعامل مع المخلوقات. وفى المساء تأتى البومات الصغيرة على صوت ندائها المتقطع (بوو هى يبى) وتستقر للحظات على يدها الممدودة. لقد روضت جرو الثعلب، وحينما كبرت وأصبحت ثعلبة تركتها تمضى فى الغابة لكنها

كانت تحضر صغارها على مدار العام إلينا لنراهم وتدعهم يلعبون فى ضوء الشفق على العشب تحت أشجار السنديان. قامت سيليفا أيضا بتربية ظبى صغير أحضره إخوتها من الصيد لأن كلاب الصيد قد فتكت بأمه. لقد كانت سيلفيا فى العاشرة أو الحادية عشرة حينما أحضروا هذا الكائن الصغير وقامت بالعناية به برقة. وكبر حتى أصبح ظبياً رائعاً مدرباً، مثل أى كلب تم ترويضه. كان يمضى إلى الغابات كل صباح ولكنه دائماً يعود فى وقت العشاء. يتركونه يدخل إلى غرفة الطعام ويأكل من أطباقهم، وكانت سيلفيا تعتز بـ"سيرفولاس"، وتقوم بتنظيفه وتمشيطه وتزيين قرونه الرائعة بعناقيد العنب فى الخريف وأكاليل الزهور فى الربيع. وكان من المحتمل أن يكون ذكر الغزال خطراً. لكن الظبى كان وديعاً ومعتدلاً، يمكن الثقة به إلى حد كبير لصفاته الطيبة، وثبتت سيلفيا قطعة من القماش الأبيض الهفهاف حول رقبته كعلامة، وعرف كل الصيادين فى غابات لاتيوم ظبى سيلفيا سيرفيلوس، حتى كلاب الصيد عرفته ونادراً ما طاردوه، لأنهم كانوا يُحبسون ويُضربون إذا فعلوا ذلك.

كان أمراً مدهشاً أن تكون فى الخارج عند التلال وترى ظبياً عظيماً يأتى متهاديًا بهدوء من الغابة، يتوازن فوق رأسه تاج من القرون، وربما كان يركع ويضع أنفه فى يد "سيلفيا"، ويفرد ساقيه الطويلتين الرقيقتين أمامه ليجلس فيما بيننا، بينما هى تربت

علـى رقبـتـه. رائـحـتـه كـانـت جـمـيـلـة، كـمـا كـان قـويـاً وشجـاعـاً، وعينى واسـعتان سـوداوان وساكنتان، وهـكذا كـانـتـا عـيـنـى سـيـلـفـيـا. مـا حـصـل كـان يـشـبـه عـصـر (سـاتورن)، كـمـا قـال شـاعـرى، الـعـصـر الـذهـبـى لـلأيـام الأولـى، حـيـنـمـا لـم يـكن هـنـاك خـوف فـى الـعـالـم، لـقـد بـدت "سـيـلـفـيـا" ابـنـة هـذا الـعـصـر. أجلس مـعـهـا عـنـد المنـحـدرات أو نـركض عـنـد ممـرات الـغـابـة، فـهـى كـانـت تـعـرف كـم يـسـبـب لـى هـذا مـن الـفـرح. لـم يكن هـنـاك أى أحـد فـى بـلـدتـنـا يـتـمـنـى لـنـا أى نـوع من الأذى حـتـى الـوثـنـيـين لـديـنـا أصـحـاب الأراضـى المـزروعـة، كـانـوا يستقبلوننا بفرح فى حقولهم أوعند بوابات أكواخهم المـسـتـديـرة. حـتـى الـرجل الـعـابس الـذى يُـشـرف عـلـى المنحل كان يحتفظ لنا بقرص من العسل. والمرأة التى تشرف علـى منتجات الألـبـان كـانـت تقدم لنا القشدة الـصـافـيـة، أمـا الـغـلام راعـى الأبـقـار فـكـان يـقـوم بـاسـتـعـراضـاتـه أمـامـنـا واثـبـاً عـلـى الـعـجـول والأبـقـار الـعـجـائـز. وعـلـمـنـا الـراعـى الـكـبـيـر "إيـنـو كـانـيُـريـنـا" كـيـف نـصـدر نـغـمـات رقـيـقـة عـبـر بـقـايـا قـصـبـات الـشـوفـان. فـى بعض الأحيان ـ خلال أيام الصيف، حين يقارب اليوم على الانتهاء مساءً، وحين نعرف أنه ينبغى علينا العودة إلـى المـزرعـة، كـنـا نـرقـد إلـى أسـفـل عـلـى جـانـب الـتـل، ونـدفـع بـوجـهـيـنـا مـبـاشـرة عـلـى الـحـشـائـش الـجـافـة الـخـشـنـة والأتـربـة المـتـجـمـعـة الصـلـبـة، لـنـأخـذ أنـفـاسـنـا وسـط رائـحـة نـفـاذة إلـى أبـعـد الـحـدود، تـتـراوح مـا بـين الـتـبن، والـتـربـة المـرة لـلأرض الـصـيـفـيـة الـدافـئـة، أرضـنـا. كـنـا نـحـن ـ

الاثنتين ـ من أطفال ساتورن. نقفز ونجرى أسفل التل، ونعود جرياً إلى البيت، نتسابق مع الماشية.

حين كنت فى الخامسة عشرة من عمرى، جاء الملك تورنوس ليزور والدى. كان ابن خالتى، ومنحه والده دانوس الذى كان مريضاً تاج "روتوليا". وقد سمعنا جميعاً عن عظمة الاحتفالات التى أقيمت لتتويجه فى أرديا، أقرب مدينة تقع جنوب لاتيوم. كان "الروتوليون" حلفاءنا المقربين لنا، منذ أن تزوج لاتينوس من شقيقة داونوس، أماتا، لكن الشاب تورنوس، أظهر علامات على رغبته فى أن يمضى بطريقه الخاص. عندما قام إتروسكانيو كيرى بطرد ملكهم الطاغية ميزينتيوس، الرجل الوحش الذى لم يُقِم اعتباراً لأى مقدس. قام تورنوس باستقباله. الآن كل شعب إتروريا غاضب منه لاستقباله وإيوائه ذلك الطاغية الذى أساء استخدام قوته بصورة قاسية جداً جعلت من بيناتس، آلهة بيته، و"لاريتس"، آلهة أسلافه، يقومون بنبذه. كانت هذه المشاعر العدائية موضع اهتمامنا، حيث إن كيرى كانت قريبة من النهر. كانت مدن الإتروسكانيين حصينة جداً، بحيث ألزمتنا أن نحافظ على علاقات جيدة معهم قدر المستطاع.

ناقش أبى هذه الأمور معى ونحن نسير إلى غابة ألبونيا المقدسة. كانت تقع شرق لورنتيوم تحت التلال، على مسيرة يوم واحد. ذهبنا إلى هناك مرات عديدة معاً، كنت أقوم بمساعدته هناك فى شعائر مديح

واستـرضـاء أسـلافـنـا وقـوى الـغـابـات والجـداول. فى سيـرنـا المنفـرد كان يـتـحـدث إلى كـمـا لـو أنـنى الوريث لعرشه. على الرغم من أنه لم يكن من الممكن أن أرث تـاجه، لكنه لم يـر أى مـانـع يـحـول دون مـعـرفتـى بـأمور السياسة والحكم. فأنا على أية حال سأكون فى يوم ما ملكة لإحدى الممالك. وربما روتوليا بالفعل.

هـو لم يـتـحـدث عن هـذه الاحـتـمـاليـة ولـكن الـنـسـاء فعلن. لقد كانت فيستينا متأكدة من ذلك عند اللحظة التى سمعت فيها بزيارة الملك تورنوس: لقد جاء من أجل لافينيا جاء يخطب ودها!".

نظرت أمى بحدة إلى فيستينا عبر شلة الصوف الخام التى كنا جميعاً نسحبها. إن العمل على سحب خيوط الصوف من الكتل المتجمعة وتمشيطه بالدهن السائل كان أمراً محبباً لى من ضمن سائر الأعمال المنزلية، لأنه عمل سهل ولا يحتاج إلى تركيز ذهنى. كما أن رائحة الصوف النظيف الزكية، تترك اليدين ناعمتين جداً من آثار الزيت، وتترك كتل الصوف تفيض من السلة كما لو أنها سحابة جميلة عالية ضخمة باهتة ورقيقة وغائمة.

قالت أمى: "هذا يكفى الآن، الفلاحون فقط هم من يتحدثون عن زواج فتاة فى مثل هذا العمر".

قالت تيتا: يقولون إنه أجمل رجل فى إيطاليا.

قالت بيكيولا: وهو يركب الفرس الذى لا يستطيع أن يركبه أحد.

وقالت فيستينا: "ولديه شعر ذهبى".

أما سابيلا فقالت: "كما أن لديه أختًا تدعى جوتورنا وهى جميلة مثله لكنها أقسمت ألا تغادرالنهر أبداً، هكذا قالوا.

قالت أمى: "ما هذا الهراء".

وسألت سيكانا وهى صديقة أمى المقربة قائلة: "لابد أنك تعرفينه منذ أن كان طفلاً، يا جلالة الملكة؟"

ابتسمت قليلاً كما يحدث عادة عندما تتحدث عن طفولتها وصباها ثم قالت أماتا: "نعم لقد كان ولداً لطيفاً ومتميزاً جداً على طريقته".

صعدت إلى برج المراقبة فى الركن الجنوبى الشرقى من المنزل فوق الأجنحة الملكية، حيث بإمكان المرء أن يشاهد شوارع المدينة وأسوارها وبوابتها. رأيت الزوار يصلون عند بوابة "الريجيا" جميعهم يمتطون الخيول، يضعون صدريات لامعة، وعلى رءوسهم خوذات مريشة، ثم نزلت إلى الممر الرئيس، ووقفت مع أهل المنزل بينما كان أبى يرحب بـ تورنوس. ونظرت إليه نظرة فاحصة، إلى رجاله، وإلى خوذته العالية التى يعلوها الريش. كان رائعاً ووسيماً، قوى البنيان وعضلاته بارزة، شعره بنى مجعد يميل إلى اللون الأحمر، له عينان زرقاوان ووقفة مهيبة. إذا كان هناك أى نقص جسدى فى تكوينه فربما يكون فى قصر قامته مقارنة مع صدره العريض وبنيته القوية، ولعل لهذا السبب تبدو مشيته متهادية نوعاً ما. أما صوته فقد كان عميقاً وواضحاً.

تم استدعائى للعشاء فى القاعة الكبيرة فى ذاك اليوم. أمى وأنا ارتدينا أفخم ثيابنا واهتمت النساء بالاعتناء بمظهرنا وشعرنا. أخرجت سيكانا لأمى عقدها الذهبى الرائع الذى أهداها إياه لاتينيوس فى يوم زفافها، لكنها وضعته جانباً وارتدت قلادة من الفضة مطعمة بحجر "الجمشت"، أهداها إياه خالها دانوس بمناسبة زواجها. كانت تبدو فرحة ومتألقة. وكنت أظن أننى أستطيع أن أختبئ خلفها، أتوارى وأحتمى خلف جمالها الأخاذ.

لكن خلال وجبة العشاء وبينما تورنوس يتكلم بعذوبية مع أبى وأمى، نظر إلى. لم يحدق لكنه نظر عدة مرات متكررة مع ابتسامة خفيفة. شعرت بالإحراج، كما لم أحس به من قبل. بدت عيناه شديدتى الزرقة تخيفانى. وفى كل مرة تجرأت أن أتطلع إليه، وجدته ينظر إلى.

لم أكن أفكر على الإطلاق بالحب والزواج. فما الذى كنت أفكر به؟ عندما يحين وقت الزواج سأتزوج، وأكتشف ما الحب والولادة، وسائر تلك الأمور. لكن حتى ذلك الحين لم يكن هذا الأمر يعنى شيئاً بالنسبة إلىّ. كنا أنا وسيليفا نمازح بعضنا فى الحديث عن مزارع شاب وسيم كان يطيل النظر إليها، أو عن أخيها الأكبر ألمو الذى كان أحياناً يتباطأ ليتحدث إلىّ. ولكن كل هذا مجرد كلام لا يعنى شيئاً. لم يكن هناك رجل فى المنزل أو فى المدينة أو فى كل البلد يمكنه أن ينظر إلى كما فعل تورنوس. كنت أعيش فى عالم عذرى

داخل المنزل، غير مهددة وسعيدة. ولم يجعلنى أى رجل أتورد خجلاً.

أما الآن فها أنا أحس بالاحمرار يغمرنى من جذور شعرى حتى صدرى وركبتى. انكمشت من الخجل. ولم أستطع أن آكل شيئاً. الجيش المحاصِر كان على الأسوار.

لقد تعرف تورنوس حتمًا على الصورة التى رسمها لى شاعرى صورة الفتاة العذراء الخجولة الصامتة. لابد أن أمى التى كانت تجلس إلى جانبى شعرت أننى لم أكن مرتاحة وربما سَبَب لها هذا شيئاً من الإزعاج، تركتنى أنكمش أكثر، وتابعت كلامها مع تورنوس عن أرديا. لا أعرف إذا كانت قد أعطت أية إشارة إلى أبى، أو كان هذا قراره الخاص، لكن حالما رُفعت صوانى العشاء وقام الصبى بإلقاء العطايا للنيران وطافت الخادمات بأباريق الخمر والمناديل، أشار أبى إلى أمى بإرسالى بعيداً.

احتج الملك الزائر بلطف على ذلك قائلاً: "هكذا سنفتقد زهرة المجلس".

رد أبى:" تحتاج الطفلة لأن تنام".

رفع تورنوس كأسه ذات اليدين المذهبتين، المنقوش عليه مشهد صيد وغنائم لإحدى المعارك التى خاضها أبى. هذا الكأس يعتبر من ضمن أفضل قطع أدوات المائدة الموجودة لدينا ـ وقال: "فلتنعمى بأحلام سعيدة يا أجمل بنات الأب تايبر.

وجلست عاجزة.

همست لى أمى بصوت خافت مع ضحكة خفيفة قائلة :"سأذهب معك".

تسللت مبتعدة حافية بقدر ما استطعت، لأننى لم أتمكن من التوقف لأرتدى صندلى. سمعت صدى صوت تورنوس يتردد خلفى فى القاعة، لكننى لم أسمع ما قاله. كانت أذناى تطن. وهواء الليل فى الفناء مثل مياه باردة غمرت وجهى الساخن وجسدى. جعلتنى ألهث وأقشعر.

حين دخلت جناح النساء تجمعت حولى جميع النساء وأخذن يتحدثن واحدة تلو الأخرى عن روعة الملك الشاب وبهاء طلعته، كم هو ضخم وطويل، وكيف علق خوذته وسيفه الضخم وصدريته البرونزية وخطا مثل مارد فى القاعة، ثم سألننى عما قاله لى وقت العشاء؟ وهل أحببته؟ ولم أستطع الإجابة. ساعدتنى فيستينا على إبعادهن جميعاً، قالت إننى أبدو محمومة وأحتاج للذهاب إلى سريرى، وبعد أن أقنعتها فى النهاية أن تتركنى بمفردى، تمددت فى سريرى فى غرفتى الصغيرة والهادئة ورحت أنظر إلى تورنوس.

وبالطبع كان من الحماقة أن أسأل ما إن كنت أحببته. ففتاة شابة تلتقى رجلاً وسيماً، ملكاً، ربما يكون أول خطيب لها، لا تحبه أو تكرهه. قلبها يخفق بقوة والدماء تتدفق فى عروقها. وتراه هو فقط: ربما مثلما يرى الأرنب الصقر أو مثلما ترى الأرض السماء.

رأيت تورنوس كما ترى المدينة غريباً رائعاً، قائد جيوش عند بوابة المدينة. أن يكون هناك، أن يأتى، كان أمراً رائعاً ومرعباً. فلا شىء سوف يصير إلى ما كان عليه من قبل. ولكن لا توجد حاجة إلى أن أفتح بابى الآن.

بقى تورنوس عدة أيام معنا، لكنى التقيت به مرة واحدة فقط. طلب حضورى على العشاء فى المساء الأخير قبل رحيله، وسمحوا لى بالذهاب إلى المأدبة، ولكن ليس للعشاء مع الضيوف وسائر الحضور، فقد تم استدعائى بعد انتهاء وجبة الطعام للاستماع للغناء ومشاهدة الرقص. جلست بجانب أمى، ومن جديد نظر تورنوس نحوى، ولكنه لم يبذل فى هذه المرة أى جهد لإخفاء نظراته. ابتسم لنا. كانت ابتسامته مبهجة، مثل ومضة سريعة. ونظرت إليه حين كان يشاهد الراقصات، لاحظت كيف أن أذنيه صغيرتان وكيف أن رأسه متناسق، وذقنه مربعة وقوية. وربما سيتكون عنده لغد فيما بعد، أما رقبته من الخلف فقد كانت لطيفة وناعمة. ولاحظت أنه منتبه إلى ما يقول أبى الذى كان يجلس إلى جانبه ويبدو عجوزاً.

كانت أمى تكبر ابن أختها بما يقارب عشرة أو اثنى عشر عاماً، ولكن فى هذه الليلة لم تبد كذلك؛ فعيناها تبرقان وهى تضحك، ظهرت هى وتورنوس منسجمين مع بعضهما البعض، وسعيدين. يتبادلان الحديث عبر المائدة، والتحق بهم الضيوف الآخرون. وكان أبى يستمع إليهم بمودة.

فى اليوم الذى تلا رحيل تورنوس استدعانى والدى، أنا وأمى. سرنا معاً فى الرواق المؤدى إلى خارج قاعة الطعام، أبعد من حوله كل الأفراد الذين اعتادوا أن يرافقوه. كان يوماً ربيعياً ممطراً، وكان أبى يرتدى معطفه الثقيل لأنه تقدم بالسن وشعر بالبرد. سار معنا بصمت لهنيهة، ثم قال: "لقد أخبرنى الملك الروتالى الليلة الماضية بأنه يود أن يتقدم لخطبتك، لافينيا. لم أدعه يكمل كلامه. قلت له إنك مازلت صغيرة، ولم تبلغى بعد العمر الذى يسمح لى بالكلام معك عن أمور الخطوبة أو الزواج. كان يود أن يناقشنى بالطبع لكننى لم أسمح له بذلك وقلت إن ابنتى مازالت صغيرة. جداً".

نظر إلينا معاً، لم يكن لدى أدنى فكرة عما ينبغى قوله. نظرت إلى أمى.

سألته أماتا بهدوء ولطف كما تتحدث دائماً مع زوجها: "ولكنك لم تشجعه على الإطلاق؟".

رد أبى بأسلوبه الدمث والجاف: "قلت له إنها لن تظل صغيرة دائماً".

قالت: "إن الملك تورنوس لديه الكثير ليقدمه لعروسه".

"لديه بالفعل. هناك أراض جيدة. ويقولون إنه محارب قوى جداً. وهكذا كان أبوه بالفعل".

" أنا متأكدة أنه محارب شجاع".

"وثرى أيضاً".

مشينا عدة خطوات فى الممر. تساقط المطر فى الفناء، فاهتزت الأوراق فوق شجر الليمون. وكان المكان تحت شجرة الغار الكبيرة مازال جافاً، جلست إحدى فتيات المنزل هناك تغزل وتغنى أغنية طويلة عن الغزل.

سأل أبى أمى: "ولذلك فإنك ستؤيدين الفتى حينما يأتى فى العام القادم؟"

قالت ببرود: "ربما،إذا كان حقاً يريد الانتظار".

سألنى أبى: "وما رأيك يا لافينيا".

قلت: "أنا لا أعرف".

وضع يديه على كتفى وقال: "لا تقلقى بشأن ذلك يا عزيزتى، هناك الكثير من الوقت لهذا النوع من الأشياء".

قلت: "وماذا ستفعل بشأن رعاية فيستا"؟ . ولم أستطع إكمال عبارتى لأقول،"لو أننى تزوجت".

قال: "سنفكر بهذا الأمر. اختارى فتاة يمكنها التعلم للقيام بالشعائر".

قلت فى الحال : مارونا.

أهى إتروسكانية.

والدتها كذلك. أنت أخذتها أثناء إحدى الغارات عبر النهر. مارونا كبرت هنا . وهى ورعة. وكنت بهذه الكلمة أعنى أنها مسئولة ومخلصة لعملها كى تفى بالوعد. كان أبى قد علمنى معنى هذه الكلمة وقيمتها.

حسناً. خذيها معك عندما تقومين برعاية النيران، وتنظيف الموقد، ووضع الملح المقدس. دعيها تتعلم القيام بكل هذه الأمور.

لم تقل أمى شيئاً بشأن ذلك. إنها ابنة الملك التى تحتفظ بموقده مشتعلاً. لقد كان أمراً مريراً لكل من والدىَّ. فأنا أعرف أنه عندما نجلس على العشاء فإن الفتى الذى يغذى مذبح النار بطعامنا، ويردد كلمات الشكر، لم يكن ابنهما، كما من المفترض أن يكون، ولكن مجرد فتى خادم. والآن ستذهب العناية بالموقد وبغرف الخزين إلى بديل آخر لى. مجرد خادمة.

تنهد أبى قليلاً، كانت يده الكبيرة الدافئة لاتزال على كتفى. مشت أمى إلى الأمام بوجوم. وعندما عدنا لمواصلة السير أسفل الأعمدة قالت: "يُستحسن ألا تدع ذلك الملك الشاب ينتظر طويلاً".

قال "لاتينوس": "سنة أو اثنين أو ثلاث".

وامتعضت باشمئزاز ونفاد صبر، قالت: "ثلاث سنوات، الرجل شاب يا لاتينوس ولديه دماء حارة تجرى فى عروقه.

كل ما يمكننا قوله الآن هو أننا ينبغى أن نتيح لابنتنا الوقت كى تكبر.

لم تجادله أماتا. هى لم تكن تجادله أبداً بل تتصرف بتجاهل.

رأيت فى تجاهلها عدم تصديقها، وكما لو أننى لن أكبر أبداً لأكون مناسبة لرجل مثل تورنوس. وفى

الحقيقة تعجبت كيف يمكننى ذلك. لكى أكون مناسبة لمثل هذا الرجل، ينبغى أن يكون صدرى كبيراً، وأكون ضخمة وشرسة وقوية مثلها، وذات جمال وحشى. كنت قصيرة ونحيلة وفاحمة من آثار الشمس، وخشنة. كنت فتاة ولست امرأة. وضعت يدى فوق يد أبى الموجودة على كتفى وأمسكتها ونحن نسير. استطعت أن أنظر إلى عينى تورنوس الزرقاوين فى ظلام حجرتى عند المساء، لكننى لم أرغب بالتفكير بأننى سأترك بيتى.

كان درع آينيس معلقاً فى مدخل بيتنا هنا فى لافينيوم مثلما علق تورنوس سيفه وخوذته وصداريه عندما جاء لزيارتنا فى "لورنتيوم". رأيت آينيس عدة مرات وهو يضع سلاحه، وخوذته، ودروع الصدر والساق، مع السيف الطويل والترس المستدير، كلها من البرونز: كان يلمع مثل البحر المتألق تحت أشعة الشمس. ولكى ترى درعه معلقاً هناك هذا يعنى أنك ستدرك كم هو رجل عظيم. لا يبدو ضخماً، كما لم تكن عضلاته بارزة إلى حد كبير، لأن جسده كان متناسقاً جداً، وكان يتحرك بسلاسة وخفة آخذًا فى الاعتبار من يكون وماذا يوجد حوله. لا يتدافع إلى الأمام كما يفعل كثير من الرجال الأقوياء. لكن لم يكن باستطاعتى أن أرفع بسهولة الدرع الذى كان يرتديه، إنه هدية من والدته صنعته خصيصاً له عند أعظم الحدادين، هو من أخبرنى بذلك. وفى الحقيقة أن الرجل الذى شكل وصنع هذا الدرع كان

كبيرالحدادين، إذ لم يكن هناك فى الغرب كله درع جميل بهذا الشكل.

كان سطح الطبقات السبع من البرونز الملحوم والمغطى بنقوش عظيمة، منقوش عليها بدقة ومرصعة بالذهب والفضة. وكانت هناك تجاويف خفيفة وخربشات خلفتها المعركة التى خاضها آينيس. وغالباً ما كنت أقف وأتأمل هذا الدرع. الصورة التى أحببتها كثيراً نقشت على الجانب الأيسر، ذئبة تدير رقبتها بنعومة للخلف لتلعق صغارها وترضعهم، لكن الجراء كانت أطفالاً حقيقية، أولاد يرضعون منها بشراهة. وأحببت صورة أخرى لإوزة كلها من الفضة، تقف وهى تمد رقبتها كما لو أنها متنبهة لشىء ما. وبالخلف منها بعض الرجال يتسلقون المنحدر، شعرهم ذهبى معقوف، وثيابهم موشاة بالفضة، وحول رقبة كل رجل سوار ملفوف من الذهب.

وفى مكان ليس بالبعيد عن الذئبة، كانت توجد وجوه تعرفت عليها من احتفالاتنا. بعض الكهنة بذراعين ملفوفتين، وولدين من (أبناء الذئبة) يركضان وهما عراة، يلوحان بعصيهم ذات الأشواك، نحو نساء يضحكن. كان هناك القليل من النساء فى الصور، لكن الغالبية كانوا من الرجال، رجال يحاربون، ومشاهد معركة لا تنتهى، ورجال ممزقون، رجال منزوعو الأحشاء، وجسور محطمة، وجدران مهدمة، مذبحة.

لم يكن آينيس موجودًا فى أى من هذه الصور، ولم يخبرنى الشاعر بشىء عن حصار مدينته وسقوطها، كما أن ضياعه قبل أن يأتى إلى "لاتيوم" غير واضح فوق الدرع. سألته: "هل هذه المشاهد من طروادة؟". هز رأسه بالإيجاب.

قال: "أنا لا أعرف ماذا يكونون، ربما كانت مشاهد لما سيأتى".

"إذًا ما سيأتى بعد ذلك هو فى معظمه الحرب"، قلت هذا وأنا أنظر بين هذه الصور على ما هو ليس بحرب، وأنا أبحث فيما بين هذه الصور عن أى وجه لاتعلوه خوذة. إننى أرى اغتصابًا جماعيًا، نساء يصرخن ويستغثن، والجنود يسحبوهن. أرى سفناً عظيمة جميلة، بالمجاديف على جانبيها، لكن السفن جميعها فى الحرب، بعضها يحترق. وترتفع النيران والدخان فوق المياه.

يقول بصوت منخفض: "أعتقد أنه سيكون العالم الذى سيرثه أبناء أبنائنا".

كان آينيس يتحدث دائما بما يشبه الصمت، ونادراً ما يتحدث طويلاً، ويتكلم عادة بصوت خفيض. ونادراً ما يتجهم، كان هادئاً، يتعامل بالكلمات كما يتعامل بسيفه، فقط إذا اضطر إلى استخدامها.

هذه روما بلد شاعرى، ثم المدينة العظيمة فى الكثير من الصور. ونظرتُ عن قرب على منتصف الدرع، معركة البحر. يقف عند مؤخرة السفينة رجل

له وجه وسيم وهادئ. تنبثق النيران من رأسه، وتحوم فوقها الشهب. أظن أنه الرجل العظيم، الرجل المهاب.

وكلما تابعت النظر رأيت أشياءً لم ألاحظها من قبل. المدينة أو مدينة عظيمة ما ترقد كلها فى حطام، لقد دُمرت وحرقت بمعنى الكلمة. وأرى مدينة مدمرة أخرى وأخرى. نيران هائلة تنبعث فى خط، الواحد تلو الآخر، لتشمل بلهيبها كل البلاد. آلات ضخمة للحرب تزحف على الأرض، أو تغطس تحت البحر، أو تندفع خلال الهواء. الأرض نفسها تحترق فى سحب سوداء من الزيت المحترق. والآن تنبثق سحابة مستديرة من الدمار، وتعلو فوق البحر،عند نهاية العالم. أعرف أنها نهاية العالم. وأقول برعب لـ"آينيس": "انظر، انظر!".

لكنه لا يستطيع أن يرى ما أراه على الدرع. إنه لن يعيش ليراه، إنه يجب أن يموت بعد ثلاث سنوات فقط ويتركنى أرملة. فقط أنا التى قابلت الشاعر فى غابات "ألبونيا"، أستطيع أن أنظر من خلال درع زوجى البرونزى لأرى كل الحروب التى لن يحاربها.

الشاعر جعله يعيش، يعيش بعظمة لذلك ينبغى أن يموت. أنا التى لم يعطنى الشاعر سوى حياة ، أستطيع أن أستمر. أستطيع أن أعيش لأرى سحابة فوق البحر عند نهاية العالم.

اندفعت بالبكاء وضممتُ آينيس بين ذراعى، وهو ضمنى برقة وطلب منى ألا أبكى، "لا تبكى يا حبيبة قلبى. لا تبكى".

كان بيت الملك ـ حيث أعيش ـ مبنيًا على شكل مربع، ومقسماً إلى أربعة أقسام، وتقع شجرة الغار الضخمة عند نقطة التقاطع فى الوسط. كنت أخرج عند خيوط الفجر الأولى من المنزل، ومن المدينة إلى الحقول الشرقية للمدينة.

إن المكان الذى نعيش فيه نحن ـ الوثنيين ـ هو نموذج من حقول المزارعين تحدها ممرات بين الحقول. عند المفترق حيث تتقابل الحقول الأربعة يوجد قبر لاريس، الأرواح الخاصة بمكان التلاقى. الضريح له أربعة أبواب وقبل كل باب يوجد مذبح لحقل المزارع. وقفت عند واحد من الممرات فيما بين الحقول أنظر للسماء.

إن منزل السماء لا حدود له، لكنى من خلال فكرى أقمت له الحدود وقسمتها إلى أربعة. أقف عند المركز، التقاطع المواجه للجنوب، المواجه لـ "أرديا". أراقب السماء الخالية التى يتدفق منها النور صاعداً إلى أعلى ببطء. الغربان تطير من اليسار من التلال الشرقية، وتحوم فوقى تنادى، ثم تعود إلى الشمس المشرقة التى تتوج التلال بالنار. إنها فألٌ حسن، ولكن قرص الشمس الأحمر يُنبئ عن يوم عاصف.

كنت فى الثانية عشرة من عمرى عندما ذهبت مع أبى لأول مرة إلى ألبونيا، الغابة المقدسة تحت التل، حيث يتدفق الكبريت من الكهف العالى ويملأ الهواء بالظلال وبضوضاء صاخبة لا نهاية لها،

وضباب له رائحة البيض المتعفن. وهناك أرواح الموتى في الداخل تَسمعُك إذا ناديت عليها. في الأيام الخوالي كان الناس يأتون إلى "ألبونيا" من جميع أراضي الغرب ليستشيروا الأرواح والقوى المهيمنة على المكان، الآن الكثيرون يذهبون إلى الهيكل بالقرب من "تيبور"، الذي يحمل الاسم نفسه. إن "ألبونيا" الأصغر هذه كانت مقدسة عند أسرتي. حينما يكون أبي متوتراً يذهب إلى هناك. وفي هذه المرة قال لي: "ارتدي عباءتك المقدسة يا ابنتي وتعالي لتساعديني في تقديم الأضحية". لقد كنت غالباً في البيت أعمل كمساعدة له كما ينبغي على الابنة المطيعة. لكنني لم أذهب من قبل إلى النبع المقدس. ارتديت ردائي الأحمر الموشى، وأخذت حقيبة فيها وجبة مملحة من المخازن خلف فيستا. مشينا عدداً من الأميال في طرق تخترق الحقول المألوفة والمراعي، وعندها وصلنا إلى بلد لم أره من قبل، أكثر برية، تقترب من جانبيه تلال من الغابات. وأتينا إلى نهر صغير، وتابعنا الجانب الأيسر من الممر الصخري الضيق، وكان يسمى براتي، هكذا قال أبي وأخبرني عن الأنهار في لاتينيوم: لينتولوس عند لورينتيوم، وهارينوسوسو باراتي، وستاجنولوس ونوميكوس، المقدس الذي يرتفع عالياً على جبل آلبان وهي حدودنا مع روتوليا.

حمل الأضحية، حملٌ عمره أسبوعان. كان شهر إبريل. وكانت الشجيرات الكثيفة كلها متبرعمة ومزهرة، وأشجار السنديان على جانبي التل تحمل

زهوراً طويلة رقيقة لم تتفتح من اللون الأخضر والبرونزى. وترتفع الغابات أمامنا أكثر وأكثر فى اتجاه جبل "آلبان"، والغابات الكثيفة معلقة مثل سحابة سوداء على يسارنا. دخلنا تحت الأشجار. لقد كان الظلام يغطى الغابة إلا من بضعة طيور تغرد، على الرغم من أن الحقول والشجيرات كانت محملة بسحرها. شممت رائحة كريهة عند الجدول المجاور، لكننى لم أر أية أبخرة وسمعت خرير المياه ينساب خافتاً، وهو يهمس مثل إناء من الماء يغلى.

كان المكان المقدس فى أرض فسيحة مغطاة بالعشب فى أعماق الغابة، مُعلمة بمربع عند جدار صخرى، لا يتجاوز ارتفاعه ركبتى. فى داخل هذا المشهد المغلق للقوى الروحية، كان حضور القوى المقدسة مكثفاً وغريباً. وعلى الأرض داخل الجدار توجد قطع صوفية متعفنة. كان هناك مذبح صخرى صغير، واقتطع أبى طبقة من العشب من خارج الجدار ووضعها فوق المذبح. ورفعنا طرف ثوبينا وغطينا بها رأسينا. أشعل النار. صنعت إكليلاً من أوراق الغار النضرة ووضعته على رأس الحمل، ورششت عليه ملح الطعام من حقيبتى، وأمسكت به بينما هو يصلى. كان الحمل مطيعاً ولم يكن خائفاً، الأضحية النبيلة، كان لها وقارها الخاص. وأمسكت به بينما أبى يقطع رقبته بسكين برونزى طويل، مقدماً هذه الحياة لقوى لا نعرفها، فى خوف وامتنان، سعياً فى أن نكون فى سلام معهم. وأحرقنا الأمعاء فى نار

المذبح لتعظيم قوة الأرواح. شوينا وأكلنا لحم الضلوع، فنحن لم نكن قد أكلنا منذ اليوم السابق ظهراً. ولففت ما تبقى من اللحم لآخذه إلى البيت. قام أبى بكشط الأجزاء الداخلية من جلد الحمل، ووضعه على الأرض، وجمع بقايا جلود الخراف الأخرى ونشرها. وكانت الجلود مبتلة من المطر فى اليومين السابقين، فتعفنت وتغير لونها. ولكن هكذا يُصنع الفراش فى "ألبونيا".

لقد كان الظلام حالكاً الآن. ذهبت حمرة الشمس من الممرات بين الأشجار. وسادت عتمة السماء فيما بين الفروع. رقدنا على جلود الخراف. وفروة الحمل تحت رأسينا.

لا أعرف إذا ما كانت قوة "ألبونيا" انتقلت لأبى فى تلك الليلة، لكنها جاءت إلى، ليست كصوت يتكلم من بين الأشجار، كما يأتى للآخرين، بل مثل حلم، أو كما اعتبرته أنا حُلماً. فى نومى كنتُ إلى جانب أحد الأنهار الذى عرفت أنه كان نهر "نيوميكوس". وقفت وحيدة عند النهر، أراقب المياه الصافية تنساب بين الحجارة. ورأيت خيطاً ملوناً يجرى فى الماء، مثل شريان أحمر. ازدادت كثافته وسمكه، وتجمع فى سحابة حمراء انجرفت مع التيار ومضت. وغمرنى حزن عميق جداً، جثم فوق قلبى، وجعل ركبتى لاتقويان على حملى، وجلست أبكى بين الحجارة. وفى النهاية قمت ومشيت نحو أعلى الجدول، وعدت إلى المدينة، وكانت تحصيناتها مكونة من أكوام من التربة

الحديثة. كنت ما أزال أبكى، وأمسكت بطرف ثوبى وغطيت به رأسى ووجهى، لكننى عرفتُ أن هذه المدينة هى وطنى. ثم وفى حلمى كنت فى غابة "ألبونيا" مرة أخرى، مازلتُ وحيدة. وفى هذه المرة أيضا تجاوزت فسحة المكان المقدس؛ حيث المذبح ومضيت نحو الجدول، لكننى لم أستطع الاقتراب من الكهف. كانت أصوات الهسهسة والضوضاء المتصاعدة ترتفع فى المكان، وكلها عند مدخل الكهف، وكانت أرض الكهف تغمرها مياه المستنقعات والبرك الضحلة. كان الضباب المائل للأزرق ذو الرائحة العفنة يحوم فوق المياه والأرض، سمعت حركة نقار الخشب بين الأشجار، نقراته على الجذع، وصيحته مثل ضحكة مزعجة. ثم جاء طائراً. تراجعت وأنا أشد ثوبى فوق رأسى خائفة، لكنه لم ينقرنى، رأيت رأسه القرمزى يلمع أمامى. رفرف بجناحيه أمام عينى مرتين بخفة شديدة مثل لمسة وشاح ناعمة. ضحك وهو يطير عالياً. نظرت إلى أعلى، ولم يكن هناك ظلام تحت الأشجار، الغابة كانت مليئة بضوء ساطع دون ظلال، وكان الماء والضباب فى النبع يلمعان.

واستيقظت حينئذ، ورأيت الضوء نفسه الثابت لبرهة فى الأرض الفسيحة، يتلاشى حين جاء النهار.

قبل رحيلنا، ذهبت إلى الجدول، ورأيته كما بدا لى فى حلمى، على الرغم من أنه كانت تحيط به الظلال.

ما إن بدأنا برحلة العودة حتى عاد أبى إلى صمته. حين خرجنا من الغابة، نظرت نحو الجنوب، أتخيل مجرى نهر نيوميكوس ومكان العبور فيه، والمكان الذى شاهدت فيه المدينة فى حلمى، قلت: "لقد جاء جدى بيكوس إلى فى الحلم حين كنت نائمة فى الليلة الماضية، يا أبى". ثم أخبرته بما شاهدته.

استمع إلى وظل صامتاً لبرهة قبل أن يقول: "إنها روح جدك".

"عندما كنت مريضة بالحمى ضربنى على رأسى. فبكيت من الألم".

"لكن هذه المرة لامس عينيك بجناح".

أومأت برأسى. تابعنا السير لفترة.

قال لاتنيوس لى: ألبونيا فى هديته. هو والقوى الأخرى للغابات. لقد أعطاك حريتها يا ابنتى. فتح عينيك كى ترى.

هل آتى معك مرة أخرى؟

أعتقد أنك ستأتين هناك حينما تختارين.

لو إن ابنتى عاشت، ما كان بمقدورها أن تركض آمنة وحرة خارج الحدود عبر التلال، أو مراعى القطعان، كما اعتدت أن أفعل. وحين كان ابنى صبياً صغيراً، كانت الغابات أكثر أماناً بالنسبة إليه من حقول الوثنيين، لكن حينما كنت فتاة شابة مشيت على

التلال وفى الممرات البرية التى تؤدى إلى "ألبونيا" ولم يكن معى رفيق سوى مارونا. كانت ترافقنى فى بعض الأحيان، وفى أحيان أخرى كانت تمضى الليل عند عائلة الحطاب عند أطراف الغابة، بينما أذهب وحدى إلى المكان المقدس. كان بإمكاننا فعل ذلك، لأن السلام الذى حققه أبى لـ"لاتينيوم" كان حقيقياً ومستمراً. فى ظل ذلك السلام، كان بإمكان الأطفال أن يراقبوا الماشية، وكان بمقدور الرعاة أن يتركوا قطعانهم طليقة فى المراعى دون أدنى خوف من السرقة. النساء والفتيات يمشون فى كل طرقات "لاتينيوم" بدون خوف أو حاجة للحراسة أو للسير فى مجموعات. حتى فى الطرقات النائية والوعرة كنا نخشى من خنزير أو ذئب، ولم نكن نخاف من أى إنسان. فهذا النظام هو الذى كان يحكم حياتى كفتاة، ظننت أنها الطريقة التى يسير عليها العالم كله، وسيستمر بها. لم أكن أدرك كيف أن السلام يغيظ الرجال، وكيف كان يستجمع غضبهم حين يستمر طويلاً، كيف وهم يصلون لقوى السلام، فإنهم يعملون ضدها، ويقومون بكل ما يؤدى إلى نقض هذا السلام وانقضائه، يفتحون الطريق للمعركة، والذبح، والاغتصاب، والتبديد. من بين كل القوى العظيمة التى أخاف منها كثيراً هى القوى التى لا أستطيع أن أعبدها، هى القوة التى تمشى على الحدود، القوة التى تدفع الكبش نحو الشاة، والثور نحو البقرة،

والـسـيـف إلى يـد المـزارع: مـافـورس،، مـارمـور، مارس،[1].

كنت أشرف على العناية بغرف الخزين: هذا كان واجبى كابنة للملك، زهرة الكاميليا المتفتحة. الطعام الذى كنا نأكله كان يقع ضمن مسئولياتى. كنت أضع الوجبة على الأرض والملح المقدس الذى يبارك الطعام. يومياً وبكل إخلاص أحافظ على فيستا[2] مشتعلة فى موقدنا. المركز المضىء فى حياتنا، لكن لم يسمح لى بالدخول إلى الغرفة الصغيرة التى تقع بجانب باب المنزل الرئيس حيث يعيش مارس، . ليس مارس المختص بالحرث، مارس، المختص بالخيول والثيران، ليس مارس راعى الذئاب، ولكن مارس الآخر: مارس السيف، والرماح، والدروع، التى أحضرها (الكهنة القفازون) فى اليوم الأول من العام الجديد، يلوحون به، يمشون معه، يرفعونه لأعلى، يرقصون ويقفزون معه فى الشوارع وعبر الحقول. سوف يتم التخلص مرة أخرى من مارس فقط بعد التضحية بحصان أكتوبر، وانقضاء الشتاء نفسه بكل ما فيه من برد ومطر وعتمة، ويسود السلام.

لم يكن هناك مذبح لـ"مارس" فى المدينة. كان الرجال يعبدونه. أما أنا كفتاة عذراء فلم يكن لى شأن به، ولا أريد منه شيئاً. فالمنزل الذى حفظته فعلاً كان مغلقا أمامه، كما كان هو مغلقاً بالنسبة إلىّ.

---

(١) آلهة الحرب عند الرومان واليونانيين. (المراجع).

(٢) إلهة النار عند الرومان. (المراجع).

ولكننى وفيت بالعهد. هو لم يفعل.

عندما كنت صبية، لم أكن أعرفه بما يكفى كى أخشاه. كنت أحب أن أرى "القفازين" وهم يتدافعون لفتح الحجرة المغلقة فى اليوم الأول من مارس، ويأتون بأقنعتهم وقبعاتهم الحمراء العالية المسحوبة إلى أعلى، يرقصون، يدفعون بالعام القديم، ويستقبلون العام الجديد. يلوحون بالرماح الطويلة، والدروع المشكلة مثل وجه بومة، يثبون، ويتصايحون، فى شوارع "لورنتيوم"، "مافورس! مافورس.! ماكت إيستو!". كنا نحن الفتيات نجرى منهم ونختبئ ، كما هو متوقع منا أن نفعل، مطيعات ضاحكات مصطنعات الخوف. كنا نقول: كيف يحب الرجال أن يضربوا بأسهمهم ويلوحوا بها فى الهواء. كيف يحبون أن يلكزوا بأسهمهم ويخزون برماحهم. يتمنون أن يكون طول أسهمهم عشرة أقدام!.

لأننا كنا نحيا بسلام، كنت أضحك مما يفعله القفازون، ولأننا كنا فى سلام أيضا كان بإمكانى المبيت بمفردى فى "ألبونيا"، ولأننا كنا فى السلام فإن أبى لم ير ضرراً حينما بدأ المزيد من الخطاب يأتون إلى "الريجيا" ويطلبون يدى. دعهم يتنافسون الواحد مع الآخر، دع "أفينتنيوس" يعبس فى وجه تورنوس دع تورنوس يزدرى ألمو الشاب، إنهم لا يجرءون على الشجار تحت سقف الملك، أو يخرقون سلام الملك عبرحدودهم. أحدهم سوف يبرهن أنه الأفضل بين الجميع فى النهاية ويأخذنى معه إلى بيته، فيما

الآخرون ينبغى أن يبذلوا أقصى ما عندهم. كان أبى يستمتع جدا بزياراتهم أكثر منى. لقد أحضروا الرجولة الشابة إلى منزلنا. كان يحب أن يقيم لهم المآدب، ويقدم لهم النبيذ، يصب لهم كئوسهم حتى تمتلئ مرة تلو الأخرى، كان يحب الهدايا التى يحضرونها معهم، من لحوم الطيور، أو من الحملان والخنازير الصغيرة السوداء، أحَب أن يدعهم يشاهدون ملكته المتألقة الجميلة التى تصغره بسنوات كثيرة، ولا تكبرهم سوى بأعوام قليلة، كان كريماً فى ضيافته، وقد جردهم لطفه من حساسيتهم واحتدام المنافسة فيما بينهم. كانت جلساتهم غالبًا ما تنتهى ليلاً وهم يتضاحكون بالقرب من الطاولة الكبيرة، لقد قام بكل ما باستطاعته لتجنب أسباب الشجار، محاولا التقريب بين الملوك وشيوخ القبائل.

لو كان هو أبى وأمى، ربما كان باستطاعتى أن آخذ أمر خُطابى ببساطة وسرور كما فعل هو. كان البعض منهم رفاقاً جيدين. وآخرون كانوا يبعثون على الضحك بسهولة. يوفينس من نيرساى، رجل جبلى، أتى مرتدياً جلد ذئب، وقبعة من جلد الذئب أيضاً، لحيتة سوداء مجعدة تغطى وجهه الأحمر كله، يتلفت حوله كما لو أنه لم يأت إلى المدينة من قبل، يحدق فى كل شخص فيما عدا أنا، لم يكن باستطاعته النظر إلى على الإطلاق. تيتا والنساء الآخريات كن يغيظننى باستمرار بالحديث عن الزواج منه يصفنه قائلات: "ابن الذئب"، ويلقبنه (صاحب اللحية الكثيفة) وكنت

أضحك معهن. لكننى كنت مهذبة وحذرة ومتحفظة مع كل خُطابى، حتى فيما يتجاوز حالتى كعذراء يخطبون ودها. بالنسبة إلى أمى لم تأخذ الأمر ببساطة على الإطلاق، وقد جعلت من وضعى معقداً وغير طبيعى.

أرادت أن تزوجنى من ابن أختها تورنوس من أرديا، تملكتها هذه الرغبة تماماً، كانت تفضل تورنوس بوضوح، تمنحه كل الابتسامات اللطيفة وبالكاد تلاطف الآخرين الذين يقفون فى طريقه. كان تحيزها نحوه يُصَعِب الأمر حتى على الرجال الأثرياء مثل آفينتيوس الذى تقدم لخطبتى، وكان صعبًا على رجل شاب مثل ألمو، ابن تيروس المسئول عن رعاية قطعان المواشى الملكية، وشقيق سيلفيا الأكبر. كان ألمو يسعى إلى خطبتى بقوة كبيرة، وفى مقابل منافس قوى مثل الملك تورنوس كانت فرصته ضئيلة. لكن تقربه إلى لم يكن مجرد طموح، فقد كان يحبنى، أما أنا فقد كنت معجبة به طوال حياتى كأخ تقريباً، كنت أحس بالأسف نحوه، وأشفق عليه، وكذلك منحته أملاً كاذباً. أمى لم يكن لديها أى عطف نحوه. كانت تغار بشدة على شرفنا الملكى، وعاملت ألمو كراعى بقر. لم يكن أبى يسمح بحدوث مثل هذه الفظاظات فى مجلسه، لكنه كان يترك كل ما تفعله أمى وتقوله يمر. وهى كانت تخفى عنه أسوأ تصرفاتها. هكذا كانت اللعبة التى لعباها، ذلك أنها يمكن أن تكون مجنونة، إلا أنها ليست مجنونة، لأنها ربما لا تعرف أنها كانت مجنونة.

لم أكن أريد أن يتملقنى أحد، ولم أرغب فى تلقى الطيور والخنازير والحملان واللحوم، ولا المديح والتودد. لم أرغب فى الجلوس إلى المأدبة، عذراء مطيعة صامتة، بينما أمى أماتا تزدرى الرجال الشرفاء وتتجاهلهم وتدير ظهرها لهم، بينما تتودد وتمنح ابتساماتها لابن أختها الوسيم، صاحب العينين الزرقاوين "تورنوس".

هو لم يكن يرفضها أو يصدها أبداً بالطبع، كان يبتسم ويتمتم ويخفض أجفانه، ويرفعهم ثانية، مبتسماً، وينظر مباشرة لما يريده من خلالها. ألم تكن هى تلاحظ ذلك؟ كيف تمكنت أنا العذراء الساذجة، ذات السبعة عشر عاماً من رؤية هذا وهى لا تراه؟ هل كان أبى يجلس عند رأس المائدة ولا يلاحظ شيئاً؟

إن "درانسيس"، صديق أبى القديم ومستشاره، هو الشخص الوحيد من أهل البيت الذى أظهر كرهه، وعدم ثقته بـ "تورنوس". كان درانسيس معجبًا بنفسه بشدة، واعتاد أن يعطى مواعظه ونصائحه على مائدتنا، والآن تعين عليه أن ينصت لحكايات تورنوس عن مآثره، وانتصاراته، فى المناوشات والغارات، وصموده أمام الفظاظات غير المقصودة المعتادة من الشباب المتهورين. رأيت درانسيس يراقب تورنوس باهتمام شديد، ويراقب أمى أيضاً. فى بعض الأحيان، كان ينظر إلى والدى أو حتى إلى، كما لو أنه يقول: هل ترين؟ أبى لم يكن متأثراً، وأنا لم أكن أبادله النظر. لم أرغب فى أن أفعل شيئًا مع درانسيس، فقد

بدا كما لو أنه يعرف ما أعرفه، لكننى لم أعرف ما الذى سيفعله بهذه المعرفة.

حضرت إلى المأدبة لأنه كان يجب أن أحضر، وغادرتها بأقصى سرعة حينما استطعت. كانت الطريقة الوحيدة لتجنب من أتوا يطلبون خطبتى هى ألا أكون فى البيت على الإطلاق. فى تلك الأيام كنت أذهب إلى مزرعة "سيلفيا" حين أعرف أن شقيقها المسكين والغيور ألمو لن يكون هناك. استطعت أن أبتعد عن "الريجيا" فقط عن طريق الذهاب إلى "ألبونيا".

كان ما أثار غضب أمى هو أننى كنت موهوبة مثل أبى فى التحدث مع الأرواح. لقد منحنى هذا نوعاً من الأهمية الغامضة التى أثارت ازدراءها، وكنت أتفق معها من صميم قلبى: بأنها أهمية زائفة. لكن الموهبة كانت حقيقية. كانت مفيدة بالنسبة إلىّ كمبرر لعدم التواجد فى البيت دوماً، أرتدى الرداء الأبيض وأضع على رأسى إكليل الأضاحى الرقيق، بينما خُطابى مجتمعون، يشربون نبيذهم، وتورنوس يمتدح أمى، ويضحك مع أبى، وينظر إلى كما ينظر جزار إلى بقرة. حاولت أماتا أن تمنعنى من الذهاب إلى المكان المقدس، لعديد من المبررات الوجيهة التى تعرضها ببلاغة. بدا أبى كالعادة كما لو أنه لا يسمعها. وكانت تلك هى فى العادة الطريقة التى تسير عليها الأمور. ولكن حينما أكون مهتمة فإن سمعه يختلف. فهو يلوح

بيديه بهدوء ويقول: "إنه يسبب أذى للطفلة"، أو يقول: لأمير أفينتينوس سيظل هنا بدون شك حينما تعود. ويدعنى أذهب. ارتديت ثوبى الأحمر الطويل، وأبلغت مارونا أن تستعد لأننا سنذهب إلى الغابة المقدسة فجراً.

جاء تورنوس إلى زيارتنا فى آخر شهر أبريل من ذلك العام، كنت حينها فى الثامنة عشرة من عمرى. أحضر معه لوالدى عربة محملة بالهدايا المدهشة. إحدى هذه الهدايا، مخلوق صغير مرعب، أخبرنا أن البحارة أحضروه معهم من إفريقيا، لديه يدان وقدمان مثلنا، ووجهه مثل طفل أفطس الأنف. أتى به وهو يعتلى كتفيه ويرتدى رداء رقيقاً. كان يتسلق ما حوله، يصدر أصواتاً، يجذب الأشياء ثم يلقيها لتتحول إلى قطع صغيرة. ينثر الملح، ثم يتوقف ليجلس ويربت على عضوه الجنسى محدقاً نحونا بعيون سوداء لامعة. وكان كل فرد يجلس على المائدة الطويلة. لقد قدمه تحبباً لى، حاولت أن أكون لطيفة مع الحيوان الصغير، لكننى لم أحبه، كما أنه لم يحبنى. قام ببعثرة شعرى وبال على ثوبى، ثم تعلق بذراعى أمى. قبلته وأخذت تلاطفه، جذب السلاسل التى تزين عنقها، وانتزع السلاسل الذهبية الصغيرة، التى تحتفظ فيها بأحجبة أخوىَّ، ووضع إحداها فى فمه. حين رأيت هذا داهمنى إحساس بالغثيان. كان على أن أطلب الأذن للانصراف، وكالمعتاد أذن أبى لى، على الرغم من أن أمى كانت تود منى أن أبقى.

ركضت نحو الفناء الخارجى، وتوقفت بالقرب من النافورة تحت شجرة الغار الضخمة، كى أغسل وجهى ويدى وثوبى الذى بال عليه ذلك الحيوان. كانت ليلة باردة، والنجوم تلمع عبر أوراق شجرة الغار. كم أحببت هذا المنزل! كيف بإمكانى تركه، ترك أرواح الشجرة، والنهر، وغرف الخزين والموقد، وأهلى، كيف أترك تلك القوى الحميمة المألوفة وأذهب لأخدم أهل شخص غريب فى مكان غريب؟ ستكون عبودية. لن أفعل هذا. ربما أود لو أتزوج ألمو، ويجعله أبى وريثا له، ليكون ملكاً من بعده، ونعيش هنا، هنا، ليس فى أى مكان آخر... عرفت أن هذا لن يحدث. فعلى الرغم من أن أبى ليس لديه وريث، وينبغى فى يوم ما أن يعلن عن وريثه، أو يتبنى ابناً. ظننت أنه لم يكن يهمنى من سيكون الوريث بعد وقت طويل، لكننى تمنيت ألا يكون تورنوس. لم يكن هناك خطأ كبير فى "تورنوس" نفسه، لكن الخلل الواضح كان فى الطريقة التى نظرت بها أمى إليه.

ذهبت إلى مكان النساء فى البيت، أخبرت مارونا أننا سنذهب إلى الغابة غداً صباحاً. فيستينا العجوز قالت: "الأمير الروتالى وصل تواً يا طفلتى! وهذا فيه شىء من قلة الكياسة"، ووالدة مارونا، الجارية الإتروسكانية، المرأة اللطيفة والحكيمة التى علمتنى قراءة حركات الطيور، قالت: "أظن أنه من الأفضل التأجيل إلى يوم أو يومين".

قلت، وأنا أحدق فى المرآتين معًا بعد أن تجرأت على الكلام : "والدتى قادرة على الترحيب بالملك 'تورنوس 'أكثر منى أنا".

همهمت فيستينا : لكنها أنت، أنت التى جاء لرؤيتها، فأى أحد يمكنه أن يلاحظ كيف ينظر إليك وكيف تملكين قلبه. والدة مارونا لم تقل شيئاً، وفى اليوم الثانى غادرت مع "مارونا" مع أول شعاع ضوء.

أخذت حقيبتى التى تحتوى وجبة مملحة. كانت المراعى مليئة بالحملان الصغيرة التى ترعى فى الحقول الربيعية، يلفون ذيولهم وهم يرضعون من الحلمة. ولكن لم أكن بحاجة للتضحية بالدماء حينما ذهبت إلى ألبونيا. نثرت السالساmola على المذبح، ونمت على الصوف القديم من الأضحيات السابقة. لم أسع إلى المشاهدة، أو اصطحاب دليل.

كل ما أردته حينما ذهبت إلى هناك هو أن أنام فى هذا الهدوء، مع هذه الأرواح التى تتجسد من حولى فى روح ألبونيا. الليلة التى أمضيتها هناك جعلت قلبى أكثر صفاءً وعقلى أشد هدوءًا، لذا صار بإمكانى الرجوع إلى بيتى والقيام بواجبى.

كان السير هناك، نوعاً من الهروب، وأيضاً وقتاً للتمتع بالحرية. لم تكن مارونا مرحة ومغامرة مثل سيلفيا، ولم نكن نتحدث أنا وهى طوال اليوم حين سرنا معاً، كما كنا نفعل أنا وسيلفيا. فقد كانت مارونا تميل إلى الصمت، لكنها شديدة اليقظة والتنبه،

تلاحظ كل الأشياء فى الأرض أو فى السماء، كانت صبورة ودودة، ورفيقة جيدة. لم تكن لها طريقة "سيلفيا" مع الحيوانات، لكنها عرفت الطيور، كما تعلمت الكثير من المعارف التى تتقنها أمها، لذا كنا نتحدث عما يمكن أن نقرأه فى نداءات الطيور وفى طيرانها فى الحقول والأراضى البرية.من حولنا كلما تقدمنا.

وفى بعض الأحيان كنا نتحدث عما يمكن أن يقوله الموتى لنا. فى أتروريا كانوا يفكرون كثيراً بالموتى، وتدربت والدة مارونا على هذه المعرفة عندما كانت فتاة فى المدينة العظيمة "كايرى". كنت أحس بالجهل والسذاجة عندما تتحدث هى أو ابنتها عن ذلك. بالنسبة إلىّ كان من الأفضل دفن الموتى وتركهم فى سلام، ولا نفكر فيهم إلا قليلاً، إذ لا أحد يرغب فى أن يراهم ظلالاً تعسة تزحف على الأرض، أو تختبئ تحت الطاولة، تلتقط بقايا الطعام المتساقط، لأنهم كانوا جائعين، الموتى جوعى دائماً. وفى كل ربيع كان أبى مثل أى رب أسرة فى لاتينيوم، يطوف حول بيته كله فى منتصف الليل، ويضع فى فمه تسع حبات من الفول الأسود، وحين يبصقهم خارج فمه كان يقول: "فلترحل الأشباح!" - عندئذ تقوم الأشباح التى أزعجت سكان المنزل بأكل حبات الفول والعودة إلى تحت الأرض.

لكن حسب ما تقوله والدة مارونا، إن مسألة الأموات ليست بهذه البساطة.

ربما كانت هى من فتحت ذهنى على هذا الأمر لذا حينما نمت فى غابة ألبونيا فى تلك الليلة فى شهر إبريل وكنت فى الثامنة عشرة من عمرى، على تلك الأرض التى تشكل سقف العالم السفلى، تمكن الشاعر من أن يأتى إلى وتمكنت من رؤيته والتخاطب معه.

توقفت مارونا فى الممر عند كوخ الحطاب، وذهبت أنا إلى الغابة بمفردى. وحينما مشيت إلى هناك تذكرت الحلم الذى شاهدته فى أول مرة أتيت فيها إلى ألبونيا. الدماء فى النهر، المدينة فوق التل، والإشعاع الهادئ الذى بدد الظلام تحت الأشجار.

لم يكن هناك أى أحد فى المكان المقدس، لكن كانت هناك أضحيات حديثة، قطع صوف جديدة ملقاة على الأرض، وكومة من الأخشاب غير المحترقة بجوار المذبح. نثرت الملح عند المذبح، وعند السياج كله، وتمنيت لو كان بإمكانى أن أشعل بعض النيران. لكننى لم أحضر شيئاً منها. لذا ذهبت إلى الجداول، بينما الشمس مازالت مشرقة، وجلست على صخرة بارزة عند فم الكهف، راقبت الضوء يصير أكثر احمراراً عبر البرك الضبابية، وسمعت الضجيج الذى تحدثه حركة المياه. وبعد مرور برهة من الوقت، انتقلت إلى أعلى التل، حيث استطعت الإصغاء للطيور وهى تغنى هنا وهناك فيما بين الأشجار الصامتة. كان حضور الأشجار قوياً جداً. للوهلة الأولى تعجبت إذا كان بمقدورى أن أسمع الصوت الذى سمعه أبى

يتحدث إليه من بين الأشجار فى الظلام، كانت أشجار السنديان الضخمة، كثيرة جداً وكثيفة فى حياتها الأخرى، فى صمت جذورها العميقة. لقد انتقلت رهبتها إلى، رهبة الدين. عدت نحو السياج المقدس لأصلى، أتضرع بخشوع للقوى العظيمة أن تكون رحيمة بى عند ضعفى. كنت فرحة لأنى لم أشعل ناراً. أخذت كومة من الصوف ووضعتها عند أطراف ثوبى الأحمر، لأن الهواء كان بارداً، ثم رقدت فى ذلك الغسق لأنام.

تنبهت إلى وجود خيال يقف داخل السياج، على الجانب الآخر من المذبح: ظل طويل. فى اللحظة الأولى ظننت أنه ظل شجرة، ثم أدركت أنه رجل.

جلست وقلت: "مرحباً بك هنا".

لم أكن خائفة لكن الرهبة تملكتنى، وسيطر على شعور دينى.

قال: "ما هذا المكان؟" كان صوته منخفضاً جداً.

"مذبح 'ألبونيا.'"

قال: ألبونيا! تمكنت من رؤيته وهو يتلفت حوله، على الرغم من أن المكان مظلم جداً. وعتم ضباب عالٍ ورقيق على ضوء النجوم. عاد وقال بعد دقيقة متسائلاً مع ضحكة خفيفة تغلف نبرة صوته: "هى كذلك! - ومَنْ أنت؟"

لافينيا ابنة لاتينوس.

ومـرة أخـرى كـرر الاسم، لافـيـنـيـا، ثم ضـحك ضحكة صغيرة، بسرور وتعجب، وأخيراً قال: هل من الممكن أن أبقى قليلاً يا لافينيا يا ابنة الملك لاتينوس.

قلت: "المذبح مفتوح لكل الناس. يوجد هنا بعض الصوف، بإمكانك الجلوس أو الاستلقاء عليه. لدى ما يزيد عن حاجتى".

قال: "لا أريد شيئاً يا ابنة الملك". اقترب منى عدة خطوات حينها لم يعد المذبح يفصل بيننا، جلس على الأرض. قـال: "أنـا شـبح، أنـا غيـر مـوجـود بـجـسـدى. جسدى يرقد على مقدمة السفينة المبحرة من اليونان إلى إيـطـالـيـا، لـكن لا أظن أنـنـى سـأعـود إلى بروندیزيم[1] حتى لو عادت السفينة، أنا مريض، أنا أحتضر، أنا فى طريقى إلى.. آشيرون..[2] أو ربما أكون حلماً كاذباً. لكن الأحلام الكاذبة تأتى من أسفل، من هناك، أليس كذلك، إنها تتجمع مثل الخفافيش فى الأشجار الضخمة عند بوابات مملكة الظلال... لذا من الممكن أنه أكون خفاشاً يطير من حادس[3] حلم قد طار إلى حلم. إلى قصيدتى. إلى ألبونيا البستان المقدس؛ حيث سمع الملك لاتينيوسنبؤة فاونس[4]جده ألا يزوج ابنته لرجل من لاتيوم... كان صوته منخفضاً وعذباً، مثل صوت شخص يتكلم إلى

(١) مدينة إيطالية قديمة تقع فى إقليم أبوليا. (المراجع).
(٢) نهر الألم فى الميثولوجيا اليونانية. (المراجع).
(٣) العالم السفلى للموتى فى الميثولوجيا اليونانية. (المراجع).
(٤) إله رومانى للغابات والسهول. (المراجع).

الأرواح، يصلى، كانت تتخلله ضحكة من حين إلى آخر.

لكننى قلت بحدة: "وهل فعل حقاً"؟ لم أستطع منع نفسى. لكن من المؤكد أن أبى كان سيخبرنى بالأمر لو أنه تلقى مثل هذا التحذير، لماذا يخفيه عنى؟

توقف الرجل ـ الشبح ـ، فكر ثم قال: "ربما ليس بعد".

عرف أنه فاجأنى، وأزعجنى بما قال، وأراد أن يطمئننى، أحسست للمرة الأولى بعطفه، ودماثته الشديدة، وحساسيته لكل معاناة.

وأكمل متردداً: "أظن أن هذا لم يحدث بعد. فاونوس لم يتكلم مع لاتينوس. ربما لم يفعل ذلك أبدًا ـ ولن يحدث ذلك أبداً، ليس عليك أن تقلقى بهذا الشأن، لقد فعلته، تخيلته. حلم داخل حلم... داخل الحلم الذى كان هو حياتى...".

قلت بعد برهة: "أنا لست حلماً، ولا أظن أننى أحلم". تكلمت باعتدال. لأنه كانت حزيناً، حزيناً جداً. قال إنه كان يحتضر. كان روحاً فقيرة، وضالة، ومحرومة. أردت أن أمنحه الراحة، راحة مطمئنة أكثر من التى يجدها فى الأحلام.

نظر إلىَّ كما لو إنه قادر على رؤيتى، كما لو أن الضوء يملأ المكان. ليس ضوء الشمس أو القمر

أوالنجوم أو النيران. كان يتفحصنى. لم يزعجنى ذلك. لم يكن فيه أى نوع من الوقاحة، كما أنه لم يخف منى.

قال: "أصدقك، كم عمرك يا لافينيا"؟

"الثامنة عشرة فى آخر يناير".

قال بلطف: "جاهزة الآن لاستقبال رجل، إنه العمر المناسب للزواج". وعرفت أنها سطر من أغنية، على الرغم من أننى لم أكن أعرف الأغنية.

قلت بجفاف: "نعم... هذا صحيح". لم أحس بأى خجل أو ادعاء معه.

استدعى ردى ضحكته القصيرة مرة أخرى.

قال: "ربما لم أكن عادلاً معك يا لافينيا". وبدا عليه أنه يمكنه قول أى شىء لى سواء فهمته أو لا. كان هذا صحيحاً تماماً.

"بماذا أناديك"؟.

قال لى اسمه، وقلت: "أنت إتروسكانى؟"

أجابنى قائلاً: "أنا من مانتوان لدى أجداد إتروسكانيون كيف عرفت"؟

مارو.. مارو، إنه اسم إتروسكانى.

إنه بالفعل كذلك، لكن منذ متى عشتِ يا لافينيا قرون، وقرون! هل يوجد أى أحد من المانتو الآن - حتى الآن؟ هل تعرفين هذا الاسم؟

"لا"

قال بعد فترة توقف، بنوع من التعجب الشغوف المتعجل: روما هل تعرفين هذا الاسم؟"

قلت: "لا، لكن الإتروسكانيين ينادونه". وتوقفت. فالاسم السرى للنهر لا ينبغى أن يُقال للجميع، هل عرفه؟ لكن لماذا نحفظ الأسرار عن شبح، عن رجل محتضر؟ "أحد الأسماء المقدسة لـ تايبر هو رومون.

قال وهو يتحدث فى الظلام: جاءت إلى ألبونيا بنفسها، وعرفت أسماء النهر المقدس، وليس لديها رغبة فى الزواج. ولم أعرف شيئاً عن كل هذا! لم أنظر إليها أبداً، كان على أن أخبرها بما يفعله الرجال... ربما أستطيع". لكنه صمت فجأة، ثم قال فى الحال: "لكن.. لا.. لا توجد فرصة لذلك". نظر حوله مرة أخرى، تنهد وقال: "أظن أننى سأستيقظ وأرى ظهر تلك السفينة الملعونة، والنوارس تحوم فوقها، والشمس التى تمضى عبر السماء ببطء، وذاك الطبيب اليونانى الملعون...".

قلت، لقد فهم كل منا الآخر، لأننا تكلمنا باللغة ذاتها. أنا فهمته، على الرغم من أنه استخدم كلمات لم أكن أعرفها.

جلسنا فى صمت بعضاً من الوقت. نعقت بومة من جهة اليسار، فردت عليها بومة ثانية من الجهة اليمنى.

قال: "خبرينى، هل جاء الطرواديون".

لم أفهم معنى كلمته. "خبرنى مَنْ هم"؟

أجاب بصوت متردد: "ستعرفين من هم، عندما يصلون يا ابنة "لاتينوس". تردد فى كلامه ثم قال: أتطلع لما يمكننى فعله هنا، هل سيكون الأمر صائباً بالنسبة إلىّ لو أخبرتك؟ هل تودين معرفة ما ينتظرك فى المستقبل يا لافينيا.

قلت فى الحال "لا". ثم فكرت قليلاً بواجبى، أو فى إرادتى وقلت فى النهاية: "أريد أن أعرف ما ينبغى على فعله، ولا أريد معرفة ما سيحدث".

قال بحزن موافقاً: "يكفى أن تعرفى ما يجب أن ينتج عنه". أحسست بظل ابتسامته، لكننى لم أتمكن من رؤيتها.

البومة التى تقف على الجانب الأيسر عادت تنعق، وأجابتها البومة التى تقف فى الجهة اليمنى.

قال: "يا لبرودة هذا الهواء، كما أنها ليلة معتمة جداً، البومة تنادى، والأرض، والتربة، هذه هى إيطاليا أنا فى وطنى... أتمنى لو أموت هنا. هنا.. وليس على ظهر السفينة فى عرض البحر تحت الشمس الساطعة. هنا على هذه التربة، لكن هذا ليس جسدى، هذا مجرد هذيان."

قلت: "لكنى أظن أنك هنا، فقط جسدك غير موجود. وهأنا أراك وأتحدث معك. خبرنى، من الطرواديون"؟.

أجاب: "لا.. لا.. لا أستطيع. هم على وشك الوصول. افعلى ما ينبغى عليك فعله، وما سيحدث

بعد ذلك هو ما يجب أن يحدث". ثم ضحك وقال: "هل لديك خُطاب يا "لافينيا" جاهزة لاستقبال رجل، العمر مناسب للزواج"؟

"نعم".

"وما أسماؤهم؟"

كلاوسوس السابينى، ألمو ابن تيرنوس، وأوفينيس، من نيرساو، أفينتينوس، وتورنوس، من روتاليا.

"وأنت، لا تفضلين أياً منهم"؟

"لا أفضل أياً منهم"

"لم هذا؟"

"ولماذا أفضل أياً منهم، هل هناك رجل سيأخذنى لبيت أفضل من بيت أبى، لماذا على القبول بملك أقل؟ لماذا على أن أخدم لاريس [1] ليست من آلهة عائلتى، وأخدم بيناتس[2] إلهة بيوت النساء الأخريات، وإشعال النيران فى مواقد غريبة؟ لماذا ينبغى على الفتاة أن تنشأ فى بيت، ويتم نفيها إلى بيت آخر طوال حياتها"؟

وقال فى هذه المرة بدون أن يضحك لكنه تنهد طويلاً: "آه، لا أعرف يا لافينيا لا أعرف. لكن اسمعى. إذا جاء رجل. إذا جاء رجل للزواج منك، سيكون محارباً من بين الآلاف، بطلاً، وسيماً ـ".

(١) لاريس ـ Lares: إله أو روح حارسة عند الرومان القدماء تسكن بيتًا مأهولاً. (المراجع).

(٢) بيناتس ـ Penates: آلهة البيت عند الرومان. (المراجع).

"تورنوس فيه كل هذا".

"هل هو رحيم؟"

فاجأتنى كلمته، لكن ليس لدى شك فى إجابتى فقلت: "لا".

قال: "حسناً، إذا جاء رجل بطل، وأيضاً مسئول، وعادل ومخلص، رجل فقد الكثير، وعانى معاناة كبيرة، ارتكب أخطاء عديدة ودفع ثمنها كلها - رجل شاهد مدينته يُغدر بها، وتحترق، وقام بإنقاذ والده وابنه من الحريق، رجل ذهب حياً للعالم السفلى وعاد من جديد، الرجل الذى تعلم الرحمة بأصعب الطرق... هل ستفضلين هذا الرجل"؟

"بالتأكيد، كنت سأهتم به".

"سيكون من الحكمة أن تفعلى ذلك".

ساد صمت حميم فيما بيننا.

قلت أخيراً: "هل رأيت حينما يتنافس الشباب فى الصيد، أحياناً يربطون حمامة، ويضعون خيطاً حول ساقها، ويربطونها إلى قمة سارية عالية، ويرخون لها الخيط فتظن أن بإمكانها الطيران؟ وحينئذ تصير هدفاً لسهامهم".

"لو كنت رامياً، كنت سأقطع الخيط بالسهم الذى سأطلقه".

"رأيت هذا أيضاً. ولكن رجلا آخر سيطلق سهماً على الحمامة حينما تصبح حرة".

بعد هنيهة قلت: "ربما فقط لهذا السبب أن النساء لا يتعلمن رماية الأسهم".

"كاميليا فعلت. هل تعرفينها"؟

"امرأة رامية"؟

"إمرأة محاربة، جميلة، لا تقاوم، من فولشيا .

هززت رأسى، إن كل ما أعرفه عن "الفولشيين" هو ما قاله أبى: "مقاتلون شرسون، وحلفاء خائنون".

قال الشبح: "حسناً، أظن أننى اخترعتها، لكننى أحببتها".

"اخترعتها"؟

"أنا شاعر يا 'لافينيا ."'أحببت وقع الكلمة، لكنه رأى أننى لم أعرفها. قال: "(الفاتس)(*) النبوءة". كنت أعرف الكلمة بالطبع: النبوءات والكهنة. تماشى مع كونه "إتروتسكانياً"، ومع المعرفة التى بدا أنه يعرفها عما لم يحدث بعد. لكنى لم أعرف ما علاقة ذلك بالمرأة المحاربة، التى بدت بالنسبة إلىّ مجرد حكاية.

"هل ستخبرنى المزيد عن الرجل الذى سيأتى".

فكر قليلاً. على الرغم من أننا كنا نتكلم بسهولة وبساطة، وثقة تامة، وكما لو أن كلانا شبحان غير مؤذيين، وهشان، وبكل هذا الخلود أمامنا، ظل رجلاً يفكر قبل أن يتكلم.

(*) كلمة لاتينية Vates تعنى النبوءة أو الكهان والعرافين. (المراجع).

قال: "نعم، أستطيع ذلك. ماذا تريدين أن تعرفى".

" لماذا سيأتى إلى هنا؟"

"هذا ما لن أخبرك به الآن. الزمن سيخبرك. لكن أظن أنه لن يكون من الخطأ أن أخبرك من أين سيأتى".

"أنا أصغى". غمرنى إحساس بالراحة وأنا أجلس على الصوف.

أوه يا لافينيا أنت تستحقين عشر نساء مثل كاميليا .'وأنا لم أرها أبداً. حسناً، لا يهم هل سمعت من قبل عن 'طروادة.

نعم، إنها مدينة صغيرة تقع فى الجنوب من هنا، بالقرب من أرديا.

"آه.. لا.. لا ليست إترويا هذه المدينة كانت مدينة عظيمة، تقع فى أقصى الشرق من هنا، شرق البحر المتوسط، شرق الجزر اليونانية، على الشاطئ الآسيوى. كان هناك أمير جميل لطروادة يدعى باريس هرب هو وملكة اليونان معاً. استدعى زوجها الملوك الآخرين فى اليونان، وذهبوا إلى طروادة، جيش ضخم فيه آلاف من السفن ذات الحواف المدببة، لاستعادة المرأة. كان اسمها هيلين.

"ولماذا أرادوا إرجاعها".

"إن شرف زوجها يتطلب ذلك".

"أظن أن إعادة كرامته واعتباره تستوجب أن يطلقها ويبحث لنفسه عن امرأة دمثة".

لافينيا هؤلاء الناس كانوا يونانيين وليسوا رومانيين... ليسوا إيطاليين.

إيفاندرالملك اليونانى. أتعجب أن يطارد زوجة خائنة.

لافينيا يا ابنة الملك، هل تسمحين لى بسرد حكايتى؟

"آسفة.. لن أقاطعك".

قال وهو يستقيم فى جلسته على الأرض المظلمة: "إذًا سأخبرك القصة الكاملة لسقوط طروادة كما أخبرها آينيس لملكة قرطاج وتعاقبت آثار ظلال، ثم بدأ بالغناء.

لم يكن غناؤه يشبه غناء الرعاة، أو أهازيج البحارة، أو ترانيم أمبرفاليا[١] وكومبيتاليا[٢]، أو أغنيات النساء التى يغنينها أثناء الغزل والنسج والتنظيف. لم يكن للأغنية لحن، كلماتها كانت كلها موسيقى، كلماته تشبه قرع الطبول، طقطقات تلوح فى الأفق، خطوات الأقدام، ضربات المجاديف، دقات القلب، الموج الذى يتكسر على شاطئ طروادة البعيد عن العالم.

---

(١) Ambaralia شعيرة دينية رومانية من أجل النماء. (المراجع).

(٢) Compitalia احتفال دينى رومانى سنوى بآلهة البيت (المراجع).

لا أستطيع هنا أن أذكر كل أغنياته، عن الحصان العظيم، وعن الثعابين التى خرجت من البحر وعن سقوط المدينة. سأتحدث فقط عما يمكننى تذكره من الحكاية.

حين خرج اليونانيون من الحصان، ودخلت جيوشهم المدينة، قام آينيس المحارب الطروادى بمقاتلتهم فى الشوارع، قاوم بشكل جنونى، بكل ما فيه من غضب وفقدان للعقل حتى شاهد بيت الملك يحترق، فى تلك اللحظة فكر ببيته ومن يسكن هذا البيت وركض بعيداً. كان بيته يقع فى وسط المدينة وكان لايزال سليماً. رأى وهو يتنقل فى الشوارع قوى عظيمة تقوم وتستطلع وتتحرك فى الظلام. هذه هى القوى التى أرادت حرق طروادة. حين عاد إلى المنزل، حاول أن يقنع أهله بترك البيت والفرار من المدينة، النجاة بأنفسهم لكن والده نشيس لم يوافق على الهرب. كان آنشيس مصاباً بالعرج، لذا من الصعب أن يمشى بسهولة. وقال إنه يود أن يموت فى بيته، لكن سكان البيت لم يرغبوا فى تركه هناك والذهاب من دونه. آنشيس كان على وشك أن يستسلم لرغبته، وينطلق إلى الشوارع فى جنون حتى يُقتل فى القتال الدائر فى الشوارع. أوقفته زوجته كريوسا. قالت له إنه لا ينبغى عليه فعل ذلك. فمن واجبه، وواجبها محاولة إنقاذ أهاليهم.. حملت ابنتهما الأصغر آسكينوس معها، وبينما هى تتكلم، قال أحدهم: "انظروا"، حينها شاهدوا شعر الصبى يحترق، شعلة

نار متوهجة سقطت على رأسه، قاموا بإطفائها، لكن آنشيس العجوز قال: "إنها علامة جيدة". فرأوا حينئذ نجمة مسرعة تعبر السماء وتسقط فى أعلى الغابة، عند الجبل بعيداً عن المدينة. قال آنشيس إن عليهم أن يتبعوا تلك النجمة؛ لذا طلب آينيس من كل سكان البيت أن يركضوا سريعاً خارج المدينة إلى أى مكان يمكنهم بلوغه، وأخبرهم عن مكان اللقاء: عند المذبح القديم للإلهة "أم الحبوب" خارج بوابة المدينة تحت "جبل إيدا". عند ذلك حمل آنشيس آلهة البيت الذهبية فى وعاء طينى كبير، أما "آينيس" فقد حمل أباه آنشيس الأعرج على ظهره، وأمسك يد أسكانيوس الصغيرة فى يده، وتبعتهم كريوسا، وانطلقوا جميعاً باحثين عن طريقهم عبر الشوارع المظلمة.

لكن آنشيس شاهد جنوداً على جانب الطريق ونادى على آينيس لكى يهرب. وأطاع آينيس واستدار ليجرى على غير هدى فى الظلام، وفقد طريقه. فى آخر الأمر تعرف على الشارع وأخذ طريقه وهو مازال يحمل أبيه ويمسك بيده صغيره فى اتجاه البوابة، ووصل المذبح حيث وجد ناسه ينتظرونه. وهناك فى تلك اللحظة فقط أدرك أن زوجته لم تكن معهم. كانت خلفه حينما استدار وجرى، ولم ينظر مرة أخرى إلى الوراء ليرى ما إذا كانت معهم. كما لم يبصرها أى أحد آخر.

عاد وحده إلى المدينة، ركض نحو بيتهم لظنه أنها من الممكن أن تكون هناك، كان البيت بأكمله محترقاً،

كتلة من اللهب، ركض فى شوارع المدينة يبحث عنها صارخاً كريوسا .. كريوساً . عبر الأبنية المتهدمة والنيران والجنود يقتلون وينهبون. وحينئذ رآها واقفة أمامه فى الشارع المظلم. لكن كانت أطول مما هى عليه. قالت له: "أنا لن أذهب معك، كما لن أكون أسيرة عند اليونان، الأرض الأم تحفظنى. وأنت يجب أن تمضى بعيداً ولوقت طويل، يجب أن تذهب يا زوجى الحبيب، حتى تصل إلى أراضى الغرب. هناك ستكون ملكاً وستكون لك ملكة. لا تبك من أجلى، لكن دع حبك لى يكون حامياً لابننا!" . حاول أن يتكلم معها، أن يأخذها بين ذراعيه حاول ذلك مرات ثلاث، لكنه كان كمن يحاول الإمساك بالريح أو بالحلم. لقد اختفت فى الظلال.

عاد إلى المذبح، حيث وجد حشداً كبيراً من الناس انضموا إلى أهله هاربين من المدينة. لم يتبعهم أحد من الجنود اليونانيين خارج المدينة حتى الآن، حمل والده على ظهره من جديد وسار به صاعداً التلال حيث سقطت النجمة. كان الصباح على وشك البزوغ.

أذكر أن صوت الشاعر اختفى تماماً مع زقزقة أول عصفور، على الرغم من أنه لم يكن هناك أى ضوء فى السماء، ولا أى ضجيج، هنا أيضاً كان الصبح يوشك على البزوغ. نظرت نحو المكان الذى كان فيه ظل الشاعر فلم يكن هناك أى شىء.

استلقيت على الصوف ونمت حتى استيقظت على الضوء، ينفذ ويلتمع عبر الجذوع المظلمة وشجيرات الغابة.

كنت جائعة بشدة، مثل ذئبة شرهة. ذهبت مباشرة نحو بيت الحطاب، حيث كانت مارونا تنتظرنى فى بيت من البيوت القديمة، غرفة كبيرة مستديرة من الأوتاد، سقفها من فروع الأشجار، وكل ذلك مسقوف بالقش. سألت زوجة الحطاب عن طعام فلم يكن لديها شىء لتقدمه لى سوى عصيدة، وكوب من حليب الماعز، لكنها كانت مرعوبة أن تقدم لى مثل هذا الطعام كما لو أن الأمر فيه إهانة لى، وأننى سأغضب منها. اقتربت واحتضنتها وشكرتها لإطعامها للذئبة الجائعة ضحكت بارتباك شديد.

سألتها:"سآكل أى شىء عندك، ماذا سنأكل"؟ وقالت بارتياح: "هو يحضر لنا فى العادة أرنبًا، أو بعض العصافير".

قلت: "إذًا ربما أنتظركثيراً". لكن إجابتى أربكتها من جديد، مما لا شك فيه أنها ظنت أننى آكل اللحم دائماً فى بيت الملك. جلست مع "مارونا"، كان بداخلى طاقة كبيرة من الفرح فى ذاك الصباح. رأت "مارونا" ذلك وسألت: "هل كانت ليلتك جيدة هناك"؟

قلت، ولم أكن أعرف ما أعنيه تماماً: "نعم، لقد رأيت مملكتى". ولم أعرف ماذا كنت أعنيه. وقلت: "كما رأيت مدينة عظيمة تسقط، تحترق تماماً ورجل يأتى منها يحمل رجلاً آخر على ظهره يأتى إلى هنا".

استمعت إلى، صدقتى، ولم تسألنى أى سؤال.

أستطيع رؤية ذلك، فقد كان بإمكانى الكلام مع مارونا بهذه الطريقة فهى، رفيقتى وأختى، لكن لا يمكننى قول ذلك لأى أحد آخر.

كنت طوال الطريق حائرة، أفكر كيف السبيل إلى رجوعى إلى ألبونيا مرة أخرى فى أقرب وقت ممكن، والبقاء هناك لأكثر من ليلة. كنت على يقين بأن الشاعر سيأتى إلى مرة أخرى، لكننى كنت متأكدة أيضاً أنه لن يأتى لوقت طويل. زمنه معى كان محدداً. كان فى طريقه للنزول إلى أرض الظلال ولن تكون رحلة طويلة بالنسبة إليه.

استدرت خارج مسارنا، واتجهت نحو النهر الصغير، براتى، كانت مياهه الضحلة تنساب وتلمع بين حجارة النهر. كنت عطشى. ملت لأشرب من عند حافة النهر، كانت هناك آثار حوافر ماشية على الأرض.

بعد أن توقفت عن الشرب، وأنا أنظر لمجرى النهر. تذكرت حلمى الذى شاهدته منذ ستة أعوام، ورأيت فيه دماء تلون مياه نهر نيوميكس اتجهت نحوى بومة، ووقفت وأخرجت "السالسامولا" من حقيبتى ونشرتها على الحجارة.

نظرت إلى المكان الذى تقف فيه مارونا عند أول النهر، فتاة طويلة فى مثل سنى بوجه إتروسكانى ناعم وغامق يميل إلى الطول. عدلت حقيبة متاعى وقلت لـ

ماروناً: ماروناً أحتاج أن أعود إلى ألبونيا مرة أخرى، وربما سأبقى لأكثر من ليلة".

أمعنت فى التفكير هنيهة من الزمن قبل أن تقول:

لكن ليس خلال وجود الملك تورنوس.

"لا".

"لكن حينما يغادر... هل سيسأل الملك لماذا تودين الذهاب"؟

"فى الغالب سيسأل ولا يمكن الكذب بشأن الأشياء المقدسة".

قالت "مارونا": "يمكنك أن تظلى صامتة، على الرغم من ذلك".

"أنا ابنة الملك"، قلت هذه العبارة وأنا أفكر كيف قالها لى الشاعر. "سوف أفعل ما سأفعل، وسوف يهز الملك رأسه". وضحكت بصوت عالٍ، ثم قلت: "انظرى مارونا انظرى هناك غزال سيلفيا ماذا يفعل بعيداً عن البيت"؟

كان الظبى الكبير يمشى عند جانب التل الذى يطل على الحقول الزراعية حيث المحاصيل الخضراء. كان القماش الحريرى الأبيض حول عنقه ممزقاً ورثاً. لكن كان يحيط بقرونه قماش مخملى جديد.

كان الظبى الكبير يمشى فى الحقول، يقضم سيقان النباتات هنا وهناك، متجاهلاً صاحبته تماماً.

قالت مارونا: هذا ما يفعله هنا بعيداً عن البيت.

لم يكن هناك ما يثقل على قلبى فى ذلك النهار لذا فقد ذهبت للكلام مع أبى وأنا فى تلك الحماسة قلت: أبى، هل تسمح لى بعد رحيل ضيفنا بالذهاب إلى ألبونيا مرة أخرى؟ مارونا ستذهب معى، وإذا كنت تظن أننا نحتاج لحماية فأرسل من تريد معنا، فأنا أود لو أظل هناك لأكثر من ليلة واحدة".

نظر إلى لاتينوس نظرة طويلة متأثرة ومتعاطفة وحكيمة، أوشك أن يطرح على سؤالاً، لكنه لم يفعل. يغمرنى الألم فى كل ليلة لا تبيتين فيها تحت سقف هذا البيت. لكننى أثق بك، اذهبى إلى المكان المقدس كلما أردت، وابقى قدر المستطاع، وارجعى وقتما تشائين.

"سأفعل" قلتها وأنا أتوجه إليه بالشكر. قبلنى على جبينى، لكن بما أنه الملك، وعليه أن يكون صارماً فقد قال لى: "أنتظر قدومك على مائدة العشاء هذه الليلة، لكن دون عبوس أو إغماء".

"إذاً أبعد المخلوق الإفريقى عنى".

قال أبى: "سأفعل" ورأيت أنه كان يفكر تماماً لو أن باستطاعته أن يبعد صاحب المخلوق الإفريقى عنى، لكنه لم يقل شيئاً.

تحملت ما تبقى من زيارة تورنوس بخضوع عذرى: ولم أتفوه سوى بكلمة أو كلمتين خلال المأدبة وفى الحقيقة تورنوس لم يبذل سوى جهد قليل للفت

انتباهى. لم يكن بحاجة لذلك. لقد كان هو أبى من يجب أن يسترضيه. فأمى بالطبع ـ تميل إليه وقد فاز برضاها. كانت خدعة تورنوس تقوم على تشجيعها للإعجاب به، لكن دون أن يسىء لأبى وأن يتحاور مع أبى ويلقى استحسانه أيضاً دون أن يجعلها تشعر بالإهمال. كان "تورنوس" رجلاً شرساً ومتهوراً اعتاد أن يحصل على ما يريد لكنه لم يكن يعرف السيطرة على لسانه. لقد استطاع أن يحتفظ بكل لياقاته ومجاملاته بحذر واضح، ولكن فى بعض الأحيان أعرف أنه يائس للحد الذى يتمنى فيه لو يقلب المائدة رأساً على عقب كما تمنيت أنا أيضاً. هذا الشعور منحنى تعاطفاً نحوه، لكن كقريب فقط.

لقد عقر الحيوان الذى جاء من إفريقيا أمى عقرة مؤلمة، ثم اختفى تماماً بعد ذلك. وعُثر عليه فيما بعد، بعد أن مزقته كلاب الصيد وقطعوه إرباً، وأكلوا أمعاءه، وتركوا ما تبقى منه بالقرب من حائط المنزل الخارجى، حيث مرت امرأة نساجة حامل وما إن رأت بقاياه على الأرض حتى أصابها ألم الولادة ووضعت طفلاً ميتاً. ذاك المخلوق الإفريقى كان أكثر مخلوق شاهدته جالباً لسوء الحظ.

عدت إلى المذبح فى ألبونيا مرة أخرى فى أول يوم من شهر مايو. خرجنا متأخرين من المنزل. وحين وصلت علقت حقيبة متاعى على أحد فروع الأشجار كى تبقى بعيدة عن الحشرات، ثم ذهبت إلى المذبح، ورقدت على كومة الصوف استعداداً للنوم. كانت

الظلمة شديدة. للمرة الثانية تمنيت لو كان لدى نار أضىء بها المكان، لكننى تركت الشعلة مع مارونا.. الأشجار المتجمعة بدت أكثر قوة فى الظلام. صاح صوت بومة، من الجهة اليمنى، لم يرد عليها أحد.

فى ذاك السكون العظيم، غاص قلبى بعيداً داخل صدرى، ما هذا الغباء الذى يدفعنى للقدوم إلى هنا؟ ما الذى أذكره عن ليلتى الأخيرة هنا؟ كان لدى حلم عن رجل يموت فى مكان ما، فى زمن آخر. ليس لديه شىء ليفعله معى. لهذا السبب عدت إلى هنا مرة أخرى، مع حقيبة طعامى البسيطة.

تمددت، كنت متعبة. ولم يمر وقت قليل حتى استغرقت فى النوم.

استيقظت على ظلمة شديدة خالية من النجوم، نظرت نحو المذبح، كان هناك.

قلت: "الشاعر".

قال: لافينيا.

كان صوت مطر خفيف يصدر طقطقة على الأرض، وعلى أوراق الأشجار فى الغابة، استمر المطر قليلاً ثم توقف.

جلس الشاعر فى المكان الذى جلس فيه من قبل ليس بعيداً عنى، على الأرض، ذراعاه تحيطان بركبتيه.

ـ سأل: "هل تشعرين بالبرد"؟

- "لا. وأنت"؟

- "نعم".

رغبت أن أقدم له قطعة من الصوف، لكننى كنت أعرف أن هذا غير مجدٍ.

"السفينة قادمة إلى الميناء". كان صوته لطيفاً ومرحاً، محملاً بالشغف ومنساباً بعذوبة، حتى حينما لا يغنى قصيدته. قصيدته التى تسمى كما أخبرنى فى الليلة الأولى، بالملحمة. "مررنا بجانب جيوش الميناء، حيث كانت سفن (بومبى)(*) المحاصرة. أستطيع أن أحس بارتفاع وانخفاض حركة الموج، وكيف يؤدى لمزيد من الغرق كنت أكره هذا الارتفاع والغرق عندما كنت خارج البحر، لكننى أفتقده الآن. حسناً سوف نصل إلى الشاطئ قريباً، لا أمواج على الإطلاق، فقط حرارة وفراش مسطح وعرق وألم وحرارة أكثر، وحرارة أقل... يا له من هروب هذا الذى منحنى إياه نوع من الآلهة! أن أكون هنا فى الظلام، تحت الأمطار، أن أشعر بالبرد وأرتعش. هل ترتعشين يا لافينيا"؟

- "لا، أنا بخير، أتمنى." ولم أعرف ماذا أقول. قلت: "أتمنى أن تكون بخير".

"أنا بخير، أنا فى حالة جيدة تماماً. أُتيح لى ما لم يُتح إلا لقلة من الشعراء. ربما لأننى لم أنهى

(*) Pompey بومبى العظيم: القائد العسكرى والسياسى للجمهورية الرومانية المتأخرة. (المراجع).

القصيدة؛ لذا فإننى أستطيع أن أعيش فيها. حتى وبينما أموت، أقدر على أن أحيا فيها. وأنت تستطيعين أن تعيشى فيها، فابقى هنا. كونى هنا لتتحدثى معى حتى لو لم أستطع أن أكتب. أخبرينى، أخبرينى يا ابنة الملك لاتينوس كيف تسير أحوال لاتينيوم.

"الربيع بدأ مبكراً، وتمت ولادة المواشى. حبوب الحنطة والشعير تبدو مرتفعة هذا الموسم. وكل شىء يجرى بسلام مع أرواح الأسلاف فى البيت. لكن فقط منسوب الملح يقل. ينبغى على الذهاب إلى النهر الكبير قريباً لإحضار الملح القذر وتنظيفه وتصفيته ونقعه وسحقه والقيام بكل التفاصيل ليصبح صالحاً للاستخدام".

"وكيف تعلمت القيام بكل ذلك يا لافينيا؟

"من النساء العجائز".

"ليس من أمك؟".

- "لا، أمى من أرديا وليس لديهم ضفاف من الملح هناك، هم يشترون الملح الخاص بهم من عند من يقومون بصنعه، لهذا السبب تتعلم نساؤنا كيف يصنعن الملح؛ لأننا نتاجر به. لكن الملح المقدس الخاص بالسالسامولا، أقوم بتصفيته بنفسى من البداية وحتى النهاية".

"ماذا تفضلين فعله الآن"؟

"أتحدث معك".

"وما الذى تريدين الكلام بشأنه"؟

"الطرواديون".

"وما الذى تودين معرفته عن الطرواديين؟".

أحسست بصعوبة لإيجاد عبارة البدء، لكننى قلت بسرعة: "حينما كانت طروادة تحترق... زوجته كروسا كانوا فى الشوارع يحاولون الهرب، كان يحمل الطفل، وهى خلفه، وافترقا. قتلها الجنود اليونان، ثم جاءت إليه، أطول من الحياة، هناك فى الظلام والحرائق، وأخبرته أنه ينبغى أن يذهب، ينقذ شعبه. وحاول أن يمسك بها ثلاث مرات، لكنها كانت فقط هواءً وظلالاً.

هز رأسه.

"لكن فيما بعد أنت قلت إنه ذهب إلى العالم السفلى، وتكلم مع أشباح الموتى، هل قابل زوجته هناك"؟

صمت الشاعر، ثم قال: "لا".

قلت، وأنا أحاول أن أتخيل الموتى: "ألم يستطع أن يجدها من بين الكثيرين"؟

"إنه لم يبحث عنها".

"لا أفهم".

"ولا أنا أيضاً، وأشك أننى سأتمكن من معرفة أى شىء حتى أذهب إلى هناك. لابد لنا جميعاً أن نتحمل ما بعد الحياة.. لقد فقدها. فى الحريق فى المذبحة

فى الشوارع، فقدها إلى الأبد. لم يستطع أن ينظر إلى الخلف. فهو لديه شعبه ليهتم به".

سألته بعد قليل من الوقت: "وإلى أين ذهبوا بعد مغادرتهم طروادة".

"لقد جالوا حول البحر المتوسط لوقت طويل لايعرفون أين يحط بهم الرحال! ثم جاءوا إلى صقلية وهناك مات والده وأبحروا من جديد بحثاً عن الأرض الموعودة، لكن رياحاً عاصفة عاكست قدرهم ودفعت بهم نحو ساحل إفريقى قفر".

"وماذا فعلوا هناك"؟

"شكروا الآلهة على النجاة وحصلوا لأنفسهم على بعض من لحوم الطرائد ليأكلوها، بعد ذلك ذهب آينيس وصديقه آشاتيس ليتعرفوا على البلدة التى رحلوا إليها، وقد لاحظوا أنها بلدة مبنية منذ وقت قريب. كانت تدعى قرطاج وسكانها كانوا فينيقيين وملكتها ديدو ورحبت بهم جميعًا".

"حدثنى عنها".

بدا على الشاعر التردد وأحسست أن السبب فى تردده هو علاقته بالملكة.

قلت: "لقد وقع فى حب الملكة ديدو، وشعرت بالتطفل الساذج والإحباط عندما قلت ذلك".

قال الشاعر بصوت تشوبه نغمة حزن واضحة: "لقد أحبته، أظن أنها ليست قصة مناسبة كى تُحكى لفتاة شابة يا لافينيا.

"لكننى لست فتاة صغيرة فأنا جاهرة لاستقبال رجل فى العمر المناسب للزواج، كما قلت أنت، وأعرف أن المرأة المتزوجة فى بعض الأحيان قد تقع فى حب".

أشك فى أنه سمع النبرة الجافة فى صوتى وأنا أقول هذه الكلمات. كان يفكر بالملكة الإفريقية.

"كانت أرملة ولم يكن هناك خطأ فى هذا. فيما عدا أن قلبها وأهواءها أخذاها بعيدًا، كانت تحتاج إلى ملك على الرغم من كونها حاكمة عادلة، محبوبة من الشعب. فقد أسست مدينة جميلة وكل شىء كان يسير بشكل منظم. لكن من النادر بالنسبة إلى امرأة أن تحكم لفترة زمنية طويلة. وهذا الأمر يجعل الرجال مستائين. كان جيرانها من الملوك والحكام يتوددون لها، يغازلونها، ويشتهون قوتها مستخدمين كل الوسائل ما بين الجذب والتهديد فى الوقت ذاته. وجاء آينيس المنقذ لها، كما لو إنه رد الملكة على كل الطامعين. محارب شجاع مع قواته الخاصة، رجل وُلِّد ليكون ملكاً. لكن ليست لديه مملكة. احتاجت له قبل أن تحبه كما أنها أحبت ابنه الصغير أسكانيوس منذ نظرت إليه لأول وهلة، حملته فى حضنها واحتضنته، ووعدته بقضاء وقت جميل وممتع، وبالطبع فقد أحبها الطفل الذى فقد أمه. أحبت الملكة ذلك القلب الدافئ، اللطيفة والجميلة التى لم يكن لديها أطفال، وقد لامس هذا الأمر قلب آينيس لأن ابنه كان كل عائلته التى تركها. وعد آينيس الملكة ديدو بأنه سيساعدها لتجعل مسيرتها تبدأ. وهكذا...".

وقفة.

قلت: "شيء واحد يقود إلى آخر".

"لا يمكن أن أعتاد على حقيقة أن النساء يولدن ساخرات، على الرغم من أننى أعرفها، فعلى الرجال أن يتعلموا السخرية. يمكن أن يتعلموها من البنات الصغيرات".

لم تكن لدى فكرة عن السخرية، لكنى فهمت ما يقصده.

"لم أكن أتكلم فى ازدراء. فالشيء يقود إلى آخر. لا ضرر فى ذلك. وإلا كيف يحب الأزواج والزوجات بعضهم البعض؟ فهى كانت تحتاج إلى رجل. وهو كان عطوفاً ونبيلاً ووسيماً ومحطماً. لقد وقعت فى حبه، وأية امرأة كانت ستحبه".

تمتم الشاعر: "لنقل أنها نبوءة".

"لكن هل أحبها هو"؟

نعم، أحبها. كانت جميلة، حيوية، عاطفية. وأى رجل سيحبها. لكن...".

"هل كان لا يزال حزينًا عِلى كروسا"؟

لا، زوجته ومدينته، كل ذلك أصبح فى الماضى. هناك سنوات وبحار وبلاد تباعد بينهم ولا رجوع للوراء. لكنه لم يكن يعرف كيف ينظر أمامه، كان يمسك باللحظة وبالزمن الحاضر، كان موت والده ضربة قاضية بالنسبة إليه، فقد كان يعتمد عليه

ويطيعه فى كل شىء، حتى عندما قادهم الرجل العجوز لسفر مجهول، لكن عندما مات وأخذ كل الماضى معه أحس آينيس بالضياع ولم يعرف كيف يستمر وحيداً. العاصفة التى هبت على سفنهم وأخذتهم بعيدا نحو بلاد لا يعرفونها، كانت هناك عاصفة مثلها فى روحه. لقد فقد طريقه".

"وإلى أين كان طريقه".

"هنا. إلى إيطاليا. إلى لاتينيوم كان يعرف ذلك".

"لماذا لم يكن مستقبله فى إفريقيا؟ لماذا لم يبق ويساعد الملكة فى بناء مدينتها، ويكون سعيداً معها"؟

كنت أتكلم بعقلانية، على الرغم من أننى فى الحقيقة لم أرغب فى أن يفعل هذا. كنت أجادل الشاعر.

وهو أيضا لم يناقشنى. هز رأسه. قال بعد فترة وهو مستغرق فى التفكير، "لقد كانت العاصفة هى التى جمعتهما أيضاً. فبينما كانا يصطادان، انفصلا عن باقى مجموعة الصيد. وكانت هناك عاصفة وأمطار. واحتميا فى كهف. وهكذا...".

سألت بعد فترة، "هل تزوجا؟"

"ديدو اعتبرت حبهما زواجاً، وادعت أنه زواج. هو لم يفعل. كان على حق".

"لماذا"؟

"ليس بمقدور الحاجة والحب أن يهزما القدر يا لافينيا كانت موهبة "آينيس "أنه يعرف قدره وما يجب أن يفعله وما عليه تجنبه على الرغم من الحاجة والحب".

"وماذا فعل"؟

"لقد تركها".

"هل هرب؟"

"هرب".

"وماذا فعلت؟"

"قتلت نفسها".

قلت أخيراً: "لم أتوقع ذلك أبدا ظننت أنها سترسل السفن خلف آينيس لتتعقبه وتنتقم منه. لم أحب تلك الملكة الإفريقية لكننى لم أنظر إليها باحتقار وفى النتيجة يبدو الانتحار رداً جباناً على الخيانة".

قال الشاعر برقة: "أنت لا تعرفين ما اليأس يا لافينيا وربما لن تعرفينه أبداً".

وافقت على ذلك. كنت أعرف ما اليأس. إنه ما حصل لأمى بعد موت ولديها. لم أختبر أحاسيس اليأس بنفسى لكننى أعرف كيف تكون.

قال: "كان موتاً صعباً لقد أغمدت سيفها فى مكان القلب وسبب لها الجرح موتاً بطيئاً، لذا طلبت منهم أن يشعلوا نيران محرقة الجثث التى جلست فيها

قبل أن تموت. شاهد آينيس دخان النار الهائلة وهو فى عرض البحر".

"وهل عرف ما هى"؟

"لا. ربما".

"لابد أن روحه كانت تتلوى بداخله فى كل مرة يفكر فى هذا. ألم يخجل أهله منه"؟

"حتى لو أصبح آينيس ملكًا على ذلك البلد فإنها ليست بلده، خاصة أن 'ديدو 'قد توقفت عن بناء المدينة وأسلمت المقاليد للحكومة. لقد فقدت احترام نفسها لأنها لم تعد تفكر فى شىء آخر غيره. لم تكن الأمور على خير ما يرام. كانوا سعداء بالتخلص منه". وقال بعد فترة: "لقد رأى ديدو تحت فى العالم السفلى. أشاحت بوجهها بعيداً عنه ورفضت الكلام معه".

لقد بدا ذلك صحيحاً فقط. لكن كان هناك حزن عميق فى القصة، عار مشين وكآبة وظلم لا يحتمل. لقد شعرت بالحزن على ثلاثتهم، كروسيا، وديدو وآينيس، لدرجة أننى لم أستطع أن أقول أى شىء. وجلسنا لوقت طويل فى صمت.

قال الشاعر بصوته الجميل الرقيق: "أخبرينى عن أسعد الأشياء، كيف قضيت أيامك".

"أنت تعرف كيف تمضى فتاة البيت وقتها".

"نعم أعرف فقد كان لدى أخت صغيرة فى مانتوا لكن هذه ليست مانتوا وأبانا لم يكن ملكاً..". وتوقف؛

فلم أقل شيئاً. قال: "فى أيام الأعياد يأتى كبار الرجال فى المدينة ليجلسوا على مائدة الملك، كما يصل الزوار من المدن الأخرى فى لاتينيوم وربما حلفاء من مناطق أبعد. وخُطابِك بالطبع. حدثينى عنهم".

جلست قليلاً فى العتمة، كان المطر قد توقف عن الهطول، والنجوم بدأت تلمع من جديد عبر أوراق أشجار الغابة التى تحيط بنا. "لقد جئت هنا لأهرب منهم أرجوك لا أريد الحديث عنهم".

ولا حتى تورنوس أليس وسيماً وشجاعاً جداً؟"

"نعم".

"أليس وسيمًا وشجاعًا كى يحرك قلب فتاة؟"

قلت: "أسأل أمى".

صمت فى تلك اللحظة وعندما تكلم ثانية غير نغمة حديثه من هم أصدقاؤك يا لافينيا.

"سيلفيا مارونا بعض الفتيات الأخريات. بعض النساء العجائز".

سيلفيا التى لديها ظبى مدلل؟

"نعم نحن رأيناه بهذه الطريقة أنا ومارونا كان يلاحق غزالة، كما يلاحق كلب كلبة. كلب له قرنان. لقد جعلنا نضحك".

قال: "الذكور فى الحب يكونون سخفاء، لايستطيعون مساعدته".

"كيف عرفت عن ظبى سيلفيا"

"لقد جاء إلىّ".

"أنت تعرف كل شىء، أليس كذلك"؟

"لا ..لا أعرف الكثير وما عرفته عنك، لم يكن إلا القليل جداً، أشياء سطحية وعادية وغير متخيلة، كنت أظن أنك شقراء.. لكن ليس من الممكن أن تكون لديك قصتا حب فى الملحمة. أين ستقع المعارك؟ وفى كل الأحوال، كيف يمكن للمرء أن ينهى القصة بزواج"؟

قلت: "تبدو بداية أكثر منها نهاية".

وأطرق كلانا فى التفكير.

قال: "كل ذلك غير صائب، سأطلب منهم أن يحرقوها".

أيا كان ما يعنيه فإن نبرة كلامه لم تعجبنى. قلت: "وحينئذ ينظر من الخارج على البحر ويرى اللهب العظيم المندلع"؟

أطلق ضحكة قصيرة. "أنت لديك نزعة قاسية يا لافينيا".

"لا أظن ذلك. ربما أنا أتمنى لو كنت كذلك. ربما سأحتاج إلى أن أكون قاسية".

"لا. لا. القسوة للضعيف".

"لا ليست للضعفاء فقط، ألا يكون السيد أقوى من العبد الذى يضربه؟ ألم يكن آينيس قاسيًا عندما تخلى عن ديدو لكن كانت هى الضعيفة".

نهض واقفاً، ظل طويلاً فى العتمة. تحرك للأمام والخلف قليلاً. قال: "التقى آينيس فى العالم السفلى صديقاً قديماً، أمير طروادى يسمى ديفويوس كان باريس الذى فر مع 'هيلين 'قد قُتِل فى الحرب. ولذلك فقد أعطى الطرواديون هيلين إلى شقيقه ديفوبوس.

"لماذا لم يضعوها خارج بوابة المدينة ويطلبون منها العودة إلى زوجها"؟

"سألت النساء الطرواديات هذا السؤال؛ لكن الرجال الطرواديين لم يسمعوه... حينها استولى الإغريق على المدينة وجاء مينيلوس يبحث عن زوجته المرأة التى حاربوا من أجلها. وقابلته هيلين أخذت زوجها القديم إلى الفراش، حيث كان زوجها الجديد مستغرقاً فى النوم. إنه لم يسمع أصوات المعارك. لم توقظه. سرقت سيفه. لذلك استيقظ على موته. طعنه الإغريق وقطعوه إرباً، مثلوا به أبشع تمثيل وقسموا وجهه إلى نصفين كانوا متعطشين للدماء، وكانت المرأة تشاهد كل ذلك. وهكذا ذهب ديفوبوس إلى أسفل فى الظلام. وأسفل هناك بعد عدة سنوات، رآه آينيس مازال ظله مشوهاً مقطعاً لم يبرأ. تحدثا قليلاً، لكن الدليل قطع كلامها ـ لا وقت لذلك لابد أن يُسرع آينيس. وقال الرجل المقتول أذهب، أذهب يا مجدى. أنا انتهيت. إننى ألحق بالجمع، أعود إلى الظلام. أتمنى أن تجد مصيراً أفضل. وتوارى بعيداً، وهو يتكلم".

جلست فى صمت كنت أريد البكاء لكن دموعى لم تتساقط.

قال الشاعر: "سأذهب قريباً سأنضم للجموع التى ابتلعها الظلام".

"ليس بعد".

"اتركينى أبقى هنا يا لافينيا اتركينى أبقى هنا، قولى لى إنه من الأفضل أن أبقى حياً، أن أكون عبداً يحيا أفضل من أخيلوس الميت. قولى لى إنه بإمكانى الانتهاء من عملى!".

"إذا لم تقم بالانتهاء منه فلن ينتهى أبدًا". تكلمت فقط لمجرد الكلام، قلت أول ما جاء على لسانى فقط لأمنحه بعض الراحة. "على أية حال كيف يمكنك إنهاء الأمر، إن لم يكن بالزواج؟ بالقتل؟ هل عليك أن تقرر كيف ينتهى قبل أن تأتى النهاية"؟

قال: "لا، فى الحقيقة لا. إنها ليست مسألة قرار. بالأحرى إيجاد مخرج. وإلا التسليم لأنه ليست لدى القوة على أن أستمر. هذه هى المشكلة. أنا ضعيف. لذا ستكون النهاية قاسية". وأخذ يخطو للخلف وإلى الأمام بينى وبين المذبح. لم أسمع صوتاً لخطواته على الأرض. لكنه أخيرا تنهد طويلاً بصوت خافت، ثم جلس ثانية على الأرض واضعًا يديه حول ركبتيه. "خبرينى عما تفعلانه أنت وسيلفيا عما تتحدثان عنه. أخبرينى عن ظبيها. أخبرينى كيف تصنعين الملح. أخبرينى متى تغزلين، متى تنسجين.

هل علمتك أمك هذه الفنون؟ خبرينى كيف تقومين بفتح وتنظيف غرف الخزين مع بدايات الصيف وتركها مفتوحة عدة أيام تصلين لـ بيناتيس(*) حتى تعيدى ملئها بالمحصول.

"أنت تعرف كل شىء".

"لا. فقط تستطيعين أن تخبرينى".

لذلك أخبرته عن الأمور التى سأل عنها، وواسيته فيما عرفه.

أمضيت اليوم التالى وحيدة فى غابة "ألبونيا". كان الهواء ثقيلاً تحت ظلال الأشجار، ورائحة الكبريت زكمت أنفاسى حين ذهبت إلى الجداول. خلال تجولى حول المكان وجدت ممراً يشق طريقاً فى التل المنحدر، تقريباً جرف يرتفع فوق الغابة. وأتاحت الأشجار على قمتها رؤية واسعة إلى الغرب من الخط المضىء الذى كان هو البحر. جلست هناك فى ضوء الشمس على العشب الرقيق. كان لدى مغزلى وكرة من الصوف؛ امرأة تحمل فى العادة بعضاً من آلهتها، بيناتيس معها. كنت أغزل خيطاً دقيقاً لثوب أو سترة الصيف، ولذا فإن حقيبتى الخفيفة من الصوف ستبقى معى لفترة كافية. جلست أغزل وأنسج وأنظر إلى أعالى التلال والغابات فى لاتينيوم، كلها خضراء مع شهر مايو. عند الظهيرة تناولت بعض الجبن والخبز، ووجدت جدول ماء نقى يصلح لأشرب منه.

(*) بيناتيس Penates آلهة الخزين الرومانية وآلهة البيت. (المراجع).

كان هناك بعض الخس والجرجير الذى ينمو عند التل تناولت منهما القليل أيضاً، فكرت أننى أود الإقلال من كمية الطعام الذى أتناوله، أو ربما الصيام؛ لكن الصيام كان يصعب علىّ. قمت باستطلاع أعالى التل، وعندما شارفت الشمس على المغيب، أخذت طريق العودة بين ممرات الغابة. مررت أمام جداول ذات رائحة كريهة تنتشر رائحتها أكثر مع هبوب الريح، ثم وصلت إلى المذبح. نمت قليلاً إذ لم أحصل على كفايتى من النوم فى الليلة السابقة، وعندما استيقظت عند الغسق كان هناك سرب من الحشرات يحوم حول جدران المذبح يرتفع وينخفض، يدور ليلاحق بعضه، والفراشات ترفرف فى الهواء. راقبتها وأنا فى حالة من النعاس، ومن خلال رقصاتها رأيت شاعرى يقف إلى جانب المذبح.

قلت وأنا شبه نائمة: "هذه الفراشات تشبه أرواحاً فى العالم السفلى".

قال: "إنه مكان مرعب. فى الجانب البعيد من النهر المظلم هناك مستنقعات ممتدة، حيث تسمعين بكاءً خافتاً ضعيفاً مستنجداً يأتى من تحت الأرض. إنه بكاء أرواح الأطفال الذين ماتوا عند الولادة أو فى المهد. ماتوا قبل أن يعيشوا، يرقدون هناك فى الوحل وفى العتمة يستنجدون وما من أحد يسمعهم".

كنت مستيقظة الآن حينما قلت: كيف عرفت هذا"؟

"كنت هناك".

"هل كنت فى العالم السفلى مع آينيس.

قال: "هل يوجد أحد آخر من الممكن أن أكون معه"؟ وأخذ ينظر حوله كما لو أنه غير متيقن.. صوته كان منخفضاً وكئيباً، ثم تابع كلماته فى ذات النبرة المترددة، قال: "إنها سيبيل هى التى قادت آينيس... من هو الرجل الذى قدته؟ التقيته فى غابة تشبه هذه الغابة، مظلمة وفى وسطها طريق، لقد أتيت من العالم السفلى لألتقى به، لأريه الطريق لكن متى كان ذلك؟ أوه هذا الموت كان عملاً شاقاً يا 'لافينيا "أنا متعب جداً لا أستطيع التفكير بوضوح على الإطلاق".

قلت: "أنت لا تفكر مباشرة بشأن الأطفال، لماذا يتعذبون رغم أنهم لم يعيشوا؟ كيف تكون أرواحهم هناك قبل أن يكون لديهم عمر ليكبروا؟ هل أرواح القطط الصغيرة تكون هناك؟ وأرواح الخراف التى نقوم بذبحها للأضاحى؟ إن لم يكونوا هناك فلماذا يكون الأطفال، الأجنة المجهضة؟! وإذا كنت ابتدعت ذاك المستنقع الملىء بأصوات الأطفال المعذبين فإنه اختراع خاطئ".

كنت غاضبة بشدة لذا استخدمت الكلمة الثانية من أقوى الكلمات التى أعرفها "الخطأ"، اختراق القانون الإلهى، ضد ترتيب الأشياء المسكوت عنها وغير المقدسة. سوف تكون هناك كلمات تقوم مكانها لكنها كانت الكلمة التى أعرفها. إنها الظل العكسى،

اللافعل للكلمة العظيمة "الحق" الذى يجب أن يفعله المرء.

جلس، فبدا هناك ازدواج لشكله الطويل واستطعت أن أرى مقدار التعب الذى حل به، كيف انحنى رأسه مثل رجل مهزوم لكننى لم تكن لدى شفقة عليه.

قلت: "إذا كانت القسوة تأتى من الضعف، كما أنت قلت فأنت ضعيف جداً".

لم يجب.

قلت بعد فترة: "أعتقد أنك قوى". حينها ارتعشت شفتاى وصوتى وأنا أتكلم لأننى أشفق عليه رغم أننى لم أرد أن أشفق عليه، وكان قلبى مليئًا بالدموع.

قال: "لو كان ذلك خطأ، سأخرجه من القصيدة، الطفل، إذا سمح لى بذلك".

تمنيت بشدة أن أساعده أن أعطيه بعض الصوف ليجلس عليه، أو ردائى الخاص ليلفه حول كتفيه؛ لأنه كان يجلس مرتعشاً من البرد، ولم يكن باستطاعتى فعل شىء من أجله، فقط كان بإمكانى مواساته عبر الحديث معه.

"ومَنْ الذى يسمح لك أو يقوم بمنعك"؟

"الآلهة، قدرى، أصدقائى، "أوغسطس".(*)

كنت أعرف ما يعنيه بشأن قدره وأصدقائه، لكن

(*) أوغسطس: هو أول حاكم للإمبراطورية الرومانية. (المراجع).

البقية لم أكن على يقين من معرفتى بهم كما لم أكن أعرف أين هم أصدقاؤه وإذا كان يثق بهم، أما بالنسبة إلى قدره فجميعنا لا نعرف شيئا عنه.

قلت أخيراً: "لكنك بالتأكيد رجل حر، عملك من صنعك".

قال: "كان كذلك، حتى مرضت، والآن أظن أننى فقدت سيطرتى، أظن أننى فقدته. إنهم سيصدرونه غير مكتمل وأنا لا أستطيع أن أوقفهم وأنا لم أتمكن من إنجاز ما كتبته وليست لدى القدرة على إنهائه. إنه ينتهى بالقتل كما قلت. موت تورنوس لماذا؟ من يهتم بـ تورنوس العالم ملىء بالشباب والشجعان التواقين للقتل وأن يقتلوا. هناك دائمًا المزيد منهم فى كل حرب".

"مَنْ الذى سيقتله"؟

لم يجب الشاعر عن سؤالى، بل قال بعد صمت طويل "إنها ليست النهاية المناسبة".

"أخبرنى النهاية الصحيحة".

مرة أخرى ظل صامتاً لوقت طويل، ثم قال: "لاأستطيع".

كانت العتمة تسيطر على المكان. أوراق الأشجار والأغصان انتصبت سوداء وحادة فى مواجهة الزرقة الشديدة التى بدأت تشتد وضوحاً فى الليل الداكن، ظهرت فينوس لأقل من دقيقة بين أغصان الأشجار

المعتمة من ناحية الغرب، حينها صليت لقوة جمالها الساطع. لم يكن هناك ريح على الإطلاق، ولا عصفور، ولا أى مخلوق آخر يقوم بأية حركة.

"أظن أننى أعرف لماذا أتيت إليك يا لافينيا كنت أتعجب من كل الشخصيات الموجودة فى قصائدى لماذا كنت الشخص الوحيد الذى استدعى روحى؟ لماذا لم يكن بطلى العزيز آينيس لماذا لم أتمكن من رؤيته بعينى الحيتين، كما رأيته دائماً بعيون فنى".

كان صوته منخفضاً جداً تقريباً، لا نفس له. كنت أجاهد لأصغى، ولم أفهم الكثير مما قاله حينئذ.

"ولأننى لم أره. ولست أنت. فأنت لا شىء تقريباً فى قصيدتى، تقريباً لا أحد. وعد منقوض. لا سبيل إلى إصلاح ذلك الآن، لن يملأ الحياة اسمك كما ملأها اسم ديدو لكنها هناك، هذه الحياة غير الممنوحة، هناك فيك أنت. لذلك الآن، عند النهاية، حيث الوقت متأخر جداً، هى لديك لتعطيها لى. حياتى. أرضى فى إيطاليا، أملى فى روما، أملى".

كان فى صوته يأس انتزع قلبى من مكانه، كلماته رحلت بعيداً وهو جالس مكانه، رأسه انحنى، بالكاد كنت أراه.

كنت خائفة أن أعرف أنه يرحل بعيداً إلى داخل حزنه الخاص، مرضه المميت. كنت خائفة من أن أفقد حتى ظله. أردت أن أبقيه معى على الرغم من أننى لم أعرفه ولم أفهمه بما يكفى، كما عرفنى هو وفهمنى.

كنت أعرف ماهية الصلة التى تجمع بيننا وكيف أستخدمها لأجعله يرجع.

قلت: "أريد أن أعرف ماذا حل بـ آينيس بعد أن ترك إفريقيا، بعد أن أبحر فى المياه، ثم شاهد نيران اللهب ترتفع فى الأرض التى رحل عنها؟ إلى أين ذهب بعدئذ؟"

ظل الشاعر متمسكاً بهيئته الحزينة للحظات، ثم هز رأسه قليلاً، وقال بصوت أجش: "صقلية". نظر حوله وهز كتفيه كما لو أنه يبعد عنهما التشنج.

"لكنه كان هناك بالفعل، أليس كذلك"؟

"نعم، لقد رجع ليحتفل بمراسم بارينتاليا(*) من أجل أبيه. فقد مر عام كامل على موت والده آنتيس وكان هو فى هذه الأثناء مع ديدو.

"وكيف أقام تلك الطقوس؟"

انطلق صوته قوياً، عادت إليه الموسيقى. "كان آينيس يعرف ما ينبغى القيام به، ويعرف أن الرجال يحتاجون إلى التشجيع. مرت سبع سنوات من التجوال، وها هم يعودون إلى هنا بعد مرور عام واحد، لذا فقد منحهم ألعاباً. وما نسيه كان هو النساء".

"إن هذا مدهش للغاية".

"جميل جدا يا صغيرتى الساحرة لكن آينيس ليس بالرجل الذى ينسى. إنه يفكر بكل شعبه. فالكثير من

(*) بارينتاليا Parentalia: عيد رومانى للاحتفال بالآباء المتوفين. (المراجع).

النساء وثقن به خلال الفرار من طروادة. لقد حاول أن يسهل عليهن الرحلة الطويلة، لكنه حينما أعلن أنهم عائدون مرة أخرى للبحث عن الأرض الموعودة كان الأمر صعباً، لقد تمكنت جونو(*) من السيطرة عليهن، فتمردوا وذهبوا إلى الشاطئ وأشعلوا النيران فى السفن".

"ماذا تقصد؟ هل حلت بهن جونو"؟

"لقد كرهت آينيس لقد كانت ضده دائماً".

لاحظ أننى تحيرت. المرأة لديها "جونو" الخاصة بها، كما أن الرجل لديه إلهام جونو، كما للرجل عبقرية العقل؛ إنهما اسمان للسلطة المقدسة، التوهج الإلهى فكل منا لديه قدر منه فى داخله، إن جونو الخاصة بى لا تستطيع الدخول، إلا أنها - بالفعل - ذاتى الأعمق. كان الشاعر يتكلم عن "جونو" كما لو أنها شخص، امرأة؛ تحب وتكره؛ امرأة غيورة.

العالم مقدس - بالطبع، ملىء بالآلهة، روح الآلهة، القوى العظمى وحضورها، ونعطى بعضها أسماءً: "مارس" للحقول والحرب، فيستا النار، سيريس الحبوب، "الأم تيلوس" الأرض، "بيناتس" لمخازن الغلال. الأنهار والينابيع والرياح والسحاب العاصف والبرق، هى القوى العظمى التى تُدعى الإله الأب. لكنهم ليسوا بشراً، لا يحبون ولا يكرهون ليسوا مع أو

(*) جونو Juno: ربة الزواج وزوجة جوبيتر فى الميثولوجيا الرومانية. (المراجع).

ضد. إنهم يقبلون العبادة؛ لأنها تضخم من قوتهم التى يعيشون من خلالها.

كنت متحيرة بالكامل وسألت فى النهاية: "لماذا كرهت جونو آينيس؟

"لأنه كره أمه فينوس"

"هل أم آينيس نجمة"؟

"لا؛ إنها إلهة".

قلت بحذر: فينوس هى القوة التى نطلقها فى الربيع والحدائق حينما تبدأ الأشياء فى النمو ونسميها فينوس نجمة المساء".

لقد فكر فى كل ذلك وربما لأنه نشأ فيما بين وثنيين مثلى، فقد ساعده ذلك على أن يتفهم حيرتى. قال: "وكذلك نحن. لكن فينوس أصبحت أيضاً أكثر من ذلك... بمساعدة اليونانيين. إنهم يسمونها أفروديت... كان هناك شاعر عظيم امتدحها باللاتينية سماها بهجة الرجال والآلهة، المغذية الغالية. وتحت علامات النجم المنحدر، تملأ البحر الذى تعبره السفن، والأرض المثمرة بوجودها من خلال بناتها اللواتى تلدهن، ويكبرن ليشاهدن الشمس من خلال كل تلاشى سحبها العاصفة فى أرضها، فالصانع الماهر يقدم الأزهار. إن المستويات الشاسعة من البحر تبتسم لها، وكل السماء الهادئة تومض وترسل الضوء...".

كانت فينوس التى صليت لها، إنها معبودى على الرغم من أنه ليست لدى مثل هذه الكلمات. قد ملأت عينى بالدموع وقلبى بالفرح الذى يصعب التعبير عنه. قلت أخيراً: "لماذا يمكن لأى شخص أن يكرهها"؟

قال: "الغيرة".

"غيرة قوة مقدسة من أخرى"؟ أنا لم أستطع أن أفهمها. هل النهر يغار من نهر آخر؟ هل الأرض تغار من السماء؟

"الرجل فى قصيدتى يسأل: هل الآلهة هى التى تشعل النار فى قلوبنا أم إنها رغبتنا المتوحشة التى لدينا ننسبها إلى الآلهة"؟

نظر إلىّ. لم أقل شيئاً.

"يقول هوميروس العظيم شاعر الإغريق: الإله يشعل النار. لافينيا الشابة الإيطالية تقول: النار هى الإله. هـذه أرض إيـطـالـيـة، أرض لاتـيـنـيـة. أنت ولوكيرتيوس على حق تقدمان المديح وتسألان المباركة، ولا تلقيان بالاً للأساطير الأجنبية، إنها فقط نوع من الأدب. لذلك لا تهتمى بما تقول جونو، فالنساء الطرواديات كن غاضبات لأنهن لم يُستشرن وقررن أن يبقين فى صقلية، لذلك أشعلن النيران فى السفن".

هـذا مـا استطعت أن أفهمه جيدًا بشكل كاف وأنصت له.

"لقد كان من الممكن أن يحترق الأسطول بأكمله ما لم تهب عاصفة ثلجية وتطفئ النيران. فقدوا أربع

سفن. النساء ركضن ـ بالطبع ـ نحو التلال لكن آينيس لم يفكر أبداً فى أن يعاقبهن فهو قد تأكد أنه سيدفعهن بعيداً، لقد دعا إلى عقد جلسة، وتركهن يخترن بحرية أن يبقين فى صقلية أو يبحرن مع آينيس. الكبار فى السن والكثير من النساء مع أطفالهن اختاروا أن يبقوا، بينما ظل قسم آخر منهم يبحثون عن الأرض الموعودة، لذلك ظلوا تسعة أيام من الاحتفالات ويوم آخر من الدموع على مفارقة الذين أبحروا".

"هذا الطريق؟ إلى لاتينيوم"

الشاعر أومأ برأسه."لكنه أولا حط فى كيومى.

عرفت أن هناك مدخلا إلى العالم الآخر هناك. "للنزول إليه؟ لماذا"؟

"رؤية: أبوه آنشيسيس أخبره بأن يأتى ليبحث عنه عبر النهر المظلم. وهو اعتاد أن يطيع أباه والقدر دائماً، ذهب آينيس إلى كيومى ووجد الدليل، والطريق إلى أسفل".

قلت: "وشاهد المستنقع، حيث الأطفال يرقدون صارخين، وصديقه الذى قُتل بقسوة حتى أن شبحه مازال يتعذب، والملكة ديدو التى ابتعدت ولم تتكلم، لكنه لم يبحث عن زوجته كروسا".

قال الشاعر بتواضع: "لا".

قلت: "هذا غير مهم، أظن أنه لا يوجد مجال للاتصال هناك. ليس بإمكان الأشباح أن تتلامس. أظن أن الليل الطويل يجب أن يكون للنوم".

"يا ابنة لاتينيوس سليلة لوكريتيوس لقد وعدتنى بما أتوق إليه حقًا".

"النوم"؟

"النوم".

"لكن قصيدتك".

"حسنًا قصائدى ستكمل نفسها بنفسها بلا شك لو أننى تركتها".

وجلسنا كلانا فى صمت. كان الظلام دامسًا، والرياح ساكنة. لا شىء يهتز.

"هل ترك 'كيومى 'حينئذ"؟

قال الشاعر: "أظن ذلك".

تكلمنا بصوت خفيض، غالبا بالهمس.

"سيتوقف فى سيرسى ليدفن مربيته 'كايتا التى رجته أن تأتى معه لكنها كانت عجوزاً ومريضة، وماتت على ظهر السفينة. ورسى على الشاطئ ليدفنها. سوف يؤخره هذا بضعة أيام".

تسلل خوف إلى داخلى، الكثير منه كان يأتى إلى قريباً جداً. أردت أن يخبرنى الشاعر بما سيحدث، لكننى لم أرد ذلك. قلت: "لا أعرف متى يمكننى العودة إلى هنا مرة أخرى".

"ولا أنا يا لافينيا".

نظر إلى عبر الهواء المعتم وأحسست أنه كان يبتسم.

قال، وهو مازال رقيقاً: "يا منيتى التى لم تكتمل ولم تتحقق. الطفلة التى لم أنجبها أبداً. عودى مرة أخرى".

"سأفعل".

أنا لست الصوت الأنثوى الذى توقعته، ليس الاستياء هو ما يدفعنى لكتابة قصتى، ربما يكون الغضب فى بعض منه، لكنه ليس الغضب السهل. أحن للعدل لكننى لا أعرف ما العدل، من الصعب أن تكون خائناً ومن الأصعب أن تعرف أنك ستقوم بخيانة حتمية.

إذًا، من كان حبى الحقيقى، البطل أم الشاعر؟ لاأعنى من منهما أحبنى أكثر، ولا أى منهما أحبنى أطول. فقط بما فيه الكفاية. كفى. إن سؤالى هو أى منهما أحببته أنا بحق أكثر؟ لا أستطيع الإجابة. أحدهما كان زوجى الرجل الوسيم الذى أدخل لحمه فى لحمى ليصنع طفلى بداخلى، مبدع أنوثتى، فخرى، مجدى؛ الآخر كان شبحاً، همسة فى الظلال، حلم عذراء، أو رؤيتها، إلا أنه مبدع كل كيانى. كيف يمكننى أن أختار؟ لقد فقدتهما الاثنين سريعاً. عرفتهما أقل مما عرفانى وأتذكرهما دائماً بصورة عابرة.

وكذلك كانا بالطبع. إنهما يشبهان كثيراً الصغير بوبليوس فيرجيليوس مارو، ربما مات فى السادسة أو السابعة، رماد تحت ضريح صغير فى مانتوا، قبل أن يكون شاعراً أبداً، ومعه مات مجد البطل، تاركاً مجرد

اسم من بين آلاف الأسماء من المحاربين، وليس حتى أسطورة على الشاطئ الإيطالى. جميعنا عابرون. الاستياء أمر أحمق وغير لائق وحتى الغضب غير ملائم. أنا مجرد نقطة ضوء على سطح البحر، وميض نور من نجمة المساء. أعيش فى رعب وإذا لم أكن قد عشت على الإطلاق فإننى جناح صامت فى الريح، جسد لا صوت له فى غابة ألبونيا. أتكلم، لكن كل ما أستطيع قوله: "استمر، استمر".

حينما رجعت إلى البيت مع مارونا، ما من أحد فى جناح النساء إلا وأخبرنى فورا أن تورنوس أرسل مبعوثيه إلى أبى، وأن الملكة أماتا تريد رؤيتى فى الحال.

إن خوفى المعتاد من أمى جعلنى أجفل من الداخل، على الرغم من أنها لم تضربنى أو تحقر من شأنى كما كانت تفعل فى الماضى. كنت أخجل من جبنى. ذهبت إلى غرفتها فور أن اغتسلت مما علق بى من أوحال السفر. أبعدت خادماتها بعيداً واستقبلتنى فى لهفة. قبلت جبينى وأخذت يدى فى يدها كى أجلس بالقرب منها. يبدو إظهار مثل هذا النوع من الحب زائفاً ومتكلفاً، لكن أماتا لم تكن تجيد التخطيط ببراعة كما أنها كانت بعيدة جداً عن ادعاء مشاعر لا تحس بها. كانت سعيدة حقا لرؤيتى وسعادتها لامست قلبى. كان لدى حنين لدعم الإحساس بالحنان من جانب أمى الجميلة غير

السعيدة. وكانت أولى علامات هذا الحنان لا تقاوم بالنسبة إلىّ. جلست بجانبها وأنا راضية.

مسحت شعرى. ارتجفت يدها قليلاً. كانت مضطربة جداً. عيناها الرائعتان السوداوان تشعان بالضوء.

"لقد أرسل الملك تورنوس رسولاً يا لافينيا"

"نعم كل النساء أخبرننى بذلك".

"لقد طلب يدك للزواج رسميًا".

كانت تراقبنى باهتمام بالغ. تجلس قريبة جداً بحيث لا يمكننى سوى النظر إلى أسفل دون كلام. أحسست بسخونة فى جلدى، موجة من الحرارة اندفعت فى جسدى كله.

لم يفاجئها أو يزعجها صمتى وانكماشى، بل أخذت يدى بيدها وهى تكلمنى. "إنه عرض زواج غير عادى. الملك تورنوس رجل ذو قلب عظيم. لم يتكلم عن نفسه فقط بل عن سائر الملوك الذين جاءوا هنا لخطبتك، ميسابوس اثينيتوس آفينس كلاوسوس السابينى. "تقول رسالة تورنوس إنه لتجنب العداء وإراقة الدماء بين هذه القوى المتحالفة مع لاتينيوم فقد جاء الوقت بالنسبة إلى الملك كى يختار لك زوجًا من بين هؤلاء الخطاب وينهى تنافسهم. كلهم وافقوا على اختيار لاتينوس، سوف يرسل لك حالاً ليخبرك قراره".

لمْ أفعل شيئا سوى أننى أومأت برأسى.

قالت أماتا: "إنه ليس قرارًا سهلا بالنسبة إلى والدك". بدا صوتها أقل تعجلاً وشغفاً، أكثر دفئاً الآن بعد أن أبلغت الرسالة. "إنه مخلص لك، لا يريد أن يتركك تذهبين. لكنه قلق جدا بشأن المتنافسين الذين تحدث عنهم 'تورنوس. لقد قضى ليالى مستيقظاً، يخشى أن تستيقظ المنافسة بينهم فى إحدى الليالى ويأتى المحاربون ليفرضوا عليه اختياراً يجلب الحزن على المملكة كلها، هؤلاء الرجال الذين يشبهون فتيلاً قابلاً للاشتعال. شرارة صغيرة ستجعلهم يشعلون الحرب. ووالدك فخور بالسلام الذى صنعه ويتمنى من كل قلبه أن يحافظ عليه. إنه رجل عجوز حارب فى الماضى، ويحتاج الآن فعلياً إلى قلب رجل شاب ليحميه، ليكون صهره، من قد تظنين بين هؤلاء الرجال يستحق هذا الشرف"؟

هززت رأسى. شعرت بجفاف فى حنجرتى ولم أستطع النطق بأية كلمة.

"سوف يسألك عن رأيك يا لافينيا يجب أن تكونى مستعدة لذلك هو لن يزوجك لرجل لا تحبينه، أنت تعرفين ذلك، لكن آن الأوان لتتزوجى، ولا وقت لنضيعه ونحن لا نستطيع تغيير هذا الأمر؛ لذا ينبغى عليك الاختيار وسيكون من الصواب أن تختارى. وهو لن ينفذ أى أمر لا يوافق رغبتك".

"أعرف".

قامت من جانبى، ثم تحركت قليلاً فى الغرفة تناولت إحدى قوارير العطر الصغيرة من على طاولتها، ثم اقتربت منى، وراحت تدهن معصمى بزيت الورد.

قالت وهى مبتسمة: "من الجميل أن يكون هناك رجال شباب يتنافسون للفوز بك. يبدو مريحًا أن تتم تسوية هذه الأمور. إذ لا يمكن أن يستمر هذا إلى الأبد. فالاختيار مستحيل عندما يتعين علينا أن نتخذه فجأة، إنه يفرض نفسه. ومن بين هذه الاحتمالات جميعاً هناك اختيار واحد ممكن وهو الذى لا مفر منه والذى عملنا على تحقيقه".

ابتسمت مرة أخرى ابتسامة مشعة. فكرت فى أنها مثل فتاة تتحدث إلى خطيبها.

ظللت على صمتى، وقالت بعد أن انتظرت دقيقة: "حسنًا يا عزيزتى ليس من الضرورى أن تخبرينى عن اختيارك، لكن عليك أن تخبرى والدك أو تدعيه يختار بالنيابة عنك".

أومأت برأسى.

"هل ترغبين أن نختار لك"؟

كان التلهف واضحًا فى صوتها، لكننى لم أتمكن من الرد. فقالت بلطف شديد: "هل أنت خائفة إلى هذا الحد"؟ جلست بقربى ثانية، وطوقتنى بذراعيها كما لم تفعل منذ أن كنت فى السادسة من عمرى، لم أشعر بالارتياح، لكننى ظللت مستسلمة لتطويقها لى.

"أوه، لافينيا هو سيكون جيداً وودوداً معك هو لطيف جداً ـ وسيم جداً! ليس هناك ما تخشينه، كما بإمكانك أن تأتى معه للزيارة هنا بين حين وآخر. كما أننى سآتى لزيارتك فى أرديا ـ هو قال لى ذلك أكثر من مرة. أرديا كانت موطنى حينما كنت صغيرة. إنها مدينة جميلة سترين بنفسك. لن تختلف كثيراً عن هنا. هو سيرعاك كما يفعل والدك وستكونين سعيدة هناك. ليس هناك ما يسبب القلق سأذهب معك".

وقفت بعد أن أبعدت عنى ذراعيها التى تطوقنى، أحسست بحاجتى للحرية.

قلت: "أمى، سأتكلم مع أبى عندما يرسل إلىّ". وأسرعت بالخروج بعيداً عن الغرفة، كان هناك صوت غناء فى أذنىّ، وصار اللهيب الذى اشتعل فى جسدى برداً يسرى فى عظامى.

وبينما كنت أركض فى الرواق، رأيت حشداً مضطرباً يتجمع فى وسط الساحة الرئيسة. حشد من الناس تجمعوا حول شجرة الغار. حاولت الاقتراب ورؤية ما يحدث، لكن فيستينا، ثم تيتا شاهدتانى وهما تبكيان. جذبتانى للخارج باتجاه الشجرة "انظرى، انظرى، تعالى وانظرى". كان هناك شىء فوقها، أعلى أغصانها، حيوان أسود سمين. كيس من شىء ما يتلوى. سحابة من دخان، دخان كثيف أسود، يمسك بالفروع. أتى منها صوت أزيز يطن. كان كل شخص يصرخ ويشير. صرخوا، النحل، أسراب نحل!.

جاء أبى عبر البلاط، مكفهراً مضطرباً جزعاً. نظر إلى أعلى على السرب الهائل الذى كان ينبض ويتدلى ويتشكل بثبات على قمة الشجرة. حملق فى السحب التى بدأت تتلون بغروب الشمس.

سأل: "هل هو نحلنا"؟

قالت أصوات عديدة، لا. وطار السرب فوق أسطح المدينة، "مثل دخان شاهق فى السماء"، كما قال أحد الأشخاص.

قال لاتينوس لعبد المنزل معه: أخبر كاستوس أنهم يتجمعون من أجل الليل. سيكون قادراً على تحريكهم". اندفع الصبى راكضاً يبحث عن كاستوس، النحال الخاص بنا.

بكت أم مارونا: "إنها إشارة يا سيدى، إشارة، إلى تاج الشجرة الفعلى بأنها تيجان لورنتيوم إنهم أتوا! هذا هو النذير"؟

"من أى اتجاه أتوا"؟

"الجنوب الغربى".

كان هناك صمت قصير مرتقب. تحدث أبى: "الغرباء قادمون من هذا الريع ـ ربما عن طريق البحر. سيأتون إلى الملك فى بيته".

كان لاتينوس، كأب للبيت والمدينة والدولة معتاداً على قراءة العلامات. لم يكن يستخدم معانى وتحضيرات غامضة، كما اعتاد العرافون

"الإتروسكانيون". نظر إلى العلامة، وقرأ معناها، وتحدث عنها بدون تردد، وببساطة شديدة.

كان شعبه راضياً. ظل الكثيرون منهم فى الساحة، يثرثرون حول العلامة، يبعدون النحل الجاثم عن شعرهم، وينتظرون ليروا كاستوس يجمع السرب ليأخذه إلى مناحلنا.

رآنى أبى، وقال: تعالى يا ابنتى.

تبعته إلى حجراته. توقف فى حجرة الانتظار، ووقف إلى جانب منضدة صغيرة هناك فى مواجهتى. كان ضوء المساء لامعاً على الممر.

"هل تحدثت إليك أمك يا 'لافينيا'".

"نعم".

"إذًا عرفتى أن خُطابك طلبوا منى أن اختار لك زوجاً من بينهم".

"نعم".

قال بابتسامة مصطنعة: "حسناً، هل ستخبريننى من تريدين منى أن أختاره"؟

"لا".

لم أتكلم بغطرسة، لكن رفضى صدمه. تفحصنى لدقيقة، ثم قال: "لكن لابد أن هناك أحداً ما من بينهم تفضلينه".

"لا، يا أبى".

ولا تورنوس.

هززت برأسى.

"أخبرتنى أمك أنك تحبين تورنوس.

"لا".

ومرة أخرى كان مندهشاً، لكنه قال برقة: "هل أنت متأكدة يا عزيزتى؟ قالت لى أمك إنك تحبينه منذ أول مرة جاء فيها لخطبتك، وإنك خجولة من اعترافك بذلك. إن مثل هذا الخجل جيد ولائق بالنسبة إلى فتاة عذراء، ولا نستطيع قول أى شىء بشأنه، كل ما ينبغى عليك فعله هو إظهار سرورك، حال اخترته لك".

"لا"!.

بدت عليه الحيرة وعدم الارتياح. "إن لم يكن 'تورنوس 'فمن يكون غيره من الآخرين"؟

"لا أحد".

"هل تريدين أن أرفضهم جميعاً"؟

"أتستطيع فعل ذلك يا أبى"؟

تجهمت ملامحه. دار فى الغرفة. كانت عضلات كتفيه محنية قليلاً، وهو يضع يديه خلف ظهره لم يكن حليق الذقن، وبدا الشعر الخشن الرمادى واضحاً على فكيه. قال: "نعم أستطيع مازلت ملك لاتيوم، فلماذا تسألين مثل هذا السؤال"؟

"أعرف أن طلب تورنوس ينطوى على تهديد".

"لا يجب أخذه بهذا الشكل. ليس عليك التركيز على هذا الجانب ما الذى تريدينه؟ ما الذى تنوين عمله يا 'لافينيا؟ أنت الآن فى الثامنة عشرة من عمرك، وليس بإمكانك الاستمرار إلى الأبد كعذراء فى البيت".

"أفضل أن أكون فيستال على أن أختار واحداً منهم".

إننا نسمى المرأة التى تقرر عدم الزواج فيستال، أو التى لم يقع عليها اختيار أى رجل، أى التى تظل مع والديها وتحافظ على نار الموقد مشتعلة.

تنهد ونظر إلى أسفل على يده الكبيرة المشوهة على الطاولة. فكرت أنه يحاول مقاومة إغراء تلك الفكرة، أن يأمل فى الاحتفاظ بى معه. قال أخيراً: "لو لم أكن ملكاً، لو كان لدى بنات أخريات. لو كان شقيقاك على قيد الحياة. لكان يمكنك القيام بمثل هذا الاختيار. لكن بما أن الأمر مختلف الآن وأنت ابنتى الوحيدة، فإن عليك الزواج يا لافينيا؟ لأنك تحملين قوة مملكتى ولا يمكننا أن نسمح لك بالتفريط فى هذا الأمر".

"سنة أخرى".

"سيكون الاختيار نفسه فى سنة".

لم تكن لدى إجابة عن تلك العبارة.

تورنوس هو الأفضل بينهم يا ابنتى. ميسابوس سيكون دائماً تحت طوع تورنوس.أفينتينوس شاب

لطيف فى معطفه من جلد الأسد، لكنه ليس حساسًا بالقدر الكافى. لا أريد إرسالك لتعيشى بين هؤلاء السابينيين(*) تورنوس هو الأفضل بينهم، هو الأرجح وأفضل رجل فى 'لاتيوم '.يحكم مملكته بشكل جيد، كما أنه مقاتل حذر وثرى ووسيم، أعرف أن كل النساء يفكرن بكل هذه الأمور. كما أنه عاطفى، والدتك أخبرتنى أنه يحبك جداً".

نظر إلى متأملاً أن أعدل عن رأيى لكننى لم أنظر نحوه.

"أخبرتنى عن الكثير من العبارات التى يمتدحك بها. أمك تظن أنه يتمنى فعلاً الزواج منك، وإذا أعطيتك إلى شخص آخر، فقد يثور لذلك، على الرغم من الاتفاق الذى عقدوه جميعاً. أظن أنها على حق، هو رجل طموح وواثق من نفسه ولديه مبرراته المنطقية، فى الحقيقة أمك شجعته، وإذا قمت باختيار أحد آخر غيره، من الممكن أن تغضب بشدة". قال هذه العبارة وهو يحاول أن يجعلها مزحة لكنها لم تكن مزحة، فقد رأيت التعاسة فى عينيه. قال: "إن بيدها السعادة لك والخير العميم لمملكتنا فى القلب".

لم أناقش، ولم أتفوه بأية كلمة.

قلت: "امنحنى خمسة أيام يا أبى". جاء صوتى ضعيفًا خافتًا.

(*) السابينى Sobine: أحد أفراد الشعب الإيطالى القديم الذى عاش فى وسط إيطاليا. (المراجع).

"وستخبرينى قرارك بعد ذلك"؟

"نعم".

حينها أخذنى بين ذراعيه وقبل جبينى أحسست بدفء جسده وشممت رائحته المألوفة الأثيرة مثل رائحة الأرض فى أعلى التلال فى أشهر الصيف. همس: "أنت نور عينى يا ابنتى". جعلنى هذا أبكى. قبلت يده وأسرعت بالسير نحو جناح النساء والدموع فى عينى. كان الجميع يحتشدون فى الساحة عند الغسق يراقبون "كاستوس" وهو يجمع سرب النحل، بينما كان أزيز مرتفع يطن حول أعمدة المكان والنبع. تحدث كاستوس إلى السرب الهائل المتمايل المتجمع فوق النافورة الذى أخذ ينكمش ويتقارب ويصغر أكثر كلما تكلم برُقَّيته، وجعل شبكته جاهزة للقبض على النحل.

بدت الأيام الخمسة طويلة جداً بالنسبة إلىّ. حاولت أن أتماسك وأركن إلى ذاتى قدر المستطاع، فى إحدى المرات سارعت بالذهاب إلى مزرعة تيرهوس. كانت سيلفيا فى حجرة الألبان.

أقنعتها بالسير معى. كنت أود الحديث معها عن الاختيار الذى ينبغى على القيام به. بالطبع كانت تعرف الأمر، فالجميع كان يعلم. فالأمور التى تظل سراً فى بيت الملك كانت قليلة للغاية. كما أن كل شخص يعلم أن أخاها "آلمو" لم يكن ضمن قائمة الخطاب الذين قدمهم تورنوس إلى أبى. عندما أتيت

إليها كانت سيلفيا تأمل أننى أود الكلام حول آلمو، أن أقول لها إنه اختيارى، كى تبلغه أن يتقدم ليطلب يدى. تلك العائلة تركت آمالها بالاقتراب منا ترتفع، غالبًا لظنهم أن صداقتى مع سيلفيا رفعت مكانة أخيها "آلمو" على قدم المساواة. وفى الحقيقة هذا التقارب يحدث بين الشباب، لكن ليس بين الملوك والملكات، القوى المميتة فى مملكتنا.

عندما فهمت "سيلفيا" أننى رفضت كل من تقدم لخطبتى عادت لتلح فى موضوع آلمو، وحينما هززت رأسى نفياً قائلة: "لا يا سيلفيا أنا لا أستطيع اختيار آلمو أرادت أن تعرف السبب على وجه التحديد. هل لم أكن أراه لطيفاً للحد الذى يجعله يستحق حبى؟ أو أنه لم يكن مناسباً لى؟ وهكذا.

قلت: "أحبه أكثر من أى منهم لكننى لا أريده كزوج، ولو أننى فعلت ذلك واخترته فهذا يعنى أننى أدفع به للموت. وتورنوس سيتعقبه كما يتعقب الصقر الفأر".

كانت مقارنة غبية، أخذتها سيلفيا على محمل الجد. قالت بحدة: "حتى لو رفض أبوك أن يحمى أخى فأظن أن لدينا من المحاربين الجيدين من يقدرون على حمايته".

أوه، سيلفيا أنا الفأرة. فأرة فى حقل حينما يقصون الحشيش الجاف وترقد على الأرض عارية. كل فرد يراقبنى، ولا مكان أذهب إليه. لقد جريت هنا

وهناك، فتشت فى عقلى، ولم أجد مكاناً أختفى فيه. فى كل مكان أنظر فيه، أجد تورنوس بعينيه الزرقاوين وابتسامته ـ". أوقفت نفسى. قلت: "وأمى تثق به".

سألت بفضول: "أنت لا"؟

"لا، ليست لديه رحمة هو يفكر فى نفسه فقط".

"لماذا لا يكون كذلك؟ هو غنى ووسيم وملك". لم تكن سخريتها تلك جزءاً من طبيعتها، لكنها لم يكن لديها أى تعاطف معى. كانت متألمة من أجل "آلمو" ولم تسامحنى بسهولة.

أظن أنها كانت تدرك مقدار هلعى، لكنها لم تسألنى كصديقة عن سبب مخاوفى، لذا لن أستطيع التحدث إليها عندما أشتاق إليها.

على أية حال، افترقنا أصدقاء. كانت تعرف جيداً أن آلمو سيكون فى خطر هو وعائلته لو أنه حصل على المرأة التى أراد الملك تورنوس الزواج منها. عانقتنى سيلفيا وقبلتنى حين افترقنا قائلة: "يحزننى حدوث كل هذا وأتمنى لو لم يكن هناك رجال فى العالم. أتمنى لو كان باستطاعتنا الذهاب إلى النهر معاً كما كنا نفعل فى الربيع الماضى".

قلت: "ربما نستطيع". لكن قلبى كان مغلقاً. وافترقنا. ومضيت عائدة فى الحقول مجاهدة كى لاأبكى. كنت تقريباً أبكى، أو إننى على وشك البكاء، أو مريضة. لم يكن هناك شخص فى العالم يمكننى

الحديث معه ويفهمنى فيما عدا الشاعر وربما مارونا بإمكانها أن تفهمنى فى الحقيقة ربما بإمكانها ذلك، لكن لم يكن بإمكانى الحديث عن أمى معها، فليس من العدل أن تسمح للعبيد بالحديث أو بسماع كلام مسيء عن ولى نعمتهم. فهذا أمر غير عادل لأنه يضعهم فى موضع خطر. دائماً هناك ناشرو إشاعات بين الخدم والعبيد، ماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟ لا توجد غرفة فى بيت الملك خالية من الآذان المتنصتة على الأبواب. أعرف أننى أحصل على تعاطف "مارونا" وهذا مهم بالنسبة إلىّ، لكن إن لم أتمكن من حمايتها فلن يمكننى الوثوق بها.

إن معظم النساء والفتيات فى البيت كن يتعجبن كيف أننى لم يغمرنى الفرح من عرض تورنوس للزواج. العجوز فيستينا كانت تغنى كل يوم أغانى الفرح مترافقة مع ضحكات وتنهدات.

استمر تعاطف أمى الضاغط نحو الإقناع بقبول تورنوس حتى مرور اليوم الرابع وكان على أن أعلن قرارى فى اليوم التالى. وحينها انفجر كل سخطها وضيقها السابق على كما فى الأيام الماضية. جاءت إلى غرفتى حين كنت أستعد للنوم. كانت فى رداء نومها تحمل فى يدها ضوءاً خافتاً، شعلتها لم تكن أطول من طفرة برعم. ظهرت فجأة، بدت طويلة ضخمة فى ردائها الأبيض وشعرها الأسود يحيط بوجهها. قالت بصوت منخفض جاف: "لا أعرف ما اللعبة التى تلعبينها، أو ما الذى تودين فعله بوالدك يا لافينيا لكننى أقولها لك الآن سوف تتزوجين تورنوس

وتكونين ملكة آرديا. ليس عليك الانتحاب والبكاء لهذا. إن لم تحبى تورنوس فلا تقلقى هو أيضاً لم يحبك إلى هذا الحد، إنه زواج سياسى وليس اغتصاباً. هناك أمر واحد ينبغى على الفتاة الصالحة القيام به وهو الزواج، وأنت لست مختلفة ولست أفضل من غيرك لذا قومى بما عليك من واجب كما فعلت أنا. إذا أضعت هذه الفرصة فلن أسامحك أبداً".

لم يكن ما قالته على خطورته هو الذى أرعبنى، بل لأنها كانت تقف قرب السرير وفى كل لحظة كنت أتخيل أنها ستقوم بضربى، ستقوم بخدشى بأظافرها كما فعلت فيما مضى. صوتها كان يرتفع ويحتد وأنفاسها تتلاحق.

قالت: "قولى إنك ستتزوجين بـ "تورنوس" قولى ذلك".

لم أقل شيئاً. لم أستطع.

صوت غريب خرج منها، نوع من الأنين والتأوه، واستدارت وخرجت من الغرفة.

بعد هنيهة قمت من سريرى لم يكن هناك مجال للنوم بعد فى هذا الفراش. نزلت إلى الساحة لم يكن هناك أى أحد مستيقظ. جلست تحت شجرة الغار، وراقبت النجوم التى تنحدر ببطء على أسطح "الريجا". تسللت قشعريرة تلك الليلة إلى عقلى وجعلته بارداً وصافياً. رأيت أنه من الضرورى أن أتزوج تورنوس. كان أمراً لا مفر منه. إن قبول رجل

آخر يعنى أننى أقود المملكة إلى حرب أهلية سيتنافس فيها تورنوس وسيربح ويكون سيداً. فهو لن يترك أى رجل يحصل على المرأة التى اختارها، الزواج هو واجبى وقدرى. أمى كانت على حق، حتى لو كانت تتكلم من أجل مصلحتها وليس لمصلحتى.

فى صباح اليوم التالى سأبلغ أبى باستعدادى للزواج بـ "تورنوس".

الدببة العملاقة تقف عند النهر الآن فوق أبترووريا. أوراق شجرة الغار تصدر حفيفاً خافتاً فى رياح الليل. فكرت فى تلك الليالى الثلاث الغريبة فى "ألبونيا"، حيث رائحة الكبريت النتنة فى البرك تعلق دائماً فى الهواء المعتم. كنت أجلس أتكلم مع ظل رجل يحتضر، وهو لم يولد بعد، رجل يعرف ماضىّ ومستقبلى وروحى، ويعرف ماذا يعنى أن أتزوج البطل الحقيقى. لكن الآن فى ساحة البيت، كل هذا يبدو بعيداً غامضاً مبهماً، حلماً زائفاً، لا يؤثر بشىء فى مسيرة الحياة الواقعية، لن أفكر به ثانية، لن أرجع إلى ألبونيا أبداً.

للحظات معدودة سمعت ذاك الصوت، الصوت الذى لا يشبه أى صوت آخر فى ذاكرتى. حينما جاء الشاعر لأول مرة، ووقف بجانب المذبح المقدس، وقال إن فاونوس(*) تكلم عبر أشجار ألبونيا مع الملك

(*) فاونوس Faunus: إله الغابات والسهول والحقول والمراعى فى الميثولوجيا الرومانية (المراجع).

لاتينوس، ليبلغه ألا يزوج ابنته لرجل من "لاتيوم". وحينما لاحظ تعجبى وانزعاجى، قال: "أظن أن هذا لم يحدث بعد. فاونوس لم يتكلم مع لاتينوس وربما لن يحدث هذا إطلاقاً. وقال إنه ربما تخيل الأمر أنه حلم داخل حلم".

وأنا أيضاً تخيلت ذلك. هذا لم يحدث. لن يحدث. أحلام زائفة، رؤى حمقاء.

كانت الأسطح قائمة منتصبة بقوة فى مواجهة السماء الشرقية المكفهرة، حينما ذهبت ورقدت لبرهة وجيزة.

كان يوم الصلاة، وكنت قد نهضت قبل شروق الشمس وارتديت الثوب ذا الحافة الحمراء الذى ارتديته كطفلة من أجل الطقوس، وذهبت لأوقظ أبى وأنا أردد كلمات الشعائر عند بابه: "هل أنت مستيقظ يا جلالة الملك؟ استيقظ!". وسرعان ما خرج أيضاً بردائه المزين بحواف حمراء، وقد طرح من على رأسه غطاء الرأس المتصل بالعباءة الخاصة بالعبادة. ومضينا إلى المذبح فى البهو وكان عددٌ من أهل البيت معنا، ومن بينهم أمى التى لم تكن معتادة على حضور الطقوس العامة. وقفت ساكنة هادئة بالقرب منى، وأنا أنثر السالسامولا(*) على المذبح. كان لدى شعور بأنها قصدت أن تبقى بالقرب منى كى أكون فى مدى بصرها طوال هذا اليوم. لقد حققت ما أرادته فقد

(*) سالساMولا Salsmola: مزيج من قطع البصل الأحمر وعصير الليمون والخل والحامض وفصوص التوم وغير ذلك. (المراجع).

كان دفئها وضغط جسدها الملتصق خلفى ملموساً، وحاولت الهرب منه. اقتربت أكثر من أبى حينما كان يضع عصا صغيرة، يغمرها فى القار فى نيران فيستا(*)، ويرفعها ليشعل موقد المذبح، بينما هو يتمتم بالكلمات المقدسة. لا أعرف إذا كان القار قد تناثر، أو أن الرياح قد بعثرته، ولكن فجأة رأيت شيئاً غريباً من حولى، حركة متذبذبة من الأضواء كانت هناك أصوات تنادى، تصرخ - لافينيا لافينيا! شعرها فى النار - إنها تحترق -". وضعت يدى فوق رأسى وشعرت بحركة ناعمة مريبة خافتة فى الهواء من حولى كانت ومضات النيران ترقص وتقفز وشممت رائحة دخان. وحينما استدرت رأيت من خلال السحابة المعتمة الصفراء أمى تقف هناك ليس على أكثر من مقربة ذراع منى. حملقت بعينين وحشيتين على شىء فوق رأسى. واستدرت وركضت منها فى المعبد إلى خارج الفناء، يتبعنى اللهب والأدخنة الصفراء. وكانت شذرات النار تتناثر منى. صرخ الناس وسمعت أبى ينادى باسمى. وركضت إلى بركة النبع، تحت شجرة الغار، وألقيت بنفسى ووجهى وشعرى فى الماء.

كان أبى هناك راكعاً على ركبتيه بجوارى يرفعنى، لافينيا صغيرتى، ابنتى، هل أصابك ضرر دعينى أرى".

لقد كنت فى غاية الاضطراب لكننى رأيت الدهشة تبزغ من خلال الرعب على وجهه. مرر يده على رأسى المبلل وشعرى الذى تتساقط منه قطرات الماء.

(*) فيستا Vests: إلهة المواقد العذراء الرومانية. (المراجع).

"هل من المعقول أنه لم يلحق بك ضرر"؟

"ما الذى حدث يا أبى؟ كانت هناك نيران".

"نيران فوق رأسك تنتشر وتشتعل وتتوهج. لقد اعتقدت أنه كان شعرك. ظننت أن الشعلة قد أمسكت به. لا أعرف هل أنت حقًا بخير؟ ألم تصبك حروق"؟

وضعت يدى فوق رأسى كنت أحس بالدوار لكن شعرت بأن فروة رأسى ووجهى لم يصبهما أذى. لكن فقط بللتهما المياه. لم يحترق شىء لكن طرف ردائى الذى ألبسه سقط من على رأسى عند المذبح. وكل هذا الطرف المصنوع من الصوف الأبيض والموشى بالأحمر قد تفحم وصار لونه أسود.

اجتمع حولى كل أهل البيت، يملأون الساحة، يصيحون ويبكون ويتساءلون ويجيبون. أمى وقفت إلى جانب جذع شجرة الغار كان وجهها متجمداً خالياً من التعبير. نظر أبى إليها وقال: "لم يحدث لها ضرر يا أماتا إنها بخير".

لقد أجابت بشىء ما، لا أعرف ما هو. والدة مارونا تقدمت إلى الأمام وركعت إلى جوارى، ولمست رأسى ووجنتى برفق، فقد كان مسموحاً لها بذلك كمعالجة. ونظرت حينئذ إلى أبى وقالت بحزم وصرامة: "إنها نبوءة أيها الملك تحدث عن النبوءة".

وأطاع الجارية. وقف. ونظر إلى أسفل نحوى، ثم رفع نظره للشجرة العملاقة وتكلم، وقال: "الحرب".

وخيم الصمت على جميع الناس حينما تكلم.

قال مرة أخرى "الحرب". وحينئذ كما لو كان يصارع الكلمات أو كما لو أن الكلمات كانت تتدافع من تلقاء نفسها من فمه دون إرادته: "الشهرة البراقة، والمجد التليد سوف يتوجان 'لافينيا'. لكنها سوف تجلب الحرب على شعبها".

وبالتدريج خيم الصمت على كل شىء وكل شخص، وتناثر الناس يتحدثون طوال الطريق فى أعمالهم الصباحية. أخذتنى "فيستينا" لتجفف شعرى، وهى تبكى بانزعاج من أجلى، بينما تناولت ثوبى بأطرافه المحترقة كل النساء الحاضرات، ومررن ذاك الثوب من يد إلى يد فيما بينهن.

كان ينبغى معاودة أداء الشعيرة التى توقفت. وهذا الأمر كان يلح على ذهنى؛ لذا تمكنت من التملص من النسوة اللواتى أحطن بى، للذهاب ومساعدة أبى، لكنه أعادنى من جديد إلى تجمع النساء وطلب منى أن أرسل مارونا لمساعدته. ينبغى على أن أرتاح قليلاً، هذا ما قاله، وطلب منى العودة إليه فيما بعد.

أحسست بالراحة، فقد كنت مرهقة، وأحس بصداع خفيف فى رأسى. فكرت أننى بحاجة لتناول شىء من الطعام، قلت هذا عندما دخلت إلى جناح النساء. استقبلتنى فستينا، كانت تبكى وهى تقول لى: "بالطبع يا صغيرتى، بالطبع أيها الحمل المسكين!"، ثم

أرسلت فتاة صغيرة لتحضر لى العسل وبعض الطعام وبعد أن تناولت طعامى أحسست أننى أفضل بكثير.

كانت أمى معنا فى الغرفة لكنها لم تشارك فى الحديث جلست تغزل أمام نولها الكبير. كنت أنسج بشكل جيد، لكننى كنت بطيئة فى العمل على النول، أماتا كانت الأفضل، تعمل بسرعة، ولا تنتبه لأى شىء آخر خلال عملها، ويبدو وجهها هادئاً، له إيقاع ثابت وتركيز تام. إن الخيط الصوفى الدقيق جداً الذى كنت أغزله طوال هذا الربيع كان من أجل قطعة الثوب التى تنسجها أمى الآن. قطعة من النسيج الأبيض الدقيق على اتساعها، من النوع الذى تجمع منه فى يديك عدة ياردات وتمرره من فتحة خاتم إصبع. واليوم حينما بدأت النساء يتحدثن أخيراً عن شىء ما إلى جانب اللهب الغامض للنيران، وكيف أن الدخان الأصفر كان ينتشر خلفى حين جريت، وكيف أن الشرر يتطاير عبر المنزل إلى لا شىء. وهكذا التفتت أمى نحوى مبعدة وجهها عن النول، أومأت لى بالاقتراب فتقدمت نحوها.

سألتنى مع أغرب ابتسامة، ابتسامة عريضة عمياء، كانت تقريباً ابتسامة خجول: "هل تعرفين ما هذا الذى أصنعه يا لافينيا.

عندما سألتنى هذا السؤال، عرفت الإجابة على الفور. لكنى قلت: "ثوب للصيف".

"ثوب زفافك. سترتدينه عندما تتزوجين انظرى كم يبدو رائعاً"!.

"ما تغزلينه دائماً رائع يا أمى".

قالت كما لو أنها تردد لازمة لأغنية، "سترتدينه عندما تتزوجين، عندما تتزوجينه"، ثم استدارت برأسها نحو النول من جديد، لتعاود الغزل وهى تهمس لنفسها كلمات الأغنية بصوت خافت، من بين أنفاسها: "سترتدينه عندما تتزوجين، عندما تتزوجينه".

عندما انتصف النهار، ذهبت بمفردى إلى جناح والدى. وعند عبورى الفناء، توقفت تحت شجرة الغار، وسألت قوتى الشجرة والربيع، "لار"[1] إلهة البيت والغالية بيناتس[2]، لتكونا معى وتساعداننى. كان كل ما فكرت به وشاهدته الليلة الماضية واضحاً تماماً، كل ما كان لدى مؤكداً تماماً ومحلولاً منطقياً، كان قد مضى، احترق مع دخان الشعلة التى لا حرارة لها، مع كرات الدخان الأصفر. كنت أعرف ما ينبغى على قوله، لكننى كنت أحتاج المساعدة لقوله.

احتضننى أبى وهو يحاول التأكد أننى لم أتعرض لأى أذى، ولم أجرح ولم أُصب بحروق.

قلت: "أنا بخير يا أبى. كنت جائعة بشكل مخيف لذا أكلت كل ما أحضروه لى من المطبخ". طمأنه كلامى هذا، كما كنت أعرف. "والآن هل من الممكن أن أتحدث معك بشأن خطابى"؟

جلس فى صدر الغرفة، فى مواجهة الجدار، وهز رأسه بإيماءة حزينة.

---

(١) لار Lar: إلهة رومانية. (المراجع).

(٢) بيانتس: إلهة الخزين. (المراجع).

"كنت أود أن أقول لك إننى موافقة على أن تزوجنى لأحد منهم".

إيماءة موافقة.

"لكن بعد ما حدث هذا الصباح ـ النبوءة ـ أطلب منك ألا تسألنى رأيى، وبدلاً من ذلك تذهب إلى ألبونيا وهناك تسأل الآلهة، وسأنفذ ما يخبرونك به".

وعندما كنت أتكلم، كان ينظر نحوى بشدة من تحت حاجبيه الكثيفين الأسودين الرماديين، كان يصغى حينما تكلمت وفكر لبعض الوقت. وفى النهاية هز رأسه مرة أخرى.

قال: "سأذهب اليوم".

"هل أستطيع القدوم معك؟".

مرة أخرى أطرق مفكراً. قال: "نعم"، ثم نظر إلى ثانية، مع ظل ابتسامة، وقال: "مثلما اعتدنا الذهاب معاً. هل تذكرين المرة الأولى؟ كنت لا تزالين طفلة...". لكن وجهه كان كئيباً، ولاحظت أنه يبدو ممزقاً.

قبلت يده وقلت: "سأكون جاهزة للذهاب فى الوقت الذى تريده يا أبى".

قال: "الأضاحى، إنها.. أحتاج.. خروفاً.. اثنين.. هل هناك عجل أبيض؟ خروفان وعجل أبيض على الأقل".

"سأرسل لأستعلم من تيريوس دورو إنه هناك مع الأبقار والعجول فى مراعى المروج سأهتم بهذا الأمر يا أبى".

"جيد. افعلى هذا. هناك عدة أشياء ينبغى على متابعتها قبل ذهابنا. عجل أسود، سيكون أفضل لافينيا إذا وجدت واحداً أسود فى ذلك المكان".

ذاك المكان، ألبونيا، التى تقع قرابة العالم السفلى الذى تتمكن فيه ظلال الموتى من القدوم والذهاب بسهولة. سواد فى ذاك المكان.

ولادة العجول تمت مبكراً فى هذا الربيع، لذا كانت العجول التى أحضرها لى الراعى كبيرة نسبياً. العجل الذى جاء به دورو العجوز كان قصيراً، ولم يكن أسود بالكامل، بل فيه أجزاء بنية فى ساقيه ووجهه، لم تكن الأضحية الأمثل؛ لذا استاء أبى حين شاهده.

قلت: "إنه مطيع يا أبى. انظر كيف يمشى بكل طاعة كما أنه يغلب عليه السواد".

أومأ دورو برأسه بمهابة، وقال: "أكثر عجل أسود حصلنا عليه يا جلالة الملك".

وهكذا، هز الملك رأسه، ونهضنا.

ارتديت ثوبى ذا الأطراف المحروقة، لأنه كان الثوب المقدس الوحيد الذى أمتلكه، سنة وراء أخرى كانت أمى تؤجل حياكة ثوب ذى أطراف مصبوغة بالأحمر. سرنا مجموعة، لأنه كان علينا أن نقود الحيوانات، وربما لأن أبى أحس ببعض الانزعاج وعدم الراحة. لم تكن هذه المرة مثل المرات السابقة التى كنا

نسير فيها أنا وهو منذ زمن مضى، حين كان يحمل خروفاً صغيراً، أو مثل المرات التى كنت أسير فيها مع مارونا. كان أبى يسير برفقتى، وكان هناك دورو مع العجل، والصبى الراعى مع الخروفين، وخادمان يحملان سائر الحاجيات وثلاثة من حراس أبى، الرجال الذين يحرسون أبواب الريجيا(*)، ويذهبون معه مسلحين، حينما يخرج لزيارة الممالك أو البلدان الأخرى. كانوا سينادون على ركاب الخيول والفرسان، ويدخلون الجياد إلى الإسطبل الملكى. لكن هذه رحلة مقدسة، ومضينا على أقدامنا.

واحداً تلو الآخر، مشينا خلال النهار المضىء إلى المساء. وصلنا إلى براتى الصغرى وتتبعنا أعلى النهر، وتذكرت المكان الصخرى لعبور النهر، حيث رأيت الدماء فى حلمى.

توقف الفرسان ومارونا والعبيد على أطراف الغابة. الرجال سيعسكرون هناك. مارونا تذهب إلى منزل الحطاب. وقاد دورو والصبى الراعى الحيوانات، وحملت أنا ولاتينوس القرابين الأخرى إلى غابة ألبونيا. أخذ دورو والصبى جلود الأضاحى إلى المكان الذى خيموا به حيث تناول الرجال أول وجبة لحم. عكس أبى المشاعل. فانطفأ لهيبها فى الأرض. وقف أمام المذبح، حيث النيران مازالت تلتهم الأضاحى، كان رأسه مغطى وهو يتمتم بكلمات العبادة والأدعية. جلست على صوف أحد الخرفان أنصت.

(*) ريجيا Regia : ساحة مقر الملوك فى روما. (المراجع).

كنت خائفة ومتشوقة لأسمع صوت جدى يتكلم، يجيبه عبر هذه الاشجار المظلمة الصامتة.

لم أنم تقريباً الليلة السابقة، كما أن النهار كان طويلاً وغريباً. كنت متعبة جدًا لذا لم أتمكن من إبقاء عينى مفتوحتين. رأيت شعلة اللهب الذهبية المتوهجة ترتعش وتخبو. وكنت حينئذ راقدة أنظر عبر الأغصان على السماء المكتظة بالنجوم، وشاطئ البحر الممتلئ بالرمال، وتكسوه النار البيضاء التى كانت أيضاً تتذبذب وتخفت.

استيقظت. النجوم بدت متوهجة لكنها كانت نجوم أخرى. النيران انطفأت. بومة تصيح من الجانب الأيمن، بيى - إيى، وأخرى ترد عليها من مكان أبعد "إى، يى".

كان هناك، وقف الشبح بينى وبين المذبح، كان طوله غير واضح فى ضوء النجوم الرمادى. شاهدت فى الجانب البعيد قرب المذبح بجانب الجدار وميضاً برونزياً، جسد من دون حراك ممدداً على الأرض. إنه أبى كان نائماً. وكان الإحساس بالهواء بارداً فى الساعة التى تسبق بزوغ الفجر.

قال شاعرى بنعومة: "إنه الوقت الذى يموت فيه المحتضر".

وقفت وأنا أحاول رؤيته بوضوح أكثر. كنت خائفة ومضطربة، ولم أعرف لماذا، وعرفت لماذا. همست: "هل أنت تحتضر؟".

أومأ برأسه.

الإيماءة تعنى شيئاً ما، لكنها فى النتيجة تحمل بعضاً من الموافقة على حدوث الأمر. الإيماءة هى إشارة قوية تعنى نعم.

قال: "ليس لدى وقت طويل".

"أوه، أتمنى ـ" لكن الأمنيات لا تنفع.

قال بضحكة شبحية وبصوته الشبحى: "أبوك سمع فاونوس يكلمه".

"إذًا لن تتزوجى تورنوس لا تخافى من هذا".

وقفت قبالته ورغم أنه كان يتكلم بلطف فإننى بقيت مرعوبة.

"وماذا سيحدث بعد ذلك؟".

"الحرب، النحل حام حول الشجرة الكبيرة. ابنة الملك ركضت عبر المنزل وشعرها يشتعل ويطلق الشرر والدخان أيضاً، الحرب والمجد سيلحقان بها".

"لماذا يجب أن تكون هناك حرب؟"

"أوه 'لافينيا يا له من سؤال للنساء، لأن الرجال هم الرجال".

"إذًا سيأتى آينيس ليهاجمنا".

"لا أبداً. سيأتى فى السلام ليعَرض التحالف مع والدك ولتتزوجيه، سيستقر ويحضر عائلته. سيحضر آلهة بيته إلى هنا. لكنه سيحضر السيف أيضاً وستكون الحرب، معارك، حصار، مذابح، أسر، المدينة

ستنهب وتحرق. والرجال المتفاخرون المتناحرون سيقتلون الرجال النائمين. والرجال الذين يقتلون الأولاد. وستتلف المحاصيل الزراعية. إن كل الخطايا التى يقوم بها الرجل سوف تحقق العدالة، الرحمة، هل سيرعاهم مارس(*)؟".

بدا صوته أكثر قوة، ليس عالياً بل حاداً، لذا نظرت إلى والدى لأرى إن كان سمع صوته. استمر فى نومه لا يتحرك. "أستطيع أن أخبرك عن الحرب يا لافينيا؟ هل أخبرك؟". لم ينتظر سماع إجابتى. "تبدأ الحرب مع غلام يقتل غزالاً فى الغابة. إنه سبب قوى لإشعال الحرب، قوى بالنسبة إلى الجميع. إن أول من سيموت هو الشاب آلمو أنت تعرفينه. سيمر سهم فى رقبته يجعل حديثه وأنفاسه تختلط بالدماء، ثم العجوز جاليسوس الثرى الذى بدا أنه يحكم الأمور، يحاول أن يحافظ عليهم من القتال الذى يدور فيما بينهم، والذى كان وجهه عليه آثار الألم، وحينئذ رأى تورنوس فرصته وبدأت الحرب الضروس، لا يوجد رجل سيبقى على آخر فى هذه المعركة، حتى إن توسل من أجل الإبقاء على حياته. إينيوس يقتل ليكتيوس؟ ليفر يقتل إيماثيون، آسيلس يقتل كرينيوس؟ كارينوس يقتل أورتيغيوس، كيرونوس يقتل كانيوس، وإيتيس وكلونيوس، وديكسيبوس، وبرومو لوسى، وسجيريس، وإيديس، وتدفقت رغاوى الدماء من الرئة المثقوبة. فالرجل يقتل بينما هو يتقيأ الدماء والخمر ويتلوى من

(*) مارس Mars: إله الحرب الرومانى. (المراجع).

آلام الموت. قذف أينيس بسهمه الصلب المدبب إلى رأس رومولوس؟ واخترق سيف تورنوس رقبة آنتينيس؟ وانغرس حتى الرئة وصار الصلب دافئاً من الدماء. وسيفه أطاح بجمجمة باندروس فيما بين المعابد، حيث إن الرجل سقط على الأرض وتناثر مخه على السلاح وانقسم إلى نصفين من رقبته، وحينما لحق آنيس بالمعركة تحطم سهمه على درع مانيون وعلى واقى صدره ليقطع ذراع الكانور من كتفه. وغرز بالوس سيفه فى صدر هيزبو المنتفخ، وأطاح برأس ثيبر من على رقبته وقطع يد لاريديس. وقتل هاليوس لادون وفيرس، وديمودوكوس وقطع يد ستيريمونيوس التى ارتفعت ضده، وضرب سوث فى وجهه، بحجر، فتناثرت أجزاء من جمجمته مختلطة بالدماء والمخ، ورشق تورنوس رمحه الصلب المدبب المكون من خشب السنديان من خلال درع بالاس وصدره، حينها سقط الغلام ليأكل القذارة بفمه الدامى، ثم وضع تورنوس قدمه على الجثة ومزق جراب السيف الذهبى لـ بالوس. فرح بالغنيمة التى حصل عليها وعند سماع ذلك اندفع آينيس خارجاً مرة أخرى فى غضب أعمى ضد العدو، وعلى الرغم من أن ماجوس يطلب منه العفو فإن آينيس يطيح برأس ماجوس؟ ويقطع رقبته، ثم قتل آنكسور؟ وقتل آنتيوس ولاكوس ونوما، وقتل كامير الأصفر و نيفيوس وليجير ولوكيجوس، ونجا تورنوس منه فقط بسبب الآلهة التى تحبه فجذبته بعيداً عن المعركة، لكن الطاغية ، ميزينتيوس قتل

هاربوس وقتل لاتيجوس قذفه بصخرة ضخمة فى وجهه وفمه كما أعجز بالومز عن الحركة وصرعه وتركه يتلوى ببطء. وقتل إينانيس وميمس. وضرب آكرون الأرض بقدميه وهو يموت من رمح ميزينتوس. وقتل كايديسوس ألكاسوس وسكراتور، قتل هيداسبيس ورابو قتل بارثينوس وأورسيس وهيسابوس قتل كولونيوس، حينما سقط من فوق حصانه. أما آجيس فقد قتله فاليريوس وثرونيوس قتله ثاليوس وثاليوس قتله إلياسيز؟ لقد قتلوا معًا، وقُتلوا معا. وحينئذ فإن آنيس الورع الذى يطيع إرادة القدر والآلهة غرس رمحه فى أعلى ساقى ميزينتيوس. وقتل لوسوس ابن ميزينتيوس حينما حاول أن يحمى أباه. وغرس آينيس سيفه فى جسد الشاب حتى مقبض السيف الذى اخترق الدرع والرداء الذى نسجته أمه من أجله، وملأت الدماء رئتيه وحياته تاركة جسده يتوارى متألماً إلى عالم الظلال. شعر آينيس بالأسف على الصبى، لكن حينما تحداه ميزينتيوس فهو يذهب ليقابله بصيحة الفرح، وعلى الرغم من أن ميزينتيوس يمطره بوابل من الصيحات إلا أن آينيس يقتل حصانه، حينها يمزق الرجل الذى سقط من فوق الحصان ويقطع رقبته، وفى اليوم التالى يرسل جثة بالاس إلى أبيه الملك إيفاندر مع أربعة سجناء للتضحية بهم أحياء عند المقبرة. كيف تحبين القصيدة الآن يا لافينيا.

وبعد وقت طويل نجحت فى أن أجيبه: "إن هذا يتوقف على كيف ستكون النهايات".

"بانتصار البطل المجيد على أعدائه بالطبع، إنه سوف يقتل تورانوس ويسقط جريحاً عاجزاً بمجرد أن يقتل ميزينتيوس.

"من البطل؟"

"أنت تعرفين مَنْ هو البطل".

"إنه يقتل مثل الجزار، فلماذا هو بطل؟"

"لأنه يفعل ما ينبغى عليه أن يفعله".

"لماذا ينبغى عليه أن يقتل رجلاً عاجزاً؟"

"لأنه هكذا تشيد الإمبراطوريات، أو هذا ما أتخيل أن أوغسطس سيفهمه لكننى لا أعتقد أنه سوف يفهم".

ثم استدار وتركنى ومضى ولم نتكلم مع بعضنا البعض، وبدأت أبكى بينما هو يغنى أغنية بشعة عن المذبحة بينما وجهى مبلل بالدموع. وحينما تكلم الشاعر ثانية بدا صوته رقيقاً، لكن الأمور لم تنته عند هذا الحد يا لافينيا بالنسبة إليك".

أخذت خطوة تجاهه لأننى لم أستطع رؤية وجهه. "أخبرنى إذاً".

"ليس مع نهاية عصره بعد مرور ثلاثة صيفيات وثلاثة شتاءات قد تعتقدين أن كل شىء قد انتهى مع نهر الدماء فى نيوميكس لكن لم تكن النهاية هناك ولا فى لافينيوم ولا فى ألبونيا ولا بموتك ولا بموت ابنك ولا بموت الملك، ولا بموت القناصل وسقوط قرطاج

وهـزيمـة غـول(*) ولا حـتى بمـقـتل يـولـيوس ولا حـتى بمقتل أوغسطس العظيم. العصر المجيد يعود.. ربما.. أعتقد فى وقت ما. لكن كونى طيبة القلب يا ابنتى يا جدتى الصغيرة! إن آلهة طروادة قادمون إلى البيت الطيب بيتك فى ليتيوم، وأنت سوف تتزوجين ابن الربيع ابن نجمة المساء".

لقد كرهته حينما أخبرنى هذه القصة عن الذبح لكننى كنت أفقده، والآن بالفعل لحظة بلحظة أنا أحببته وأشعر بالاشتياق إليه: "انتظر. فقط أخبرنى. قصيدتك، قصيدتى هل انتهيت منها؟".

وبدا أنه يومئ بالإيجاب لكننى لم أستطع أن أراه، فقط ظِل طويل فى وسط الظلال.

"لا تذهب الآن؟".

"يجب أن أذهب يا مجيدتى. أنا ذاهب سألحق بالجموع، أعود إلى الظلام".

صـرخت بـاسـمه، واندفعت إلى الأمام وفردت ذراعى لأمسك به، لأحفظه من الموت، لكنه كان مثل الأنفاس فى رياح المساء. لم يكن هناك أحد.

جلست على الصوف، يداى حول ركبتى، وثوبى ذو الأطراف المحترقة ملفوف حولى، أتدفأ به حتى أصبحت السماء مضيئة فوق مكان المذبح، فمضيت حينئذ إلى أبى وقلت: "هل أنت مستيقظ يا جلالة

(*) غول Goul: اسم تاريخى يستخدم فى سياق روما القديم للإشارة إلى إقليم غرب أوروبا الذى يشمل فرنسا وبلجيكا والبلدان الأوروبية الأخرى. (المراجع).

الملك؟ مستيقظ!". نهض جالساً، كنا قد أحضرنا بعضاً من الماء للشرب لأنه لم يكن هناك ماء نقى فى الغابة، أعطيته الزجاجة وشرب وابتلع الماء ثم تناول قليلاً من الماء ليمسح وجهه بيديه.

قلت: "أنت سمعت جدى يتكلم"؟

نظر إلى كما لو أنه لم يستيقظ، وقال بعد ذلك: "الصوت القادم من بين الأشجار".

انتظرت.

ونظر إلى الأشجار المظلمة وقال بصوت منخفض كالصلاة، لكن بوضوح: "لا تدع ابنة لاتينيوم تتزوج رجلاً بـ"لاتينيوم" دعها تتزوج الغريب الذى قد يأتى الآن. إن ممكلة أبنائها سوف تكون أعظم بكثير من مملكة "لاتينيوم".

نظر إلى مرة ثانية، أومأت برأسى:"أنا أفهم سوف أطيع".

استيقظ أبى عابساً متجهماً، إنه لم يكن معتاداً على النوم فى الخارج على أرض صلبة. نفض ثيابه عن فخذيه ومدد ذراعيه متألماً. قال: "أنا رجل عجوز يا ابنتى والآن على مواجهة هؤلاء الشبان بالرفض". هز رأسه ورفع كتفيه: "لو كان ولدىً على قيد الحياة. إننى عجوز جداً يالافينيا!".

لم يكن مثله الذى يقول ذلك ولم أعرف ماذا أقول له فأنا كنت صغيرة جداً على أن أشعر بأى

شىء، لكننى كنت مندهشة وأشعر بالشفقة ولم أرغب فى أن يشعر أبى الملك بهذا الحزن.

ذهب إلى الغابات ليقضى حاجته وحينما عاد كان متمالكاً نفسه قليلاً. قال: "لا تخافى أنا لم آخذ منهم أى شىء ومازال بإمكانى حماية ابنتى وبيتى ومدينتى". جمعنا الأشياء القليلة التى أحضرناها معنا، وحينما فعلنا هذا قال: "أتمنى لو أن أمك لم تصمم على رأيها بتزويجك من تورنوس لكننى أرى أنه ابن اختها، ويبدو لها كما لو أنها تستعيد ابنا من أبنائها، حسنًا تعالى إلى يا حبيبتى". مشى بصعوبة وأنا تبعته.

وحينما وصل للمكان الذى تجمع فيه الرجال كانوا قد استيقظوا لتوهم. كانت السماء مضيئة من خلف التلال الشرقية. وكانت الطيور فى العالم تغنى. كان هناك جدول صغير، لذا ركعنا أنا وأبى على الضفة لنغسل أيادينا ووجهينا. وحين انضم الفرسان إلينا أبلغهم أبى بما قالته النبوءة، هذا الأمر فاجأنى ثانية، فقد توقعت أنه سيعلن الأمر رسمياً حين نعود إلى البيت، يستدعى الخطاب ويوضح لهم أن طلبهم مرفوض من قوى غيبية ومن أرواح الأسلاف، أما كلامه عن هذا الأمر الآن فإنه دليل على أن الأمر سيصير شائعاً فى مملكة لورنتيوم خلال يوم أو يومين بعد رجوعنا. لم أكن أعرف لماذا تصرف أبى بهذه الطريقة، إلا إذا كان لا يستطيع مواجهة أمى بنفسه بهذا الخبر ويود لو أنها تعرف الأمر منى أو من الشائعات فيما بين النساء.

لكنها جاءت لاستقبالنا بحماس تركض عبر فناء المنزل وهى تبدو نضرة وجميلة. بكت مبتهجة وهى تقول: "أعرف! لقد حلمت بك هناك أنا سعيدة جداً".

كلانا توقفنا، بلا شك كنا مثل قطعان ماشية نحدق ولا نفهم، أخذت يدى وقبلتهما قائلة: "أنا سعيدة جداً من أجل ذلك".

"من أجل ماذا؟"

"أوه الزفاف! الزفاف فى أرديا شاهدته فى حلمى".

بعد هنيهة صمت تام، قال أبى بصوت مرتفع وحاسم: "النبوءة حظرت على لافينيا الزواج من رجل من لاتينيوم يجب أن تنتظر خاطباً غريباً".

"ليس هذا ما قالته النبوءة أبداً أنا شاهدت أنا سمعت".

قال أبى: أماتا اهدئى سوف نتحدث فى الأمر على انفراد. لافينيا نادى على النساء - وخذى أمك معك ثم استدار للذهاب إلى جناحه.

جرت أمى نحوه ثم عادت وتوقفت لتقول لى بوحشية: "ما الخطأ فيه؟".

"لا شىء يا أمى تعالى معى". حاولت أن أذهب إلى جانب النساء، لكنها اعترضت، ولم تصمت إلا عندما جاءت وصيفتاها سيكانا ولينا ليقنعاها بالقدوم معنا، كان الإشراق الذى لاح على وجهها ساعة وصولنا قد انطفأ تماماً، وتبعتنى".

سرت الأخبار فى كل البيوت وفى البلدة منذ لحظة وصولنا. ابنة الملك لن تتزوج تورنوس ولا ميسابوس، ولا أى أحد من الخطاب، عليها أن تنتظر رجلاً غريباً ليأتى ويتزوجها، هذا هو تفسير هجوم النحل على الشجرة، ولهذا السبب أيضاً احترق شعرها، الحرب! الحرب مَنْ الذى سيقاتل؟ مَنْ الغريب القادم؟ وماذا سيقول له الملك تورنوس؟

وماذا سأقول له؟ فكرت بكل هذه التساؤلات التى يهمس بها الجميع.

وبدت أماتا مصعوقة. لم تخبرنا ما الحلم الذى شاهدته واعتبرته صحيحاً وجعلها تُكَذِّب النبوءة بكل قوة، لم تشارك فى أى من الأحاديث، كما لم تتكلم معى، حرصنا على البقاء بعيدتين عن بعضنا وهذا كان معتاداً، فقد كنا بعيدتين طوال اثنتى عشرة سنة ماضية.

مع حلول الليل كنت مريضة من جراء الثرثرة والضجيج، ما أردته كان البقاء وحدى بعيدة عن كل هؤلاء النسوة عن البيت. الذهاب خارجاً حيث بإمكانى التفكير. كانت أمى تغزل على نولها، ذهبت إليها وطلبت منها السماح لى بالذهاب غداً لأجمع الملح من فم النهر.

قالت دون أن تبعد نظرها عن النول: "اسألى الملك". ذهبت إليه فكر لدقيقة ثم قال: "أظن أن الأمر لن يكون آمناً".

قلت بدهشة: "ولماذا لا يكون آمناً؟ إن قدرتنا على جمع الملح هى جزء كبير من قوتنا كمملكة، ونحب أن نحافظ عليها وفقًا لذلك، لم يجرؤ أحد على الاقتراب من أماكن الملح منذ عقود".

"سأرسل معك جايوس وترافقك اثنتان من الوصيفات".

"لماذا ترسل جايوس سيكون معى بيكو مع الحمار ليحمل الملح خلال عودتنا".

"جايوس سيذهب معك. اذهبى من الضفة الغربية وعودى قبل الظلام".

"لا أستطيع يا أبى، علينا أن نحفر للملح".

بدا مستاءً: "يمكنك القيام بذلك والعودة خلال النهار".

"كنت آمل أن أمضى الليل هناك يا أبى عند نهر تايبر".

نادراً ما كنت أتوسل إليه. قال بعد صمت: "حسناً ولِمَّ لا؟ إن ذهنى متكدر ومرهق، لا أكاد أعرف. اذهبى ثم صلى إلى أبينا النهر. لكن ليلة واحدة فقط. وبعد أن شكرته وهممت بالابتعاد، قال: "وابحثى عن الإتروسكانيين.

كان الجميع يقولون إنه عند ذهابك إلى النهر تايبر فإن الضفة الشمالية تزدحم بـ الإتروسكانيين الذين يقفزون فى النهر ويسبحون ويقومون بالخطف

والتعذيب، كانت هناك قصص مرعبة عنهم. كانت علاقتنا جيدة معهم فى عهد "كايرى"، لكن عندما حكمهم ميزينتيوس اختلف الأمر وتعين على من يجرؤ على السباحة إلى مصب النهر أن يكون سباحاً قويا؛ لذا فعندما تذهب إلى النهر تايبر فإنك تسمع عبارة ابحث عن الإتروسكانيين، ويقولون: ابحث عن الدببة، حينما تذهب إلى التلال، بحكم العادة.

على أية حال، ذهبت للبحث عن تيتا لإبلاغها بأن تعثر على بيكو ليكون جاهزاً مع حماره عند الصباح. فكرت أن الرجل الغريب الذى سأتزوجه من المحتمل أن يكون من الإتروسكانيين.

ولأنه حينما لا أكون فى "ألبونيا"، وعندما أكون بين الناس، تبدو الأشياء التى قالها لى الشاعر مجرد ومضة تظهر وتختفى فى ذهنى. أحيانا تبدو حقيقة كما كانت حين تحدث عنها. لكن غالبًا تتلاشى بعيداً مثل حلم تحاول أن تتذكره ولا تقدر. كان حلماً صحيحاً، لكنك لا تستطيع أن تعيش حياتك فى حلم حتى وإن كان صحيحاً. فمن أصعب الأشياء تذكر ما قاله الشاعر فى الليلة الأخيرة. هل كانت الليلة الأخيرة؟ كان يحتضر. لا أريد تذكر ذلك، لا أود تذكر ما أنشده تلك الليلة، الموت البشع اللامنتهى. أعرف أنه أخبرنى باسم الرجل الذى سأتزوجه، اسم زوجته وابنه، أعرف أنه سيأتى من مدينة بعيدة، "طروادة". أعرف أنه ستشتعل الحرب، الرجال سيقتلون بعضهم،

وهكذا هنا فى ساحة "الريجيا" سيمرون بجانب شجرة الغار الضخمة حيث النساء كن يتجمعن للحديث والغناء، وهن يقمن بأعمالهن. تلاشت الأسماء كلها من ذاكرتى وأتعجب إذا كان الرجل الذى سأتزوجه سيكون إتروسكانى.

كان الإتروسكانيون غرباء ـ إلى حد كبير ـ كانوا يقرأون المستقبل فى أكباد الخراف. أحببت معرفة مارونا لعادات الطيور. لكننى أردت القيام بذلك، دون تعذيب ودون أكباد الخراف.

ارتفعت معنوياتى بمجرد السماح لى بالذهاب، وعندما غادرت المدينة فى الصباح التالى، أحسست كما لو أننى عصفور تحرر من الفخ. كل المخاوف بشأن الخطاب. التهديدات والنبوءات الغريبة والتفسيرات المظلمة، زالت عنى. منعت تيتا من التفوه بأية كلمة حول هذه الأمور، كنا نمزح ونتبادل الحكايات طوال الطريق. ذهبنا إلى نهر تايبر، ورغم الحزن ضحكت مارونا مثل طفلة. كان يوماً فرحاً ونمت فى تلك الليلة نوماً هادئاً على كثيب من الرمل تحت النجوم.

فى فجر اليوم التالى كنت وحدى أخوض فى وحول نهر تايبر حين شاهدت سفناً كبيرة آتية من البحر، تتجه نحو النهر. رأيت زوجى يقف بصرامة عند مقدمة السفينة الأولى. أظن أنه لم يشاهدنى. يحدق طويلاً فى النهر المظلم ويصلى، يحلم. لم ير

الموت الذى يكمن بطول النهر، وعلى طول الطريق إلى روما.

لم يكن هناك سوى الاضطراب والجدل فى "الريجيا"، بل فى البلدة كلها. عرف كل شخص بشأن النبوءة التى أبلغها لاتينوس وكل شخص ناقش الأمر بلا نهاية. والآن تأتى الكلمة عن أسطول السفن القادمة نحو النهر وعن الحشد المسلح من الغرباء الذين يخيمون عند شاطئ "لاتين". إن الكلام حول هذا جعلنى أفكر بالظلام الدامس، وطنين النحل الذى حام وهمهم.

وفى الصباح الباكر من اليوم التالى، تسللت من الريجا دون أن أطلب إذناً بالخروج وركضت نحو بستان السنديان فى مزرعة تيروس. كانت سيلفيا مع امرأة أخرى عند مكان صنع الألبان منهمكة فى جمع القشدة. قلت: سيلفيا تعالى نذهب إلى النهر. تعالى نسترق النظر إلى هؤلاء الغرباء.

كانت سيلفيا فى العادة هى التى تقوم بأفعال جريئة ومخاطرة، وكانت تفاجئنى.

سألتنى بتعقل: "لماذا تودين رؤية هؤلاء الأغراب؟".

"لأننى سأتزوج واحداً منهم".

من المؤكد أنها سمعت بما قالته النبوءة. بدت مستاءة فى البداية ـ بلا شك ـ تفكر فى آلمو لكن بعد

مرور دقيقة نظرت بنصف ابتسامة، وهى تقول: "تريدين أن تعرفى إذا كان لهم رأسان؟"

"نعم".

"ربما ليسوا هم الغرباء الذين سوف تتزوجين منهم".

"أظن أنهم هم".

كانت تقف وعلى يديها بقايا القشدة شعرها متجمع إلى الوراء. يداها العاريتان تشعان فى ذلك المكان المعتم والبارد. وقدماها الحافيتان تغوصان فى الأرض الباردة. لم تتمكن من مقاومة الفرار. قالت: "أوه، وهو كذلك". سلمت القشدة وأعطت بعض التعليمات لـ فالينتا، المرأة التى ترافقها، وخرجت معى إلى الشمس الساطعة، انتعلت صندلها وانطلقنا عبر المراعى. كان النهر يبعد قرابة ستة أميال، كنا نقطعها خلال نزهاتنا واستكشافاتنا، كما كنا نعرف الطرق عبر الغابات.

تناقشنا حول المكان الذى من الممكن أن يخيم فيه الغرباء، إذ لم نعرف معلومات دقيقة حتى الآن. فكرت سيلفيا أنهم سيخيمون فى الأعلى عند الأحواض الخشبية فى سيرمو. لكن خطر فى بالى أنهم لن يذهبوا فى ذاك الاتجاه بعيداً، بل سيوقفون سفنهم فى ذاك المكان الذى يسمى فينتيكولا، حيث النهر يأخذ انحناءة نحو الشمال، لم نعد للكلام حول الأمر، لأن كل منا كانت تفكر فى أنه ينبغى أن نكون حذرتين،

إذ لو شاهدنا أى أحد من رجال البلدة سواء كان يعرفنا أم لا، فإنه سيطلب منا العودة إلى البيت، وسيعمل على التأكد من عودتنا. كان هناك طريق سرى نحو سيرمو ونحو فينتيكولا، ممر يعبر الغابات الكثيفة وأهوار فاسولا، لكننا لم نسلك الطريق السرى ولا ممرات الوثنيين البعيدة عن مزارع البيوت والمراعى. سرنا عبر الطريق المغطى بالعشب القديم، حيث الكثبان الرملية والتلال القصيرة القريبة من النهر، حتى وصلنا إلى الغابة المنخفضة بالقرب من فينتيكولا.

عندما وصلنا إلى أعلى التل أدركنا أننا لم نكن وحدنا فى الغابات. سمعنا رجالاً يتحدثون، ويصيحون، ويضربون فئوسهم، ثم شاهدنا من خلال أوراق نبات "الآس"، رأسين تعلوهما خوذتان حينها سارعنا بالاختباء. سيلفيا كانت على وشك الانفجار بوحشية بضحكات مكتومة، فأصابتنى العدوى واندفعنا بعيداً ونحن مصابتان بنوبة شديدة من الضحك الهستيرى. كان الجنود يتجمعون أسفل التل، وعندما ساد بعض الصمت فيما عدا صوت الفئوس التى استمرت فى الضرب، شققت طريقى بين الكثبان. ومن هناك كان بإمكانى النظر إلى جانب التل عبر الأشجار نحو المساحة الممتدة عند الشاطئ. همست لـ"سيلفيا": "إنهم هناك". التصقت بى وجلسنا نراقب "الطرواديين".

عرفت زوجى فى الحال كان يقف بينهم لم يكن يرتدى ثياباً ثمينة أو مزخرفة. جميعهم كانوا يرتدون

ثياب جنود فى مسيرة، يؤدون واجبهم من وقت طويل. وتدافعوا على ظهر السفن فى عرض البحر كانوا جميعاً متذمرين، مرهقين، متسخين. وقف هو بينهم مثل نجمة ساطعة وسط نجوم أخرى. كان فى منتصف الأربعينيات من عمره وجهه قوى، جلس يستريح على الأرض، ثم ضحك وهو يستمع لرجل آخر يتحدث معه كانوا يأخذون قسطاً من الراحة على العشب. جميعهم كانوا ـ فى الغالب ـ رجالا أحضروا خبزاً عريضاً من على ظهر السفينة تلك التى كانوا يقفون عليها بثبات فى عرض البحر. كانت لديهم سلة كبيرة تحتوى على خضراوات برية ليأكلوها مع الخبز العريض، لم يكن لديهم جبن أو لحوم، النساء القلائل اللواتى كن برفقتهم، لسن شابات. كانت إحداهن كبيرة الممرضات، تبتسم وتقدم لـ آينيس الخضراوات مع الخبز، حيث قام بلفها وقضمها باستمتاع. جلس على مقربة منه صبى فى الخامسة عشرة من عمره وكان يشبهه جداً، وكان يتجه بنظره نحو آينيس مما جعلنى أتأكد أنه ابنه إسكانيوس. وكان برفقته صبى جميل الطلعة وشاب وسيم أكبر بأعوام عدة يضع على رأسه قبعة حمراء. جلست المرأة التى قامت بإعداد الوجبة بجانبه وقامت بتعديل قبعته إلى الأمام وهى تنظر إليه بإعجاب أمومى.

همست سيلفيا لى: "هؤلاء الغرباء يبدون أكثر وسامة مما توقعت. فذاك الصبى ذو القبعة الحمراء جذاب". أسكتها بوخزة من ذراعى، خفت أن يسمعوا

صوتنا، حيث كنا نسمع صوتهم بوضوح، على الرغم من تأكدى أن الريح تهب فى اتجاهنا.

قال الصبى الذى يضع القبعة الحمراء شيئاً ما عن وجبة الطعام، بأنها تناسب الأرانب وليس الرجال، أما الشاب إسكانيوس فقال: "حسنًا، فليس مع كل وجبة أنت تأكل المائدة أيضاً".

حينها نظر إليه أينيس كما لو كان مشدوهًا وبعد أن حملق وهو ساكن لدقيقة، وجميعهم ينظرون إليه.

قال: "هذا هو النذير". وكان صوته يرن ويتردد مهيبًا بوضوح. "حينما يقودك الجوع إلى أن تأكل موائدك إذًا فسوف تكون هى نهاية الرحلة أنت تتذكر ما قاله لنا الهاربى(*)؟

وسرت فيما بينهم همهمات من الموافقة والشعور بالفزع بين هؤلاء الرجال المسافرين الخائفين وقليل من النساء اللواتى يجلسن على العشب فوق النهر ولم يرفعن عيونهن عن آينيس.

وقال آينيس: إيريالوس أحضر لى غصناً من نبات الآس". جرى الصبى ذو القبعة الحمراء ليقتطع غصناً. ووضعه آينيس فى إكليل ليغطى به رأسه ومد ذراعيه وكفىّ يديه نحو السماء، قال: "أيتها الآلهة العظيمة فى البيت الطروادى هذه هى أرضك الموعودة أخيراً! نحن فى الوطن يا شعبى نحن عدنا إلى

(*) هاربى Harpy فى الميثولوجيا اليونانية هو طائر خرافى يمثل الأرواح المجنحة التى تخطف الطعام (المراجع).

الوطن". التفت ونظر نحوهم جميعاً وكانت الدموع تلمع على وجهه. وتضرع ثانية: "اسمعينا يا روح هذا المكان. أيتها الأرواح والأنهار التى لا نعرفها، الآن الليل والنجوم الصاعدة ! أبى فى العالم السفلى وأمى فى السماء اسمعوا صلاتى. ثم استدار وجذب نفساً عميقاً، وصاح: آشيتس وكان صوته جهورياً. "قل لهم أن يحضروا الخمر من على ظهر السفينة!".

فى تلك اللحظة أومأت إلى سيلفيا للذهاب. كان سبعة أو ثمانية رجال مع أقواسهم وسهامهم يهرولون فى طابور مفرد على يسارنا لقد حان الوقت كى نبتعد عن هناك أنا وسيلفيا.

زحفنا تحت حماية أشجار السنديان نحو أدغال كثيفة على يميننا، ومن خلالها عدنا إلى قمة التل، ثم هبطنا إلى الطريق الذى أتينا منه، ووصلنا البيت عند المساء. وفى المزرعة التفتت سيلفيا إلى واحتضنتنى بشدة. وكانت كل منا تتصبب عرقاً من ركضنا لمسافة طويلة، والتصقنا ببعضنا البعض، حينما تعانقنا، ضحكنا، حينها قالت سيلفيا: "لقد كانت فكرة جيدة أن ذهبنا إلى هناك!". بعد ذلك انفصلنا للمرة الأخيرة.

حين وصلت إلى الريجيا، سمعت أن أبى قد أعطى أوامره بألا يقترب أحد من معسكر الغرباء حتى يقرر من هم! ولماذا أتوا بسفن ضخمة ورجال مسلحين إلى قلب لاتيوم. ولم أقل شيئًا - بالطبع عما - رأيته بل تسللت إلى البيت أغزل، واغتسلت

وارتديت عباءة نظيفة وجلست أغزل كما لو كنت لم أخطو خارج الباب فى حياتى.

وكان القرار أن الملك سوف يرسل درانسيس مع فريق من الرجال ليتحدثوا مع الغرباء فى الصباح. لكن فى اليوم التالى وقبل أن يذهب درانسيس، تدافع الناس، وهم يصيحون إنهم قادمون وجاءت قوة صغيرة من الأجانب يمتطون الخيول متجهين نحو بوابات المدينة.

كانت الخيول تبدو مجهدة كما كانوا هم مخلوقات منهكة بعد رحلة بحرية، لكنهم كانوا يتزينون بالفضة والأساور ويرتدون العباءات المزركشة والدروع البرونزية والخوذات الطويلة التى يعلوها شعر الخيل أو الريش. تمكنت من أن أسترق النظر على القوات عبر الباب حينما وطأت أقدامهم "الريجا" قبل أن تُرسل النساء إلى خلفية المنزل لكننى رأيت أن آينيس لم يكن معهم.

أحضرهم درانسيس مع المسئولين الآخرين، وأحاطوا بهم وقادوهم إلى القاعة الملكية. ومضيت من خلال الغرف الملكية، ثم دخلت إلى بهو القاعة عبر باب الملك خلف مقعده لم يكن ليسمح لى أن أكون هناك، لكننى وجدت فى جلسات كثيرة مع أمى أو بدونها للترحيب بالزوار والاحتفاء بزوجاتهم وبناتهم ولو كان لا يريدنى الآن فسوف يطلب منى الذهاب إلى الخارج.

وكنت أظن فى البداية أنه لم يكن يعرف أننى موجودة فقد كان بالفعل يتكلم مع المبعوثين الطرواديين. هو رحب بهم بكل أدب ومجاملة وسألهم فوراً، وإن كان بأدب، من أين جاءوا والسبب فى زيارتهم "لاتينيوم". هل هم قد ضلوا طريقهم وقذفت بهم الأمواج إلى هنا؟

رجل طروادى طويل ونحيف قدم نفسه باسم إليونيوس، شرح وبأسلوب لبق ولغة محترمة أنهم أتوا إلى مملكة "لاتينيوس" العظيمة وفقاً لأمر القدر. إن المواطنين فى المدينة النبيلة "طروادة" صمدوا أمام حصار اليونانيين عشر سنوات، لكنها سقطت من الخيانة، وكان عليهم الفرار من الحريق.

وحينما تكلم الرسول، سمعت صوت الشاعر يتداخل معه مثل موج البحر يجرى على الشاطئ، كما لو إن موجة تسابق أخرى، حينها عرفت أن هذا البيت الكبير للملك، وأننا جميعاً معنيون بهذه الكلمات، وأن المعرفة لم تغير شيئاً. ومازال على الرسول أن يتكلم، وعلى الملك أن يستمع وابنة الملك ينبغى عليها أن تتبع قدرها.

تحدث الرسول: إن النبوءات أمرتهم أن يحضروا آلهة "طروادة" فوق البحار إلى شواطئ إيطاليا، حيث يمكنهم أن يجدوا وطناً. وإن آينيس، ابن قائدهم آنسيسيس، قادهم لسبع سنوات عبر الأرض والبحر وعبر ملوك آخرين طلبوا منهم أن يبقوا لكنه سيقدم الولاء لـ "لاتينوس" الذى يحكم الأرض الموعودة لهم

وفقا للنبوءة. وإظهاراً للنوايا الطيبة عرض آينيس للملك بعضاً من الشظايا المكسورة التى أحضرها من المدينة التى سقطت، والتى كانت تنتمى إلى عمه الملك بريام ملك طروادة.

وجاء أحد الطرواديين ووضع عند أقدام أبى كأساً للخمر طويلة ورائعة بدت منقوشة بالذهب البارز، وجواهر تتألف من صولجان فضى وتاج ذهبى قديم وقطعة قماش رقيقة بلون قرمزى ملكى موشاة بخيوط الذهب.

نظر أبى إلى هذه الأشياء فى صمت لبعض الوقت، ولم يقبلها، كما أنه لم يرفضها، وأخيراً سأل المبعوث أن يخبره المزيد عن مدينتهم "طروادة" وعن معركتهم مع اليونانيين، ثم يخبره شيئاً ما عن رحلتهم التى استغرقت سبع سنوات عبر البحر المتوسط. وهذا ما فعله آلينوس. وسأله أبى إذا كانوا توقفوا فى "صقلية"؟ فقال آلينوس، إنهم قد تركوا مستعمرة هناك، وسأله إذا كانوا هم على اتصال بالمستعمرة اليونانية الواقعة جنوب حدودنا التى كان ملكها ديوميدس، لكن آلينوس أجاب بالنفى، نظراً إلى أن ديوميدس كان محارباً فى حصار طروادة، ولم يكن من المحتمل أن يتخلص من الطرواديين وكانت كل إجاباته مباشرة ومهذبة.

وترك أبى الصمت يخيم مرة أخرى ونظر إلى أسفل. عيناه تتحركان كما لو كانتا تتعقبان أفكاره.

وأخيرا رفع نظره وقال: "أنت قلت إن النبوءات دفعتكم إلى أن تأتوا هنا إلى هذا البلد، ومن الممكن أن أخبرك أن قدومك إلى هنا كان نبوءة أيضاً. أعتقد يا أصدقائى أنه يجب علينا أن ننفذ ما سوف يخبرنا به القدر إذا كان قائدكم آينيس يبحث عن التحالف، إذا كان يبحث عن الاستقرار معنا فأنا سوف أسأله القدوم إلى مدينتى وأن يمد لى يده مثلما قدم لى هذه الهدايا النبيلة، وأنا سوف آخذها باعتبار أنى أقبلها كعلامة على الصداقة ووعد بالسلام، وقولوا هذا أيضاً له: إن ابنتى الوحيدة مكتوب عليها وفقاً لنبوءتنا أن تتزوج بغريب، رجل مثلما تقول النبوءة كان آتياً إلينا، وأعتقد أن قائدكم آينيس هو هذا الرجل، وإذا كان عقلى يرى بصدق فإن هذا الزواج ما أرغب فيه، لذلك قولوا له أن يأتى". ووقف، وفكرت، هل رآنى، ولم تبد عليه الدهشة، لكنه نظر إلى بعيون هادئة ومتعاطفة، نظرة واثقة مطمئنة، وابتسامة صغيرة.

لم يقدمنى أبى لمبعوث الطرواديين، بل تقدم بينهم معجباً بهداياهم النبيلة، وأمر معاونيه أن يحضروا هدايا لهم. تراجعت بهدوء عند البوابة التى أتيت منها.

أن أسمع بنفسى أننى صرت جزءاً من معاهدة وتبادل أشياء مثل كأس أو قطعة ملابس، قد يبدو أنه من أكثر الأمور إهانة تلحق بروح بشرية. لكن المرأة الجارية أو غير المتزوجة تتوقع مثل هذه الإهانة، حتى أولئك النسوة من نساء القصر والقريبات اللواتى

منحن الحرية فقط للتظاهر بأننا حرائر، يتوقعن هذا. لكن حريتى كانت عظيمة بالفعل، لذا كن يرغبن فى انتهائها. لوقت مضى ظننت أنها ستنتهى مع تورنوس أو مع واحد من الخطاب الآخرين، وحينها شعرت بهذه الإهانة وأن القيد ينتظرنى، وأنه الاحتمال الوحيد الممكن. كنت مثل حمامة مربوطة فى سارية، تحاول فرد جناحيها للطيران، بينما الأولاد يواصلون إطلاق السهام عليها، حتى يصيبها فى النهاية أحدهم.

لم أحس الآن بهذا الشرك، الذى يسبب العار. أحسست بذات اليقين الذى شاهدته فى عينى أبى. الأمور يجب أن تحدث كما هو مقدر لها، وتسير كما ينبغى. سأكون حرة، سيقطع الحبل الذى يقيدنى. إنها المرة الأولى التى أدرك فيها ماذا يعنى التحليق، فرد جناحى عبر الهواء، عبر السنين لتأتى، لتنقضى، لتستمر.

"سأتزوج به"، هكذا قلت من قلبى وأنا أمضى خلال حجرات "الريجيا". "سيكون زوجى، وسأحضر آلهة بيته لتلحق بآلهة بيتى. سأحضره إلى البيت".

استدرت عائدة إلى الفناء الخارجى، مررت عبر شجرة الغار الضخمة، نحو الغرف ذات القباب خلف القاعة المركزية، كانت غرف المخازن فى حوزتى، حيث كنت أحكم أنا وبيناتس. قبل وقت طويل، ربما فى الشهر الرابع، شهر يونيو الذى تُفتح فيه بوابات غرف الخزين لتنظيفها وجعلها جاهزة لاستقبال حصاد

جديد. أرسلت لامرأتين كى تساعدانى فى تنظيف المكان، وبدأنا نقوم باستعداداتنا للاحتفال، نتسامر، ونغنى لبعضنا البعض أغنيات عن فيستا[1] وسيريس[2]، النار والخبز، بينما نحمل إلى الخارج الصناديق الفارغة، وننظف الأرض المغبرة.

كانت هناك حالة من الاضطراب عبر البيت والمدينة، حيث أُحضِرت الهدايا التى أمر بها "لاتينوس"، وأُختير الرجال ليأخذوها. ودخل هو نفسه إلى الإسطبلات ليختار بعض الخيول الجيدة، ويرسل كلمة إلى تورس ليختار من القطيع عجولاً وخرفاناً فى حالة جيدة لإرسالها إلى فينتيكولا، حتى يمكن لـ"الطرواديين" الحصول على الأضاحى واللحم. كان يعرف كيف تكون الضيافة الملكية وتمتع بكرمه. بدا الملك مثل رجل شاب وهو يسير بخطوات كبيرة فى ساحة البيت، وراقبته بفخر.

لكن أماتا جاءت بسرعة من جناح النساء، شعرها متهدل ووجهها أبيض، وصوتها مرتفع.

"هل هذا صحيح ما يقولونه يا زوجى؟ بأنك أعطيت ابنتنا لغريب - أجنبى - رجل لم تشاهده، ولا تعرف شيئاً عنه؟ هل هذا من الحكمة؟ هل هذا جيد بالنسبة إلى الفتاة؟ لى؟ بدون أن تقول لى كلمة واحدة -".

---

(١) فيستا Vesta : أحد الكويكبات اللامعة. (المراجع).

(٢) سيريس Ceres : كويكب قزم في المجموعة الشمسية. (المراجع).

توقف أبى ليقف منتصباً فى مواجهتها. غابت ملامح اللطف عن وجهه، وقد حل به كِبر السن. "ليس هذا المكان ، أماتا.

"سوف أتكلم".

"تعالى معى أنت أيضاً، لافينيا" . مشى بخطوات واسعة نحو الجناح الملكى، وتبعناه. قلت عندما لحقت بـ أماتا: "أمى لقد فعل ما قالته له النبوءة، وكما طلبت منه أن يفعل. لقد طلبت منه هذا بالفعل! هذا ما يجب أن يكون. سيكون كل شىء على ما يُرام".

على ما أظن أنها حتى لم تسمعنى. وبمجرد أن دخلنا إلى جناح لاتينوس، بدأت تتحدث، وهى تصب سيلاً من الاتهامات . كيف استطاع بقسوة أن يلغى اقتناعنا بـ تورنوس والخطاب الآخرين؟ كيف يمكن ألا يرونه نقضاً للعهد؟ ماذا يُهم فى أن النبوءة تقول إن الزواج يجب أن يكون بأجنبى؟ - أليست "روتاليا بلداً مختلفاً عن لاتيوم، أليس تورنوس أجنبياً؟

قال أبى فى غضب: هو لاتينى واحد منا، من أهل بيتك. فكرت أنه كان من الخطأ أن يتجادل معها فى مثل هذا النقاش على الإطلاق، لأن هذا فى الحقيقة زاد من غضبها أكثر، فقد اتهمته بأنه استمع لما يقال فى مجلس درانسيس، درانسيس الذى يكره تورنوس ويغار منه، تورنوس المخلص الذى بإمكانه وحده أن يحمى ويحافظ على عرش لاتينوس، لقد هاجمته بقوة على ضعفه وعلى حنثه بالاتفاق، ثم بعد

لحظات راحت تناشده، تستعطف قوته وحكمته. وقف مواجهاً سيل الكلمات، ولم يقل شيئاً، فقط هز رأسه، لكن فيما بعد عندما صار صوتها يرتفع بصياح، كسر صمته وقال بصوت أجش: المسألة قد سويت يا أماتا تقبلى الأمر، تذكرى أنك ملكة. ثم قال لى: خذى والدتك إلى غرفتها، واعتنى بها، يا لافينيا

صرخت: "لن أذهب، لن أذهب"، وهى تهز يديها فى الهواء، ثم ركضت إلى الخارج، اندفعت تدور فى ردهة البيت، وهى تصرخ لأن الملك منح ابنته لغريب، لعدو، لابد أن الملك أصابه الجنون. وركضت مندفعة نحو بوابات "الريجيا" الرئيسة.

لم يجرؤ الحراس على لمسها، لكن النساء اللواتى كن معى تصرفن على الفور معى، كما لو كنا متفقين على ما ينبغى فعله. أحطنا بـ أماتا قبل أن تبتعد خارج بوابات "الريجيا" نحو شوارع المدينة، نحاول أن نجعلها تهدأ، نلاطفها ونطلب منها العودة معنا، كانت فى حالة هستيرية مريعة، تنتحب بشدة، وتصرخ، إلى أن هدأت فى النهاية.

ظننت أن هذا الانهيار المرهق كان نهائياً. ظننت أنها استسلمت. كان هذا غباءً منى. وأن ما قالته لم يكن لحظة جنون أوغضب من رغبة محبطة. كانت ترفع صوتها بحيث يسمعها الكثير من الناس، ويفكرون ويخافون مما قاله الملك لرسول الطرواديين: بأنه قد رحب بالغزاة، ونقض عهده مع الحلفاء وأنه سيعطى ابنته وميراثه إلى الغرباء.

ذهبت فى تلك الليلة إلى السرير وأنا مرهقة، مضطربة، لكن قلبى يغمره السلام، لذا نمت جيداً واستيقظت على نوع من الجنون لا أستطيع أن أتذكر منه سوى شذرات متقطعة وغريبة، لأنه لم يكن فيها أى شيء معقول أو واضح، ولم يكن لأى منها معنى لقد استيقظت فى عالم أمى.

كانت ليلة مظلمة، النساء اللواتى يحملن القناديل الزيتية كن فى غرفتى. واحدة منهن كانت تهزنى من كتفى قائلة: "استيقظى، يا ابنة الملك، استيقظى!". كان كل من حولى فى عجلة من أمره هامسين ضاحكين. وعندما جاهدت لأستيقظ رأيت أنهن جميعاً النساء التابعات لأمى، ولسن تابعات لى. وأن النساء الخادمات كن يرتدين زينتهن وملابس الطقوس الدينية فى ملابس أمى. وسمعت صوت أماتا، وأتت وهى ترتدى ثوباً باهتاً خشناً من دون أكمام خاص بالجوارى. قالت وهى تبتسم: "انهضى، انهضى يا فتاة، إنه عيد الجدى، عيد التين، نحن ذاهبون إلى العبادة، بالطريقة التى يصلى بها شعبى على التلال. إذا كان أبوك يستطيع أن يستغنى عنك، أستطيع أنا أن آخذك بعيداً! استيقظى الآن ينبغى أن نكون هناك عند شروق الشمس!". واستيقظت ولبست ردائى الرمادى القديم، والتحفت بالشال وأسرعت بين النساء الضاحكات. خارج الباب الخلفى عبر الشوارع الصامتة للمدينة، من البوابة الرئيسية، عبر الحقول، باتجاه التلال ذات الأشجار المرتفعة، شرق "لورينتيوم". إن قناديل الزيت الخافتة كانت تهتز متراقصة فى الممر الضيق الممتد

أمامنا وخلفنا. وكان خط تقاطع السماء واضحاً تماماً في مقابل بزوغ الفجر، وكان جبل "ألبا" يقف شامخاً ومظلماً فوق العالم المعتم.

تركنا خلفنا آخر ممر ودخلنا إلى الغابة. لفنا الظلام وكان من الصعب أن نرى الطريق، وكانت القناديل تبعث بظلال وحشية من خلال الأشجار وعبر الممر غير المستقيم. وتوقفت النساء ليتخلصن مما على أثوابهن، وما علق بهن من أغصان الأشجار لكن أماتا حثتهن على أن يسرعن - "لا تقلقن بشأن هذا، فكل هذه الأمور ستسوى، يجب أن نصل إلى التلال، إلى شجرة التين اليانعة حينما تشرق الشمس! تعالوا بسرعة". وتقدمت إلى الأمام لتشجع خادمات المنزل والجوارى وعاملات النظافة ومساعدات الطهى والعاملات فى كل الأعمال اللواتى كن يجاهدن تحت أحمالهن الثقيلة من الأوانى المملوءة بالطعام والشراب. ونادتهن بالاسم لتشجعهن حينما جاءت النساء والتففن حول الخط الرئيس، وهن يضحكن ويتحدثن وقالت لى بفرح وهى تمر بجانبى: "إنها مغامرة فى النهاية!". ونادت علىَّ فى نشوة وحشية تبدت فى هذا التعجل الغريب والخوف وتبديل العادات. وفى طابور النساء اللواتى يحملن القناديل فى الغابة فى الظلام - لقد كان كل هذا خيال غير حقيقى، سقطت أنا فى خضم استثارته.

وصلنا إلى ينابيع شجرة التين حينما كانت السماء تلتمع، وفى قلب التلال ينفجر ينبوع من

المنحدر الصخرى على الجانب العميق من التل وكل ما حوله أسفل مستوى الحقل حيث كانت تنمو أشجار التين المتوحشة القديمة. إنه نوع من البساتين الطبيعية. وقد ذهبت إلى هناك ذات مرة أنا و"سيلفيا" فى الصيف لنجمع الثمار السوداء. لكننا سمعنا صوت خنزير يهمهم ويصطدم بما حوله. فقد أزعجه صوت سقوط الثمار، لذلك لم نبق طويلاً، إذ كان الخنزير الوحشى من أكثر الحيوانات التى تخيف "سيلفيا".

تفرقنا جميعاً نفترش العشب تحت الأشجار، جلسنا نستريح ونلتقط أنفاسنا للحظة. وتوقفت أماتا، وتحدثت إلينا تخبرنا أن هذا الاحتفال هو احتفال "كابروتينيا" كما يحتفل به أهل "روتاليا" على تلالهم. احتفال للنساء فقط.

قالت: "سوف نقيم حراسة، وإذا اقترب رجل منا ينبغى إبعاده فوراً، وإذا رفض الذهاب، أو حاول أن يتجسس علينا فالموت له، بل وما هو أسوأ من الموت، لأنه إذا تجسس على أسرارنا فهذه هى نهاية رجولته. سوف يعود وراء الجبل مخصياً! أحضرت بالينا معها أربعة سيوف حادة، وستقوم أربع نساء قويات بالمراقبة نهاراً وليلاً على الممرات. إن قوى التلال والبرية تنتظر لتلعن الرجل الذى يجرؤ على الاقتراب منا. لأنه يجب أن ينتظر مارس هنا فى الأسفل، يجب على مارس أن يقف على حدوده. إن المرتفعات والغابات البرية هى ملكنا، ملكنا وحدنا، من أجل عبادتنا واستمتاعنا. انظرن، انظرن الشمس تشرق، باركن هذا اليوم يا أخوات! افتحى 'سيكانا 'إناء الخمر، ومرريه علينا".

بدأ اليوم مع احتساء الخمر وعند الظهيرة بعض النساء أصابهن الثمل ولم يكن قادرات حتى على الرقص، تضاحكن وصرخن، وتقيأن ثم سقطن على الأرض ونمن فى مكان سقوطهن. علمتنا "أماتا" الرقصات والأغنيات لديها فى "كابروتينا"، واللعبة المخيفة؛ حيث تحاول النساء الكبيرات أن تمسكن الفتيات الشابات ويجلدنهن بأغصان التين، وهن يصرخن بمزاح وقح عن قضبان الرجال وفروج النساء. وأقمنا احتفالات أخرى عند المذابح التى رفعناها من أجل فاونا [١] الوحشية، وجونو[٢] النساء، وسيريس[٣] التى تنفخ البذور فى رحم الأرض لتولد مثل خبز الحياة. وعادت الجوارى إلى المدينة للحصول على المزيد من الخمر. وخلال اليوم بدأت مجموعة من النساء فى الانتشار، جئن من بيوت أخرى من شتى أنحاء المدينة، يدفعهن الفضول لرؤية هذه الطقوس النسائية المقامة للتضامن مع ملكتهن. ووجدت نفسى فى وضع غريب، مع هؤلاء النسوة اللواتى كن يتعاطفن معى ويستعرن غضباً من أبى، كن يرثين لحالى ويتعاطفن معى، يربتن على ويشجعننى فى حبى وإخلاصى لـ تورنوس ملك أرديا. كان سخطهن ولطفهن وتعاطفهن صادقاً جداً ومع ذلك ما كان غير حقيقى هو دوافع هذا الهروب كله إنه الخطأ بعينه.

(١) فاونا Fauna: الحياة الحيوانية. (المراجع).

(٢) جونو Juno: الإلهة الرومانية الحامية والناصحة. (المراجع).

(٣) سيريس Ceres: إلهة الزراعة الرومانية. (المراجع).

مثلت خلال هذه الطقوس فى أعالى التلال دور العذراء الخاضعة التى لا حول لها ولا قوة، ولم يكن بإمكانى إبلاغ هؤلاء النسوة المتعاطفات أننى لم أكن أحب تورنوس وما أردته فقط هو إطاعة أبى والنبوءة. ومن أجل أن أفعل هذا يعنى أننى أخون أمى وأثير غضبها نحوى. كنت أشعر بالخوف، أحسست بالزيف، بالرعب، بالشك بالازدراء وبالوحدة.

لم تحضر أمى معنا واحدة من النسوة التابعات لى ولم تدعنى أغيب عن نظرها. أحسست بالسعادة الغامرة عندما رأيت "مارونا" بين وفد النساء القادمات مؤخراً كانت ترتدى ثوبى الفاخر هكذا كانت تقتضى الطقوس أن ترتدى الخادمة ثوب السيدة، وترتدى السيدة ثوب الخادمة، غمزت لها بعينى كى تعرف أننى رأيتها ورأيت ثوبى الفخم لكننا حرصنا على وجود مسافة بيننا ولم نتكلم. ولأن مارونا نحيلة وهادئة لم يلاحظ وجودها بين النسوة اللواتى أتت معهن فقد كانت تقوم بما يقمن به من مهمات؛ لذا أظن أن أمى لم تنتبه إلى وجودها.

خلال المساء، بدأت أماتا فى التظاهر بالشراب. كانت تتذوقه فقط، ثم مع حلول الليل لم تكن ثملة، بل منتشية وأقل توتراً، مستمتعة بالفرار استمتاعاً يفوق ما يبدو عليها، كانت ضحكتها تصدر من أعماق قلبها. لم أكن قد سمعتها تضحك هكذا من قبل، هذا جعلها تبدو غريبة كما لو أنها امرأة أخرى، أحسست بحزن موجع عليها.

نادتنى: لافينيا، وعندما أتيت إليها وسط النسوة الممددات على العشب بين مصابيح الزيت الذاوية والأغصان المتدلية لأشجار التين العظيمة، لافينيا لقد أرسلت له الليلة الماضية قبل أن نغادر، أرسلت رسولاً على ظهر الخيل. يجب أن يكون هنا غداً. ليلة زفافك يا حبيبتى!".

عرفت من يكون هو، وماذا تقصد. إنه جزء من الجنون والوهم، ولكن فى لعبتها كان علىّ القيام بدورى. "كيف سيعرف إلى أين ينبغى عليه القدوم".

"النساء سوف يخبرنه، إنهن ينتظرونه، سوف يأخذنه قبل دخوله إلى المدينة سيكون هنا غداً فى مثل هذا الوقت".

قلت: "ولكن لا يسمح للرجال بالقدوم إلى هنا".

قالت أمى بصوت ضاحك: "لكن هذا الرجل يسمح له بالدخول".

جذبت يدى إليها كى أجلس بجانبها كانت تنحنى قربى لتهمس فى أذنى: "يا لها من ليلة زفاف رائعة ستقام هنا فى هذه التلال ثم إلى آرديا الوطن! كل هذا مخطط له".

أبقتنى إلى جانبها طوال الليل، كان على النوم بجوارها وبجانب مجموعة النسوة اللواتى شربت، ولهت معهن. وكانت المصابيح المشتعلة معلقة فى أغصان الأشجار. نمت بقلق طوال الليل، كنت أستيقظ عقلى مفزوع كما لو أننى فى سباق. حاولت

المحافظة على هدوئى وكل ما على فعله هو مجاراة أمى فى لعبتها حتى تنهى اللعبة نفسها بأقصى سرعة باضطراب وخيبة أمل وتراجع. ولكنها أرسلت إلى تورنوس ماذا لو أتى؟ ماذا لو قدمتنى له فى زفاف وهمى. اختطاف حقيقى؟ ماذا سيحدث لو أخذنى معه إلى أرديا؟ لن يكون بمقدورى القيام بأى شىء. عندما فكرت بهذا بدأ جسدى يتصلب، يداى مطبقتان. خبأت وجهى بذراعى. علىَّ الفرار من هنا. علىَّ إيجاد طريقة للفرار ولكن حتى لو تمكنت من التسلل بعيداً فإنه لن يمكننى إيجاد طريقى وسط هذه الغابات المعتمة. فالحارسات كن يراقبن الممرات التى أتين منها كما أن الطريق طويلة فى هذه الغابات الموحشة والتلال المنحدرة. إن كل ما يمكننى القيام به هو الابتعاد عن هنا بالقدر الكافى الذى يجعلنى أمضى بقية الليل، ثم أتبع طريقى وسط هذه التلال لأنحدر نحو الأرض المنخفضة، لكن نساء أمى كن يحطن بى ومازلن مستيقظات. كما أن المصابيح مازالت مشتعلة، وفى الخلف تقف الحارسات.

توالت سلسلة الأفكار فى ذهنى ولم تنفع كل الجهود التى بذلتها لأطمئن نفسى. تفكيرى باحتمال مجىء "تورنوس" صدمنى. كما أن تخيلى لمحاولة الهروب كانت تتكرر فى ذهنى مرة تلو أخرى طوال الليل. وحين حدث وغفوت قليلاً، شاهدت نتفاً من أحلام متفرقة بالشاعر، ليس فى المكان المقدس فى "ألبونيا"، بل هنا فى هذه التلال الوحشية. بدا قريباً

إلى جانب إحدى المصابيح لكنه كان مشهداً مقسماً إلى ظلال عدة. تمتم بكلمات لم أتمكن من فهمها. حينها صارت أفكارى تتكرر من دون نهاية.

استيقظت مع أول شعاع شمس. رأيت أماتا نائمة بين مجموعة النساء. تسللت مبتعدة نحو المكان المستخدم لقضاء الحاجة. فكرت للحظات أن بإمكانى السير بعيداً، وما إن عبرت الوادى الصغير حتى وجدت جيا تقف للحراسة، تميل إلى جانب سيفها المنسل من غمده كما لو أنه عصا. حيتنى بصوت عالٍ مع ابتسامة غبية. ألقت على نظرة عامة لم تكن جيا شديدة الدهاء، لكنها كانت تكرس نفسها تماماً لخدمة أمى مثل كثير من النساء فى البيت. لو أن أماتا طلبت منها ألا تدعنى أعبر فلن تدعنى أمر. لم تكن أماتا سيدة لطيفة كانت تظهر تعاطفاً قليلاً لكنها بخيلة، أو قاسية. ولم تكن تحتاج إلى أن تُظهر ولاءها، إذ إن حزنها على خسارة ولديها منحها نوعاً من القدسية بين جموع نساء البيت. "الملكة المسكينة"، هذه العبارة سمعتهن يرددنها آلاف المرات ولا يبدو غريباً بالنسبة إلىّ أنهن مازلن يشفقن عليها. هن على حق أنها امرأة غير سعيدة.

كانت العديدات من النسوة قد نمن متأخرات؛ لذا استيقظن وهن مترنحات. كان الطعام والشراب على وشك النفاد؛ لذا ذهبت مجموعة من النساء لإحضار المؤن من مخازن بيوتهن فى لورنتيم، من الريجا. كانت فكرة الذهاب والعودة فكرة ممتازة لكن

لم يكن بإمكانى التسلل مع إحدى المجموعات الذاهبة إلى المدينة، لأنه إذا لم تكن أماتا معى فهناك سيكانا، أو لينا لمراقبتى.

كنت أنا ومجموعة من فتيات الجوارى العذراوات الشابات وسط هؤلاء النسوة، فقد تركت معظم النساء بناتهن الشابات آمنات فى البيوت لكن النسوة المرضعات أحضرن معهن أطفالهن الرضع، وكنت أمضى شطراً من النهار أساعد النساء المتعبات فى تهدئة أطفالهن. كان هذا يحمينى من ضرورة الكلام مع كثير من النسوة الثملات. فالأطفال مريحون جداً بالمقارنة مع ما نفعله من زيف وجنون. كانوا رائعين حقيقيين، ويحتاجون للرعاية ليس بمقدورهم فعل شىء أو تخيله. كان النظر لهؤلاء الأطفال يسبب راحة بالنسبة لى، وهذا ما جعل النسوة يمتدحننى ويطرين على - انظرن إلى ابنه الملك، إنها تهيم بالأطفال. انظرن كيف يحبها الأطفال العبيد، فكرت بهذا فيما طفلة صغيرة جميلة تغفو بين ذراعى.

نظمت أماتا لبعد الظهر حفلة رقص مع ألعاب السوط. لكن النساء افتقدن تلك العفوية الوحشية التى ظهرت فى اليوم الأول. إن كل شخص عرف منذ الآن أن أماتا تنتظر قدوم تورنوس، وأنها تنوى تزويجى منه. أظن أن بعض النسوة لم يستسغن فكرة قدومه، كن مثل بقرات قفزت من السور ووجدت نفسها فى مراعى الثيران. كانت الفكرة عن هذا الزواج أنه سيتم بعيداً عن البيت الكبير، ومن دون مباركة آلهة البيت

والآلهة حامية البيوت والحقول والثمار، وأن المدينة كلها ستضطرب وتهتز بنا جميعاً. كيف ستتزوجن فى هذه البرارى؟ إن الآلهة المنزلية لن تساعدك، فالآلهة المحلية والأرواح لا تهتم بشئون البشر، وربما تكون حاقدة عليهم. وعلى الرغم من أن أماتا استمرت فى الحديث عن الزفاف، لكن الآخرين تعاملوا مع الأمر بناء على وجود خطوبة. إن هذه الفكرة جعلت الأمر يبدو مقبولاً لهن. لذا فقد احتفظت بكل توقعاتهن لما بعد المساء. حين حل الليل ولم يأت تورنوس بدأت أماتا بالشرب وحثتنا جميعاً على الشراب. وأيضاً الرقص والغناء بدأ من دون جدوى مجرد حماقة وعلى الرغم من ذلك كله كانت أمى تصر على بقائى إلى جانبها أو مع لينا أو سيكانا الحارستين اللتين لم تتناولا الشراب وظلتا حاملتين سيفهما، تتناوبان الحراسة ومراقبة الطريق.

فى اليوم الثانى تسللت بعض النسوة بهدوء بحجة الذهاب لإحضار الطعام والشراب، ولم يعدن إلى الغابة. فكرت أنهن تعبن من الذهاب والإياب لكن أماتا قالت إن أزواجهن منعوهن من العودة مهددين بالضرب إذا عادت النساء إلى التلال من جديد. وبدت متبجحة وهى تتحدث عما يمكن حدوثه لهؤلاء الرجال. عادت النساء اللواتى أرسلتهن إلى "الريجا" إلى التلال محملات بالخمر والطعام. لم يمنعهن أحد من الإغارة على المخازن، وأخبرن الحراس أنهن أخذن تعليمات من الملك بحمل الطعام للنساء اللواتى يقمن

بالتعبد فى أعالى التلال. وبعد عودة النساء من المدينة تحدثن عن شجار سمعن أنه وقع بين الغرباء الذين يخيمون فى الغابة بين لورنتيم والنهر.

ما إن انقضى النهار حتى أحست غالبية النسوة ببعض الدوار من جراء الشراب والطعام ومن غرابة الإحساس بعدم المسئولية. وكان هناك بكاء وضحكات مجنونة وصراخ وشجار.

حين كنت أجلس مع طفل توليا الذى له سنة من العمر أحاول تهدئته بأن أغنى له أغنية للأطفال، ظهرت مارونا بالقرب منى للحظات. الليلة تمتمت بسرعة، وأومأت برأسى دون أن أنظر نحوها. همست "البومة" ثم ذهبت مبتعدة.

"دورو ـ دورو ـ دورميو" غنيت للطفل، "بابا أحضر لك خاتماً"، وتعجبت مما قالته مارونا، لكن لم يكن بوسعى سوى الانتظار.

وقفت أمى إلى جانبى بثوب العبيد المهلهل والملطخ ثم قالت لى: "أنت مثل الأطفال، أليس كذلك؟" كانت ساقاها بيضاوين وجميلتين، شعرها ناعم وأسود يشبه شعر الخيل، نظرت إلى الطفل الذى أحمله بين ذراعى. لوت وجهها كما لو أنها تعانى من ألم فى الأسنان.

قالت: "سوف يمنحك الذرية، يمكنك الاعتماد على هذا، هو ليس عجوزاً مخصياً. سيمنحك أبناء يعيشون".

تكلمت بوضوح وموضوعية كانت ثملة مثل بعض الرجال الذين رأيتهم ثملين خلال المآدب، ثملة في الليل والنهار، ثملة حتى العظم. لم أرد عليها، بل أكملت أغنية الطفل بصوت خفيض فقد بدأ الطفل في الاسترخاء. لم أكن أود النظر نحو أمي عرفت أن غضبها بدأ في التجمع وفي سبيله إلى الانفجار عرفت أنها أدركت أن تورنوس لن يأتي كنت خائفة منها جداً.

غنت بسخرية: "دورو - دورو - دورميو". "أية نعجة أنت، أية ابنة خانعة يا لافينيا إن كل الطاعة والدعة والوداعة هي لأبيك العزيز الذي صنع نبوءة تناسب غاياته، يأتي معك حيثما تذهبين وأنت ستأتين معي يا ابنتي ستأتين معي إلى أرديا غداً.

أحنيت رأسي ولم أتفوه بكلمة. الطفل أحس بالاضطراب بين ذراعي وعاد للصراخ ثانية.

قالت أماتا وهي تستدير مبتعدة: أسكتي هذا الطفل المزعج، سيكانا أين قنينة الخمر؟".

كان مساءً لا ينتهي بعد أن أخذت توليا طفلها. جلست لأغفو في مكاني الخلفي المواجه لشجرة التين العملاقة. كان هناك صداع في رأسي، وتشنج في عضلاتي. وكان ذهني خاملاً ومتبلداً. توارت الشمس في الغيوم خلف أشجار الغابة اللا منتهية، وهبط الظلام ثقيلاً في عتمة. نامت معظم النسوة باكراً. فقط مجموعة أماتا ظلت مستيقظة، يشربن حتى

أصابهن النعاس. اقتربت أمى وجلست بقربى قالت: "نائمة بالفعل يا أيتها النعجة الصغيرة؟" وضعت بجانبها مصباحاً صغيراً. "نامى جيداً، غداً سوف نغادر إلى أرديا نامى جيداً، نامى جيداً". جمعت أطراف عباءتها، ووضعتها تحت رأسها على شكل وسادة، وألقت ذراعيها حولى ثم رقدت بصمت، أحسست بثقل ذراعيها ودفئهما، دفء جسدها بجانب جسدى. ظللت مستيقظة أرقب الظلمة والظلال المتراقصة حولى. شعلة المصباح تنعكس على أغصان الأشجار وأوراقها. بعد مرور وقت طويل تحركت ببطء من تحت دفء الذراع الثقيلة التى تلتف حولى. تنهدت أمى ببطء، ثم علا صوت شخيرها لكنها لم تتحرك. ظللت أراقب موت الظلال، كنت نائمة، لكننى مستيقظة أيضاً فقد سمعت صوت بومة رفيعاً ومرتعشاً، يبكى بالقرب منى، إلى يسارى، "إيى - إيى".

من دون أى تفكير أو تردد تسللت واقفة بين جموع النساء النائمات. لم تكن هناك أى مصابيح مشتعلة، بل مجرد غيوم خفيفة وضوء النجم الصيفى ينعكس على العشب الرمادى. صاحت البومة بنعومة من الجانب البعيد. تبعتها بصمت، شاهدت جايا غارقة فى النوم تحت شجرة مثل كتلة كبيرة فى الظلام. سيفها واقف إلى جانبها، مستقر فى نقطة ثابتة على الأرض.

عبرت من جانب شجرة التين، تجاوزت الجانب المتدلى منها حيث تسلقتها وتعثرت، صعدت نحو

تجمعات الشجيرات المعتمة. كانت مارونا هناك. عرفتها، على الرغم من أننى بالكاد تمكنت من رؤيتها أمسكت بيدى ومضينا معاً.

تمتمت قائلة بعد وقت: "أظن أننا أضعنا الممر".

كنا أضعناه فعلاً، وكان علينا أن نمشى قرابة نصف ميل فى منحدر قبل أن نعبر إخدوداً تتدلى فوقة أشجار وأجمات تمنعنا من التقدم أكثر فى الظلمة. انتظرنا هناك عدة ساعات. تكورنا معاً بحثاً عن الدفء، وغفونا حين أتت الرياح التى تسبق الفجر بساعة أو أكثر، وانقشعت الغيوم، والقمر منحنا ضوءاً كافياً لنكمل طريقنا. سلكنا طريق الممر المنحدر قرب الأخدود، وسرعان ما اتضح لنا وجود مكان تبدو فيه الأشجار مقطوعة الأغصان على يد أحد الحطابين. فاندفعنا بالركض عبر هذا المكان.

مع بزوغ الضوء كنا قد تجاوزنا التلال المرتفعة نحو المراعى كنت أعرف هذا المكان من نزهاتى مع "سيلفيا"، لذا صار بإمكانى الوصول إلى المدينة. وصلنا إلى البوابة الجنوبية فى الصباح الباكر جداً. كانت مغلقة ويقف عندها رجال الحراسة.

ذهبت مع مارونا إلى جناح أبى، وعند بابه قلت بصوت مرتفع: "هل أنت مستيقظ يا جلالة الملك؟ استيقظ". أتى مسرعاً، عيناه مثقلتان، بدا متصلباً وكما لو أنه راكم ثياب نومه على جسده بتعجل. أخذنى بين ذراعيه من دون أية كلمة.

وبعد أن استوعب الأمر، وأدرك وجودى قال "أين هى أمك؟"

"عند النبع حيث شجرة التين".

"لم تأت معك؟"

قلت: "لقد هربت منها".

نظر إلىَّ باضطراب وعدم فهم، كان شعره الرمادى متلبداً من أثر النوم. "هربت؟"

قلت بكرب: "لم أكن أريد أن أكون هناك!"، ثم حاولت الكلام بهدوء، لكننى لم أتمكن من ذلك. "أبى هى قالت إنها أرسلت إلى "تورنوس" لتزوجنى به، لاأعرف. كنت خائفة أن يأتى. لقد تركت حولى الحارسات، ولم أتمكن من العودة لولا مارونا ما استطعت الفرار".

"أرسلت إلى تورنوس؟"

بدا الأمر أنه أكثر من عدم الفهم لاستيقاظه من النوم. لم يقدر على الفهم. لم يدرك أن زوجته قد حاولت خيانته. إحساسى أيضاً بأننى خنتها لم يدفعنى لقول أى شىء.

قال أخيراً: "يجب على أن أعيد أمك وبقية النساء من الغابات. هناك اضطرابات، قتال. سيكون هناك خطر عليهن لو بقين هناك هل ستقدر على العودة إلى هنا اليوم؟ ما الذى تفعله هناك؟"

"طقوس النساء ترقص. على طريقة شعبها".

حاولت التركيز بما قاله أبى حينها قلت: "لو إنك أرسلت إليها لتبلغها أن هناك قتالاً، وأنه سيكون من الخطر عليها وعلى بقية النساء البقاء فى الغابات، أظن أنها ستعود، لكن أرسل مبعوثات من النساء يا أبى، الرجال لا يمكنهم الاقتراب. إن البعض من معاوناتها مسلحات".

قال أبى: "لكن هذا جنون".

كنت مرهقة، ومتوترة من كل الإزعاجات والضغوط التى حدثت خلال الأيام والليالى الماضية. حدقت به ثم قلت: "لقد جنت منذ ثلاثة عشر عاماً".

عندما غنى لى الشاعر أغنية طروادة كان فى الأغنية قصة عن ابنة الملك كاساندرا، التى تتنبأ بما سيحدث، وتحاول حماية "الطرواديين" وإقناعهم ألا يدخلوا الحصان الكبير إلى المدينة، لكن لم يستمع لها أحد! لقد حلت عليها اللعنة بأن ترى الحقيقة، ولا يصدقها أحد. إنها لعنة تحل على النساء أكثر من الرجال. الرجال يودون مشاهدة الحقيقة، أن تكون من اكتشافهم وصناعتهم لذا لم يستمع أبى إلىّ.

قال وهو يستدير مبتعداً نحو غرفته: "انتظرى". وانتظرت.

ذهبت مارونا وأحضرت جرة من المياه من الفناء الخارجى، شربت بامتنان حتى آخر قطرة فيما عدا

القليل الذى سكبته آلهة البيت قبل أن أشرب، والقليل الذى أستخدمه لترطيب وجهى ومسح ملابسى. كنت مغبرة ومشعثة بالكامل. ثوبى الخشن صار قذراً وممزقاً بعد هذه الليلة التى أمضيناها نتسلق التلال. أما ثوبى الفخم الذى كانت ترتديه مارونا فقد تلف تماماً. كنا أنا ومارونا حزينتين على تمزق الثوب عندما دخل أبى مرتدياً زيه الكامل، ونظر إلينا بدهشة ثم قال: "يجب عليك أن تغتسلى يا لافينيا".

"سأفعل ذلك يا أبى، لكن أخبرنى أولاً، مَنْ يقاتل مَنْ؟"

"كان الطرواديون يصطادون، لقد سمحت لهم بالصيد فى المساحة بين فينتيكولا ولورنتيوم. كان عليهم أن يتناولوا الطعام". وتوقف عن الكلام.

سألته أخيراً: "وهل حاول أحد من صيادينا إيقافهم؟".

"لقد أصابوا غزالاً. ظبياً". بدا وجهه مختنقاً وهو يقول ذلك. لم أدرك ماذا يقصد. لماذا لا ينبغى على "الطرواديين" اصطياد غزال.

قال: "غزال سيلفيا".

همست مارونا: "سيرفونوس".

"لقد عاد المخلوق الظبى إلى مزرعة تيرهوس ينزف، وسهم فى خاصرته ـ يبكى مثل طفل. هكذا قالوا. حين ذلك صرخت سيلفيا كما لو أن الغزال ابنها وقد أصابه السهم. أقسم أخوها ومن ومعه من

رجال على معاقبة الصائد، لكن كان ابن ملك "الطرواديين" هو من أطلق السهم.

قلت: أسكانيوس.

بدأت بصبى أطلق سهماً على غزال.

الأمواج تتدفع موجة إثر موجة فى مد وجزر.

"إذا كان هذا اسمه". لم أكن قد رأيت أبى مرتبكاً كما رأيته هذه المرة، يبحث عن كلماته بحيرة إلى أن قال أخيراً: "أصاب تيرهوس غضب أعمى بالطريقة التى أصابه بها. هو وأولاده - جمعوا مزارعيهم ومضوا إلى حفل صيد. مسلحين. بالسيوف والرماح والأقواس. قاتلوا - فى مكان ما أعلى فيليا ريدج - فقد وجدوا الطرواديين وحاولوا ذبحهم، لكن الصيادين كانوا جنوداً. يدافعون عن أميرهم. لقد قتلوا".

نظر إلى وجهى للحظات، ثم أشاح بوجهه بعيداً. "لقد قتل ابن تيرهوس الأكبر".

أول من يموت هو آلمو الشاب - أنت تعرفينه. سهم فى حلقه يخنق الكلمات والتنفس بالدماء.

همست باسمه كما همست مارونا باسم الغزال.

وجاليسوس العجوز.

يحاول جاليسوس العجوز الغنى أن يسيطر عليهم وتقطع وجهه إرباً.

قال أبى: "لا أصدق ما يحدث، لقد تدخل جاليسوس لتهدئة الأمور، لقد ظن أن الشباب الصغار الذين يتقاتلون سوف ينصتون إليه".

وقفت وقد أصابنى الخرس. وقفت كما لو أننى أقف أمام بحر ضحل تندفع أمواجه فى مد وجزر تسحبنى وتدفعنى، وتنزلق الرمال من تحت قدمى، ويزداد لمعان العالم قبل أن يختفى.

أمسكت ذراع مارونا ساعدتنى هى على الوقوف. تمتمت قائلة: اسمح لنا بالذهاب يا جلالة الملك. انتبه أبى إلى جلدنا المتسخ والمصاب بالخدوش. سار معنا إلى الفناء الخارجى ونادى على بعض النسوة لمساعدتنا.

قلت: "أخبرنى شيئاً ما لم أفهمه أبداً"، وذلك حينما كنا نجلس فى الجناح الخاص بنا، فى إحدى الغرف الداخلية فى "الريجيا". كان صباحاً دافئاً من شهر يونيو، وكان زوجى صاحب المقدرة العظيمة على الاستمتاع بالأشياء البسيطة، يتشمس فى ضوء الشمس الخفيف، بينما كنا نتناول إفطارنا المكون من التين الأبيض والحليب الطازج مع العسل.

قال: "سأبذل كل جهدى".

"لكنك فى الواقع لا تفضل ذلك".

"دعينا نرى".

"لماذا لم تأت لتتحدث مع أبى عندنا وتؤكد له على التحالف عندما عرض عليك الأمر؟"

نال السؤال اهتمامه، جلس مستقيماً، وهو يحاول الرجوع بذاكرته لأعوام مضت. يبدو مهماً بالنسبة إليه أن يقول الحقيقة بقدر المستطاع. كان يبدو عليه من

الصعب أن يقول الحقيقة عن أشياء حصلت فى الماضى، لذا كان يمعن التفكير قبل أن يتكلم. قال: "كنت أود أن أحضر معى بعض الهدايا. أشياءً مناسبة لك، هدايا الخطبة، كنت قد أرسلت كأس بريام(*) وتاجه وصولجانه. والأخير هو أفضل ما فى طروادة. لم نترك أى شىء سوى آلهتنا؛ لذا لم أكن أرغب بالقدوم فارغاً كما لو أننى متسول. أم إيريالوس كان لديها شال موشى بخطوط ذهبية. كانت تنوى تقديمه لعروسة ابنها عندما يتزوج. أحضرت لى الشال وطلبت منى أن آخذه. يالروح المسكينة. على أية حال بينما كنت قلقاً بشأن الهدايا سمعت كلاماً عن هجوم تعرض له الصيادون من قبل المزارعين وأن هناك من هاجم صيادينا؛ لأن اسكانيوس أصاب غزالاً صغيراً بسهمه. أصاب جايس سهم فى ذراعه وقتل رجالنا اثنين من المزارعين. كانت هذه الأخبار سيئة جداً. بداية غير مطمئنة، وكما لو أن سكان هذه البلدة لا يرحبون بوجودنا ولا يهم ما يقوله ملكهم. حينها أتى درانسيس إلى معسكرنا عبر السفن. هل تعرفين ذلك؟"

"لا".

"لم يقل بأنه مبعوث من لاتينوس أو بأن لاتينوس يعرف بقدومه. لقد قام بالأمر من تلقاء نفسه

(*) بريام Priam: فى الميثولوجيا اليونانية، ملك طروادة أثناء الحرب الطروادية. (المراجع).

ليحذرنا من أن تورنوس اتخذ من حادثة التقاتل مع المزارعين ذريعة ليحرض علينا البلد كلها ضدنا. وأرسل إلى الفولسكانيين والسابيين وحتى إلى الدايوميديين أسفل فى الجنوب، من أجل رجال مقاتلين".

درانسيس كان دائماً على خلاف مع تورنوس.

تعجبت لماذا جاء إلينا. لكن لو أننى عدت معه إلى لورنتيوم هل كنت سأحول دون حدوث الحرب؟"

أقول: "لا".

لم يسألنى عن سبب يقينى من الأمر. كان يتقبل أننى أعرف شيئاً ما لا أستطيع قوله معرفة غير عادية. ولم يسألنى كيف عرفت. كنت قد أخبرته أننى اعتدت الذهاب مع أبى لمكان النبوءة فى ألبونيا. لكننى لم أخبره مطلقاً عن الشاعر. وأشك أننى سأفعل فى يوم ما.

لم يكن من الصعب بالنسبة إلىّ أن أعيش فى خيالاتى لأنها على أية حال كانت طفيفة. لكن بالنسبة إليه كان من الصعب جداً تقبل هذا. حتى وإن كان الآن فى لحظة رجلاً غير نشيط مستأنساً، يجلس راضياً مع زوجته يتحدثان فى ضوء الشمس، فإن الشاعر الشغوف سيبدو بالنسبة إليه بطلاً خطيراً ومن الصعب أن يتقبله سواء فى إرادته أو وعيه. إن التعاطف والإيمان والطاعة أفضل ما يمكن تقديمه له. أما أن يعرف بأنه سار وفق رغبة الشاعر فقد يسبب

هذا الكرب بالنسبة إليه حتى وإن رأى ما رأيته أنا بأن الشاعر قد أطاع ضميره واتبع النبوءة، فلماذا أرهقه بكل هذه الأمور بما أن مخاوفه كبيرة ووقته قصير؟

هز رأسه موافقاً مؤمناً على كلامى. "كان وقت الحرب. إله الحرب مارس كان على الأبواب... وقال درانسيس بنفسه إن قدومى إلى المدينة سيسبب استفزازاً؛ لذا آمل أن تكونى عرفت الآن السبب فى عدم قدومى إليك وإلى والدك بأنه لم يكن عدم طاعة أو عصيان عن القدوم هل أدركت ذلك؟"

حتى وإن كان غير قلق على هذا الأمر فى الماضى، فإن حديثه حول ذلك الآن يبدو نوعاً من التحبب. وددت أن أنهى الأمر سريعاً لكننى قلت أعاكسه: "لكن كان بإمكانك أن ترسل رسالة، كنت متعجبة إن كنت تعتبر أن الأميرة جزء من الصفقة".

بدا وجهه شاحباً كما يبدو عادة عندما ينكر بأنه لم يقم بواجبه على الوجه الأكمل، قال: "بالطبع، بالطبع فعلت".

"ليس من حقى أن أستاء لقد أتيح لى أن أراك". كان يعرف أننى أنا و"سيلفيا" قد شاهدناه عند النهر، أخبرته عن تلك الحادثة، كيف قامت فتاتان بالاختباء خلف الأشجار تتجسسان على جيش وهما ترتعشان من الانفعال. "لقد كان يمكن لأبى أن يرسل لك رسالة، لكنه لم يفعل أيضاً؛ لذا أكمل لى ما حدث فى ذلك الحين".

يمكننى القول إنه حتى تلك اللحظة كان يود التخلص من الكلام حول هذه الذكريات. فكر لوهلة ثم قال: "حتى تلك الليلة لم أكن قد قررت شيئاً، كنت فى حيرة". أحببت كلامه وهو يتحدث عن القرارات التى كان عليه اتخاذها تلك الليلة وكيف أن شعبه يعلق مصيره على ما سيقوله ويفعله. "لم نكن أقوياء إلى الحد الذى يدفعنا لمواجهة مدينة تنوى إبعادنا عن المكان. كان الجواب المنطقى أن علينا الرحيل فى السفن لكن إلى أين؟.. لقد أتينا إلى حيث يجب أن نكون، هذا واضح جداً، لذا كان على المضى إلى أسفل النهر للتفكير فى الأمر. كانت أفكارى تتأرجح مع كل حركة. أحاول التفكير بالحلول المناسبة، وكما لو أن عقلى بركة مليئة بالماء، وينعكس عليها الضوء، فيما الأفكار تهتز داخل البركة يميناً ويساراً. وتتدافع الانفعالات وتصل إلى الحد الأقصى، لكنها لم تكن لتأتى مرة واحدة. وأنا كنت أراقب انعكاس ضوء القمر على صفحة النهر المهتزة. وبينما كنت أصلى للنهر تايبر أصلى بالقرب من أعواد القصب وشجر الحور، أحسست أن عقلى صار أكثر هدوءاً، وأن النهر أعطانى الإجابة. قال درانسيس إن هناك بلدة ملكها يونانى، وهو حليف لـ لاتينوس لكنه ليس على وفاق مع سائر اللاتينين؛ لذا من الممكن أن يساعد أناساً غرباء مثلنا. نمت قليلاً وفى اليوم الثانى أخذت معى بعض الرجال وسرنا عكس التيار فى سفينتين ذات مجاديف عريضة. تركت لابنى مسئولية الدفاع عن مخيمنا لقد حان الوقت ليتحمل بعض المسئولية الفعلية".

"لكنها مسئولية كبيرة تركتها على عاتق صبى".

"صحيح، بالطبع كان لديه مانيسيوس وسيريستوس لمساعدته. رجال جيدون ولديهم الخبرة الكافية. كانت لهم صلاحياتى نفسها. لكنى لم أدرك كيف تمكن اللاتينون من جمع كل قواتهم وحلفائهم والهجوم لإحراق سفننا لذا لم يكن أمام شعبى وقت للفرار. آه!" بدا أن تَذكر هذه التفاصيل جعله يبدو صلباً ووجهه مقطباً من الألم. "كنت أظن أن لدى وقتاً لعدة أيام كى أحصل على حلفاء لمساعدتى، لكن تورنوس تحرك بسرعة لا تصدق. رجل ذو موهبة عظيمة".

هل هو إعجاب بالذات أن تُعجب بالرجل الذى قتلته؟ هل هذا تقييم لبطولاتك حين تُقَيّمه. "كانت لديه الشجاعة، لكنه لا يمتلك الشخصية القوية كما أنه كان جشعاً".

قال آينيس بابتسامة حزينة: "من الصعب أن تطلبى من زميل شاب ألا يكون أنانياً".

"يبدو مقبولاً أن تتوقع هذا من النساء الشابات".

أطرق مفكراً: "ربما النساء لديهن تركيبة نفسية أكثر تعقيداً، إنهن يعرفن كيف بالإمكان القيام بأكثر من شىء خلال وقت واحد. هذا يحدث متأخراً مع الرجال. هذا إن حدث. لا أعرف إن كنت تعلمته أم ليس بعد".

قطب جبينه وبدا عليه أنه مستغرق فى التفكير، ربما كان يفكر بمشاعره الأسوأ، بالعنف البالغ الذى سيطر عليه خلال المعركة، وجعله مجنوناً يذبح بعشوائية، كما يقول: "مثل كلب المراعى الذى أصابه جنون، وهجم على القطيع". إن سمعته كمحارب جسور استندت ـ بالطبع ـ إلى هذه المعركة. الرجال الذين واجهوه كانوا مرعوبين منه، لكننى شخصياً لا يمكننى معرفة الاختلاف بين شجاعته وشجاعة الأبطال اليونانيين الذين أخبرنى عنهم بكثير من الإعجاب، "هيكتور الطروادى" و"أخيلوس الإغريقى". ولكن بالنسبة إليه تلك خطيئة بدون شك، إساءة استخدام المهارة، عمل شرير. أعرف أنه يخشى قدوم خطر الحرب من جيراننا ليس لأنه يكره أو يخاف من القتال، فى الحقيقة هو يحبه، بل لأن لديه مخاوف على نفسه، هو مقتنع أنه قتل تورنوس تناقشت معه حول هذا الأمر: لقد كان هذا خلال معركة عادلة وهو لم يكن بإمكانه أن يتركه حياً خصماً عنيداً وقوياً؛ وهكذا هو لم يجادلنى بما قلته. حاولت جعله يصمت ويتوقف عن الكلام حول هذا الأمر لكنه لم يسامح نفسه.

ظهرت فيسيتينا العجوز فى الممر تحت صف الأعمدة، تحمل الطفل بين يديها وهو يلتوى مصدراً ضجة، كما لو أنه يعانى من ضيق. قالت بشكل حاسم: "إنه جائع يا جلالة الملكة". تدفق الحليب من صدرى بمجرد أن وقعت عينى عليه قلت: "أحضريه إلى هنا"،

وحين استقر بين يدى بدا متلهفاً للرضاعة حتى أنه صار يحرك فمه الصغير حول صدرى بحثاً عن الحلمة وعندما لم يجدها بسهولة صار يحرك قبضات يديه بغضب. قلت: "حدثنى عن الطمع".

استقرت عينا زوجى بسلام على وعلى ابننا سيلفيوس. صب لنفسه كوباً آخر من الحليب. وألقى ببعض القطرات على الأرض تقرباً للآلهة، ثم حيا ابنه قبل أن يشرب ويقول: "فى صحتك".

اغتسلت من القذارة التى علقت بى طوال ثلاثة ليالٍ أمضيتها عند نبع شجرة التين. ونمت لعدة ساعات فى منتصف الليل لكن كان من الصعب أن أنام أكثر مع ذلك الهياج والاضطراب الموجود فى الردهة الخارجية من البيت. تورنوس، تورنوس. سمعت اسمه يتردد بتلاحق قمت بسرعة لمعرفة ما يحدث لقد أتى تورنوس لكنه لم يأت إلى أمى التى كانت تنتظره فى أعالى التلال، بل جاء إلى بوابات المدينة مع قوات مسلحة من الرعاة والمزارعين وقوم من المدينة. صعدت إلى أعلى المنزل لمراقبة ما يجرى.

كان هناك حشد كبير وآخرون قادمون عبر الحقول. كان الرجال جميعاً يحملون السلاح سواء كانوا مزارعين أو صيادين، جميعهم يحملون الرماح والسهام والأقواس. كان تجمعهم بهذه الطريقة يشكل اكفهراراً وضجة فى المكان. نظرت إلى أسفل؛ حيث شجرة الغار فى الفناء الخارجى، حيث احتشد النحل

ذات يوم، ولكن هؤلاء الرجال ليسوا أجانب تنبأ النحل بقدومهم. كانوا لاتينيين، لورنتيين، إيطاليين. قومى. أعدائى.

فى ذلك المساء امتلأت كل الحقول بالرجال المسلحين. خيموا عبر مساحات الأراضى وعند المنحدرات ليتمرنوا على المناورات العسكرية. صعدت فى اليوم التالى صباحاً إلى أعالى البيت عند البوابة الرئيسية. كان الحشد يتجمع خارج بوابة المدينة وداخلها، يملأون الشوارع حول الريجيا، وقد تضاعف عددهم كانوا يصيحون: الحرب، الحرب. أبعدوا الغرباء. أرسلوا القتلة بعيداً من حيثما أتوا! . شاهدت جماعة منهم تشق طريقها عبر الجموع كان من بينهم بعض الرعاة الذين أعرفهم. يحملون شيئاً طويلاً وثقيلاً ملفوفاً فى قماش أبيض ملطخ بالدماء هاتفين، آلمو، آلمو اثأروا لأخينا انتقموا لموتانا". لمحت من بينهم وتيرهوس أبا آلمو وسيلفيا، بشعره الأبيض، يحدق بعيون وحشية، وبدا مصعوقاً بشدة، يسنده بعض الرجال وهو يمشى. شق هذا الموكب طريقه وسط الحشد ووصل إلى بوابة الريجيا الرئيسة. مددوا حمولتهم على الأرض، وعلا صوتهم مسعوراً يملأ الفضاء يدفع الهواء إلى الاهتزاز. رأيت تورنوس، وقف عند مدخل بوابة الملك مواجهاً للحشد.

صرخ عالياً جداً أمام الحشود:"هل سيحكمنا الغرباء؟" وردت الحشود مجتمعة مثل البرق فى الشوارع: "لا!". "هل هذا هو الوعد الذى قطعتموه على

أن تمنحوا عروستى إلى الغرباء يا لاتينوس ملك لاتيوم أنا أقف عند بوابتك، نحن نطالب بالعدالة، نطالب بالحرب". صرخ كل الرجال: الحرب!.

بعد مرور وقت، كما لو أنه دهر، فُتحت أبواب الريجيا. خرج أبى يرافقه حراسه مع درانسى"، وبعض الرجال المستشارين. صمتت الحشود صمتاً تاماً. اقترب منه الرجال بينما هو يقول: "الملك، الملك سوف يتكلم".

كنت جاثية على ركبتى فى أعلى البيت لأتمكن من رؤية ما يحدث، لكننى لم أر من أبى سوى رأسه، بشعره الرمادى الذى صار خفيفاً فوق الجمجمة.

قال أبى بتلك النبرة القوية: "يارجال لاتيوم أبنائى"، ثم توقف عن الكلام لزمن حتى بدا أنه غير قادر على الكلام من جديد. تململ الرجال قليلاً، لكنه فى النهاية تمكن من متابعة كلامه، وكان صوته هذه المرة مخنوقاً كصوت رجل عجوز: "النبوءة هى التى تحدثت. وأعطت الوعد. وإذا تحديتم الصوت الذى يرشدنا، إذا نقضتم المعاهدة التى أبرمتها، فأنتم مخطئون، وستدفعون ثمن هذا دماً، أنتم تعرفون هذا جيداً. إن هذا كل ما يمكننى قوله. تورنوس يا ابن صديقى القديم داونوس وابن أخت زوجتى، إذا كنت تود قيادة شعبى إلى الخطيئة، فأنا لا أستطيع إيقافك، لكن كل ما بإمكانى قوله إنك تحرمنى من

مرفأ السلام الذى طمحت أن أمضيه فى هذه السنة التى تبقت من عمرى قبل ذهابى إلى الموت الصالح الذى أحن له".

استمر الصمت، ومن دون انتظار لأى رد استدار لاتينوس عائداً إلى الريجيا. أغلق حراسه الأبواب بعد دخوله تاركين تورنوس والحشود التى ظلت لوهلة فى الخارج، لكن فيما بعد عادت الهمهمة وبدأت تعلو الضجة من جديد لتملأ البيت والمدينة.

ويبدو أن فوضى أخرى ارتفعت خلف بوابات البيت. لم أكن وحدى أقف فى أعلى الريجيا لأتفرج على ما يحدث، كانت هناك مارونا وتيتا وعدة فتيات أخريات جئن لمراقبة ما يحدث عبر أعلى البوابة الشمالية. إحدى النساء أشارت بيدها إلى البوابة الشرقية فركضت نحوها لرؤية ما يحدث هناك. ومن تلك المنصة شاهدنا موكباً آخر ينتشر عبر الشوارع، موكباً من النساء، خادمات، سيدات يواجهن بتحدٍّ وقح، وجميعهن مكشوفات الشعر يرتدين أثواباً ممزقة . أماتا وقواتها من النساء اللواتى كن عند نبع شجر التين.

اقتربت أمى من بوابة الريجيا تمشى مشيتها الملكية أسرع تورنوس لملاقاتها. تقابلا وتعانقا، ثم تحدثا لبعض الوقت وفى الحال ارتفع الهرج فى الخلف: "افتحوا بوابة الحرب، افتحوا بوابة الحرب!".

كانت بوابات لورنتوم تقف على مربع غير بعيد عن بوابات المدينة الرئيسة قرب الهيكل الذى يحيط به إطار خشبى من شجر الأرز ومذبح جانوس(١) عند الجهة الشرقية وحوله مساحة فارغة دائماً تكون مغلقة وقائمة. لم يحدث أن أقيمت أى احتفالات هناك فيما عدا الاحتفال الذى نقيمه للآلهة عند مطلع شهر يناير عندما نريق الخمر عند مذبح جانوس. لكن الآن يعلو الصراخ: "الملكة، الملكة ستفتح بوابة الحرب"، وتدفقت الجموع متدافعة، وتمكنت من رؤية أمى بينهم، فيما تورنوس يبدو بينهم بخوذته المرتفعة، ثم حالت الأشجار دون الرؤية، فقط استطعت سماع أصوات الهتافات، مارس! مافورس! ماكتى إلخ.!"(٢)، وجاء الناس يرقصون ويصيحون بأن "بوابة الحرب قد فُتِحت".

إن ظهور أبى السريع أمام بوابات "الريجيا"، بدا بالنسبة لغالبيتنا على أنه تنازل. لقد وجه نداءً رسمياً، ولم ينتظر الإجابة بل قال لـ تورنوس: "أنا لا أستطيع إيقافك". أغضبنى قوله للحد الذى لا أصدق أنه قال هذا، كيف تمكن من قول مثل هذه العبارة؟ لماذا لم يظهر قوته أمام تورنوس وتراجع عائداً إلى الداخل؟

عندما أفكر بالأمر الآن أظن أنه لم يكن يتكلم إلى تورنوس بل إلى الجموع المحتشدة، الرجال،

---

(١) جانوس Janus: إله الأبواب والبوابات في الميثولوجيا الرومانية (المراجع).

(٢) مشتقات من اسم «مارس» إله الحرب عند الرومان. (المراجع).

مواطنيه اللاتينيين. هم فى الحقيقة من لديهم القوة. "تورنوس" يستطيع استخدامهم، مادام سمحوا له، لكنه لم يستطع التحكم بهم أكثر مما يستطيع لاتينوس. لذلك فإن نداء لاتينوس إليهم كان على أمل أنهم ربما يتذكرونها فيما بعد. هم الآن خائفون ومضطربون، كان كل ما يرونه فى تلك اللحظة وما يريدونه هو فرصة الحرب والوعد بالانفجار، انتقاماً لموت الرجال الصالحين. من الطبيعى أن يكره كل مزارع أى أجنبى، وهنا يوجد أجانب أتوا من مكان ما، ويتوهمون أنهم قادرون على التوغل فى أراضى لاتيوم والاستيلاء عليها. يصيدون الغزلان، يتزوجون الأميرات ويبعدون الرجال الأشراف عن مناصبهم، لذا كانوا جميعاً يرون فى كل هذا خطايا كبرى، والملك العجوز لن يستطيع مواجهة هؤلاء الأجانب. لكن ملكاً شاباً قد يتمكن من هذا ولا يهم إذا كان هو روتاليًا، ألسنا جميعاً لاتينيين؟ نقف كتفاً بكتف. فالغربيون يدافعون عن حقوقنا ومعابدنا ونسائنا. علينا أن نلقى هؤلاء الغرباء إلى البحر، فنحن أدرى بشئوننا الداخلية.

كان لاتينوس يعرف، سواء الآن أو من قبل، ماذا تعنى الحماسة للحرب ويدرك جيداً أنه من غير المجدى مواجهة صخبها وهدر الوقت فى خطبة لا طائل منها لأشخاص فقدوا عقلهم.

لكن أنا كنت طفلة السلام، وكل ما كان بإمكانى رؤيته هزيمة رجل عجوز يختبئ فى قصره بينما الحمقى يصرخون فى الشارع. أما ملكته فهى ترتدى

ثياب العبيد وتحث الخطى من دون خجل منتصرة لانتهاك حياتها اليومية فى القصر.

هى لم تكن تهتم بى أنا حتى بعد أن هربت منها. ولكن حتى لو كان أبى قد تلاشت قوته، فإنه يظل أملى الوحيد بالمقاومة. جمعت أشيائى وطلبت من "مارونا" وبعض النساء الأخريات أن يذهبن معى إلى قسم النساء فى الجناح الملكى إلى غرف النوم التى لم تستخدمها أمى منذ سنوات. لينا وسيكانا، وبقية النساء من الفصيل المعاون لأمى تسربت إلى داخل القصر، وجايا كانت تلوح مهددة بسيفها. ولم أكن لأترك نفسى ثانية تحت رحمة هؤلاء النسوة.

كانت فستينا العجوز تبكى، وتأتى وتطلب منى البقاء معى حيث أكون، وحين رفضت، صرخت مذعورة بضعف، لكننى لم أكن متأكدة من قدرتى على حمايتها. فقد انقسم القصر إلى قسمين بينى وبين أماتا. تسللت إلى الأجنحة الملكية عبر القاعات الخلفية للقصر ترافقنى مجموعتى القليلة من النساء. طلبت من حراس أبى إبلاغه أن ابنته ستشغل الغرف الخاصة بالملكة.

أرسل أبى باستدعائى. كان يجلس فى قاعة المقابلات الرسمية مع درانسيس وآخرين. وبدلاً من أن يطلب منهم المغادرة صعد واقترب منى للكلام معى فى مساحة خالية قرب العرش. بدا عليه الإرهاق والتجهم والتجاعيد برزت ثقيلة حول عينيه ووجنتيه.

"لماذا لم تأخذى رأيى فى تغيير الغرف يا ابنتى؟"

"خشيت أنه إذا عرفت الملكة بالأمر أن تمنعنى من الدخول".

"إذًا أنت لا تودين طاعتها؟"

"ليس حين تكون طاعتها عصياناً لك".

كان مستاءً، وهو يستدير محاولاً السيطرة على انفعاله قال: "ماذا تقصدين؟"

"لو كان باستطاعتها، لو أننى تحت سيطرتها الآن، فإنها ستزوجنى بـ "تورنوس".

- أصدر حركة ما تدل على نفاد صبره.

"لهذا السبب أخذتنى إلى أعالى التلال كى ألتقى به هناك. لتتحدى النبوءة وتنقض العهد الذى قطعته أنت على الطرواديين".

بدأ بالقول، "هى لن.."، لكنه لم يتمكن من إتمام العبارة ليقول:"هى لن تجرؤ على فعل ذلك"، لأنه يدرك جيداً أنها فتحت "بوابة الحرب". وقف متجهماً لكن يبدو عليه التردد.

"دعنى أبقى معك يا أبى، دعنى آخذ واحداً من حراسك عند بابى. أنا أحاول أن أطيعك، وأنفذ النبوءة. أنا لن أتزوج تورنوس.

قال بعد هنيهة: "هل تكرهينه هكذا؟"

كان صوته ضعيفاً، وسؤاله واهياً. حاولت أن أكتم نفاد صبرى. "أنت وعدت بتزويجى بقائد الطرواديين. هو زوجى. ولن أتزوج غيره".

قال، وهو يخفف من الأمر: "لكن يبدو الأمر كما لو أن الناس يذهبون إلى الحرب ليمنعوها، يا ابنتى".

"أبى أنا أعرف ما ينبغى على فعله. وسأفعله. وأمى لن يكون باستطاعتها إيقافى، وكل الرجال فى المملكة الذين ينادون من أجل الحرب لن يستطيعوا منعى". أنت فقط تستطيع، فكرت، ولكنى لم أقل هذا. فالتفكير بمثل هذا على أية حال يضعف حالى، واهتز صوتى قليلاً حينما قلت: "أرجوك أن تسمح لى بتنفيذ هذا، وسأحمى نفسى بالقدر الذى أستطيع".

لم أكن أعرف ماذا يجرى داخل عقله، وماذا ينوى قوله حين تقدم "درانسيس" نحونا. من المؤكد أنه سمعنا، وأبى كان دائماً يثق بتفكيره، ويعطيه الحرية بالكلام، حتى أنه لم يستأذن بالانصراف ليتركنا نتابع كلامنا بل قال: "ياجلالة الملك ابنتك محقة وحكيمة وشجاعة. وإذا كان تورنوس قد انتهز فرصة تأييد الملكة له فى هذا الاضطراب، ويريد أن يتحدى النبوءة ويتحداك، فإن هذا يعنى أن الجريمة قد وقعت وانتهى الأمر، فالخراب وقع بيننا. كن صبوراً، شعبنا سيعود إلى رشده ولكن كما قلت أنت بنفسك عليهم أن يشاهدوا أولاً ماذا تعنى إراقه الدماء. ابق ابنتك معك بعيداً عن الخطر بعيداً عن الروتوليين واجعل حراسك يسهرون على حمايتها. إنها التزامنا بالعهد. بوجودها ستظل القوى الإلهية معنا".

يتكلم درانسيس كثيراً فى الظروف المعتادة، لكن هذه المرة نمق كلامه واختاره بعناية كى يسمعه أبى.

قال لاتينوس ببطء وفخر: "حسناً سوف تبقين فى جناح أمك يالافينيا وسأضع حارساً عند الباب، لكننى لا أريد كلاماً غير لائق أو كلاماً متمرداً على الملكة. أتفهمين؟".

أحنيت رأسى وتمتمت بكلمات الشكر، وتسللت إلى الخارج.

يبدو من الأسهل بكثير الكلام مع حراس الملك عن الكلام مع الملك شخصياً. كنت أعرفهم منذ أن كنت طفلة - فيروس وأولوس، وألبينوس، وجايوس، وآخرين؛ والبعض منهم مازال ينادوننى باللقب الطفولى، "كاميلا"، فتاة المذبح. فى السنوات الأخيرة كان معظم المقاتلين الذين اختارهم لاتينوس فى منتصف العمر بدأ اللون الرمادى يعرف طريقه إليهم. وبدءوا يمتلئون عند الخصر تحت بذلاتهم البرونزية، كما أنهم مولعون بالطعام والشراب لكنهم لا يخلون من الفطنة. وكانوا حذرين جداً بشأن عدم تقسيم الريجيا. وفى الوقت نفسه كانوا متعاطفين معى فى موقفى من تورنوس مما سبب لى بعض الارتياح حتى وإن كانوا لا يريدون الظن سوءا بملكتهم. قال فيروس: الروتوليون سيطروا على الملكة، ولأنه ابن أختها فقد تعاملت معه كما لو إنه ابنها ولا يصدرعنه خطأ. هذا ما تظنه الأمهات فى العادة". لم أكن أعارض أياً من التفسيرات ما دامت تبعدنى عن خطر أماتا. وهم رأوا أننى سأكون فى خطر لو أنها اقتربت منى، لذا من دون أى سؤال كان أحدهم يظل يرمقنى كيفما توجهت

فى "الريجيا" سواء خلال قيامى بالطقوس الدينية أو بواجباتى المنزلية.

كانت أياماً عصيبة، أن يصبح نصف سكان بيتى أجانب بالنسبة إلىّ. لم أكن أدخل أجنحة النساء منذ وقت طويل، كنت غريبة تماماً عن أمى، وكنت أكثر قرباً مع النسوة اللواتى كن يرعيننى وكبرت بينهن، إن غالبية النساء لم يكن يصدقن إصرارى على الخطوبة من القائد الأجنبى، العدو، أو لم يفهمن لماذا أفعل هذا. لقد تركتهن أماتا يقلن إننى فقدت عقلى، وإننى بعبودية أطيع كل أوامر أبى، ويتهامسن بأنه أصابه الخرف تماماً. وفى الحقيقة، ساعد على هذه الفكرة اختفاؤه فى جناحه، يأكل فى سرية، ولا يلتقى أحداً فى الغالب، وكما لو أن لاتينوس يقدم برهاناً على ضعفه. كنت أراه فقط عندما أساعده فى إنجاز الطقوس داخل البيت أو المدينة، لكنه لم يغادر بوابات المدينة على الإطلاق.

أنا أيضاً لم أغادر المدينة، لذا كنت أمضى غالبية الوقت فى أعلى أسطح الريجيا، أراقب وأنظر بعيداً خلف جدران المدينة. وفى أعلى الريجيا كنت أتخلص من فضول البعض ومن النوايا المغرضة للآخرين. كان فيروس أو أحد الحراس الآخرين يقوم بالحراسة دائماً عند مدخل كل درج من الأدراج التى تؤدى إلى الساحة فى الركن الجنوبى الشرقى، المكان الأعلى فى المدينة، حيث بإمكانك من هناك مشاهدة الميدان والسهول والمراعى والمنحدرات الممتدة فى نهاية مزرعة

تيرهوس، والتلال الزرقاء باتجاه الشرق والغرب، وباتجاه المساحات الرملية الممتدة بجانب الشاطئ. أخذت عباءتى وذهبت مع مارونا أو واحدة من الفتيات الأخريات؛ ووضعنا غطاءً على رءوسنا للوقاية من الشمس، لأن شمس الصيف قد بدأت تزداد سخونتها. أحياناً كانت تسألنى النساء إذا كان بإمكانهن أن يلحقن بى ويجلسن معى لمدة مع أطفالهن، أو مع ما يغزلنه، كما لو كانت الأمور مازالت كما هى من قبل. لقد كانت شجاعة منهن لأن ذلك كان تحدياً لأمى التى كن يقعن تحت سلطتها، والبعض منهن أخبرننى عن سلوكها الذى أزعجهن بشكل واضح. ففى كل يوم كانت تأمر بأن تجهز قاعة الولائم وتذبح الحيوانات، حتى يمكن لـ تورنوس والقواد المتحالفين معه أن يأكلوا، ولكن القادة كانوا مشغولين يجوبون الأرياف ويجهزون القوات، بينما تورنوس كان متعجرفاً كما هو، ولذا تردد أن يأكل على مائدة الملك من دون دعوة الملك لذا أرسل اعتذاراته. وأماتا كانت تقول دائماً: "سوف يأتى غداً وينبغى أن نكون مستعدين له". ولذلك فحتى عمال النظافة فى المنزل وسائسو الخيول كانوا يعيشون على قطع من لحم الأبقار والأغنام، أما النساء فقد كن يهززن رءوسهن على الإسراف والحماقة.

لقد شعرت بالأمان هناك فى البرج، وكنت أراقب الرجال وهم يتدربون فى ساحة التدريب، ويمارسون ألعاب السيف، ينقسمون إلى مجموعات، ثم يتفرقون

عندما يتلقون أوامر القادة. لقد بدا كل شيء مثل ألعاب الأطفال. وأحياناً كان فيروس أو أولوس يقفان على جدار البرج، ويخبرانني بالمناورات التي يدبرانها. قال فيروس: "إنهم لا يستخدمون الطبول". كان لاتينوس أخبرني ذات مرة كيف أنه تأكد منذ عدة سنوات مضت في إيتروريا كيف أن الفيانيين يخبرون بعضهم البعض عبر ميدان المعركة أين يحتاجون التعزيزات، وأين ينبغي أن ينسحبوا عن طريق الإشارات بأصوات خافته مثل نداء الطير، لقد أسُر اثنين من ضاربي الطبول الاتروسكانيين، وجعلهم يعلمون خدعهم إلى بعض الأولاد، وبذلك حقق التقدم في أكثر من قتال. لقد قال إنه تعلم هذه النغمات من دقات الطبلة. لكن تورنوس لم يكن بالتأكيد هو الشخص الذي يبحث عن التجديدات أو الطرق الغريبة، لقد كان رجاله ينادون بأوامره بصوت مرتفع، وكان صياحهم المرتفع والأجش مثل الكلاب التي تنبح، صوت يدمر الأعصاب.

كانت أعداد الرجال المُعسكرين في شمال وشرق لورنتوم يتزايدون يومياً. وصل يوفنس مع أكوينس الفظ. كما أتت قوات مكثفة من برانيست، رجال يضعون قبعات من جلود الذئاب، والذين مضوا إلى المعركة ينتعلون في أحد القدمين حذاء من الجلد، والقدم الأخرى حافية، ومن موقعي استطعت أن أرى الضباط يتشاورون فيما بينهم بشأن خُطابّي السابقين. يحرك ميزينتيوس الإتروسكاني قبعة رأسه

المصنوعة من جلد الأسد، وهو طاغية كيرى الذى أتى من "آرديا" مع ابنه لاوسوس. نظرت إلى ميزينتيوس لأرى كيف كان يبدو هذا الخائن، والقاتل، والطاغية. لقد توقعت شيئاً ما أكثر شراً من هذا الجندى العجوز الفظ الذى كان مغرماً بوضوح بالابن المرهف ذى العيون السوداء الذى يبقيه قريباً منه.

كان تورنوس فى انتظار ميسابوس ليأتى مع قواته على ظهور الخيل من سوراكت. ووصل أخيراً فى اليوم ذاته الذى وصلت فيه قوات فولسكيانس، وكانت القوات تمتطى خيولاً ذات شعر أسود ويعلو خوذاتهم الريش الطويل. وبحثت عن المرأة المحاربة التى قال شاعرى إنها سوف تأتى مع الفولسكيانيين، ولكننى لم أرها. ولكن فى ذاك الحين قال إنه قد اخترعها. ولكن ألم يخترعنا هو جميعاً؟ حاولت أن أجد الراحة فى ذلك بأن أدعى أن كل هذا مجرد ادعاءات، كل صيحات الأوامر وأصوات الأسلحة المتصادمة، وقرقعة السيوف، والخيول المُستَفزة، والرجال المتغطرسين. والقائمة المرعبة من قتلى المذبحة التى أخبرنى بها شاعرى فى الليلة الأخيرة، كانت هى ما يستعدون له ولكن لماذا؟ ما سبب كل ذلك؟ من أجل غزال، من أجل فتاة، لصالح من سيكون هذا؟

من دون الحرب لن يكون الأبطال.

أى أذى سيكون هذا؟

أوه، لافينيا، يا لها من امرأة محيرة.

احتشد الجميع فى الصباح التالى، اللاتينيون الموالون بالقرب من أسوار المدينة، ثم الـ أوسكانس، والـ سابينس، والفولسكانيين مع عصبتهم، والروتوليانيون كانوا فى المقدمة، وتورنوس كان يقودهم وهو يمتطى حصانه الرائع. أما النساء والأطفال والرجال العجائز فقد هللوا ورموا الأزهار فيما هم يتجهون نحو الشمال، باتجاه النهر.

كان الشاعر قد أخبرنى كيف أن الرءوس ستنفصل، والأدمغة ستتناثر من الدروع، وكيف أن الرجال والسيوف تخترق صدورهم سيزحفون وهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة، وهكذا، وهكذا، قتل، وقتل. لقد أخبرنى بما أمكنه مشاهدته بعينيه الميتتين فهذا الأمر عطية له، أنا لا أملكها، فأنا بإمكانى الكلام فقط عما أخبرت به، وعما أراه.

وما تلا ذلك تم إبلاغى به فى ذلك الحين وفيما بعد، عبر الرجال العائدين من المعركة.

ذهب آينيس إلى أعلى النهر، حيث المستعمرات اليونانية، أملاً فى أن يحصل على إمدادات منهم. مر على ذهابه ثمانية أيام. و"الطرواديون" لا يعرفون عنه أية معلومة. قاموا خلال غيابه بحفر خندق عميق حول مخيمهم، وكان هذا الخندق محفوراً مع أنحاء النهر، لذا كان محمياً من نهر "التايبر" من كلا الجانبين. أما سفنهم فقد كانت راسخة بثبات عند الشاطئ.

قامت قوات "لاتيوم" بمهاجمة مخيم "الطرواديين". واستبسل "الطرواديون" فى الدفاع عن مخيمهم فى قتال شرس، بخاصة وأنهم محاربون قدامى صمدوا فى حصار طروادة لمدة عشرة أعوام. كان الشاب أسكانيوس متوحشاً فى هجومه على "اللاتينيين" وطاردهم بعيداً، على الرغم من أن آينيس قد ترك تعليماته بألا يهاجموا حتى وإن تعرضوا إلى هجوم. أطاع القادة هذه التعليمات، لكن كان من الصعب عليهم السيطرة على الطرواديين الشباب حين بدأ "اللاتينيون" بالتهكم منهم واتهامهم بأنهم جبناء يختبئون خلف الأسوار صارخين: "هل هذه هى كل الأراضى الإيطالية التى تريدونها؟، هذه الضفة الصغيرة من النهر؟ لماذا لا ترحلون بعيداً؟ سوف نجعلكم تأكلون القاذورات". أعادوا تكرار هذه العبارة وهم يحاولون اقتحام السور وتسلقه، لكن الطرواديين تمكنوا من إبعادهم يداً بيد وإمطارهم بوابل من الرماح، كما سماها روفوس آنسو.

أما نحن نساء الريجيا فقد أخذنا العديد من الجرحى للعناية بهم. كان روفوس آنسو مزارعاً يعمل فى الأراضى الملكية، لكن من ناحية غرب المدينة فقط حيث أعادوه جريحاً إلى المدينة. كان فى مثل سنى تقريباً. كان هناك سهم قد اخترق بطنه تحت سرته، وقد أخرجوا السهم من ظهره. النساء الخبيرات فى التداوى أخبرننى أنه لن يعيش طويلاً. لم يكن يعانى آلاماً قاتلة، بل كان مرعوباً يريد أن يتكلم باستمرار، لا

يريد أن يبقى وحيداً، وفى تلك الليلة جلست معه، كنت قد أرسلت لاستدعاء أمه، لكنها لم تأت حتى اليوم التالى. قال: "تحول الهواء إلى اللون الأسود مرة واحدة مثل المطر، لكنه مطر من حديد".

كان يشتكى من جرح صغير فى ذراعه عند المرفق أكثر مما يشتكى من سائر جروحه. وبدا غير مبال بأنه أصيب، اعتبر الأمر مجرد سوء حظ.

أتعجب كيف من الممكن لرجل أن يذهب إلى الحرب ولا يتوقع أن يصاب بالجروح. ماذا يطلب عن المعركة، كان متأثراً بدفاع الطرواديين. ووصفهم بأنهم مقاتلون جيدون، لكنه كان يتوقع أن يَقتل لا أن يُقتل، ورأى فى الأمر افتقاراً للعدالة. جاءت أمه فى اليوم التالى، وحملوه إلى البيت حيث مات بعد عدة أيام من معاناته من آلام مبرحة.

إن ما يفعله السلاح بالرجال هو دفعهم للقتال لكننى لم أكن قد شاهدتهم يتقاتلون بعد.

جاء إلينا فى الليل تقرير عن حدوث هجوم بارع عند مخيم الطرواديين، قام به تورنوس بمفرده، حيث جال حول السد الذى يقع قرب النهر، وهو يحمل مشعلاً فى يده ويركض حول السفن، الراسية والمتجاورة عند الشاطئ ليحرقها واحدة تلو الأخرى. ولم يمر وقت طويل حتى كانت كل السفن قد احترقت. تمكن تورنوس من الفرار قبل قدوم "الطرواديين" ورؤية النيران الشاهقة التى ترتفع فى

مياه النهر وتجرف سفنهم بفعل الحريق لتغرق فى النهرالمتدفق.

بينما يستمع روفوس آنسو إلى رجل يخبرنا هذه الحكاية قال: "حسناً يبدو أن هؤلاء الطرواديين لن يعودوا من حيث أتوا". ظنها دعابة جيدة. وكانت هناك روح معنوية مرتفعة بين الرجال الجرحى ونساء "الريجيا".

كنت مرتبكة ومتعبة. هل يجب ألا أسعد بهذا العمل البطولى والجرىء، وبانتصار شعبى؟ كيف أكون بجانب الغزاة ولا أكون متعاطفة مع أبناء قومى المصابين بالأذى من هؤلاء المعتدين؟

ولكن إذا كان هدفنا حقاً أن نطرد هؤلاء الأجانب خارج إيطاليا، فلماذا نحرق سفنهم؟ من الواضح أن تورنوس يود أن يفنى الطرواديين وليس أن يطردهم بعيداً، وإلا لما كان تصرف بأية نية إلا بأن يؤذيهم مباشرة ويقوم بعمل باسل.

فكرت مراراً وتكراراً بالمعاهدة التى أبرمها لاتينوس معهم، المعاهدة التى تجاهلناها تماماً. تيرهوس ومربيو الماشية هاجموهم بغضب، والطرواديون قاموا بالدفاع عن أنفسهم، لكن المسألة لم تتوقف عند هذا الحد. وإذا كان هناك ثمة أى أمر مقدس فإنه المعاهدة. كيف ستساندنا القوى التى تحمى أرضنا وحياتنا على الرغم من أننا تحدينا النبوءة، وليس هذا وحسب، بل قمنا بعمل من أعمال الشر العظيمة ـ تعمد خرق الاتفاق؟

جال فكرى طويلاً فى هذه الأفكار وقلبى تمزق من شدة التعاسة، لو كنت قادرة على مشاركة قومى الفرح، لكن عبثاً من المحاولة. أحسست كما لو أننى خائنة، كما لو إننى اقترفت خطيئة لا تغتفر. قد تسببت فيها ببساطة بكونى من كنت، وماذا كنت. أمى علمتنى أن لوم الذات خطأ، وقد عرفت هذا اللوم طوال حياتى على الرغم من أننى فكرت فى تجنبه، ومقاومته لأنه أمر صبيانى خاطئ، لكن أمام كل هذه التشديدات والضغوطات من الطبيعى أن ينكر المرء بصبيانية، وأن يخطئ وأن يقع فى اللوم.

بعض الرجال الذين عادوا إلى لورنتوم عند المساء قالوا بأن جيشنا قد وضع حراساً حول مخيم الأعداء، استقروا هناك كانوا يأكلون ويشربون ويحملون معهم أمتعتهم، أى إنهم مستعدون فى أية لحظة للهجوم على الطرواديين والقضاء عليهم. وإذا كانت هناك من خطة يضعها "تورنوس" فهى إبادة الطرواديين.

عرفت ما حصل فى تلك الليلة من القصص التى سمعتها فى اليوم التالى من الرجال الذين عادوا إلى المدينة، ولاحقاً من سيريستوس الطروادى بعد أن أصبح صديقى. لقد عقد اجتماعاً صارماً مع الطرواديين ذاك المساء فى مخيمهم وتحدث معهم بشأن صمودهم حتى عودة آينيس مع المعونة المنتظرة. لم يكن يعرف أنه ذهب من بلانتيوم إلى إيتروريا كانوا جميعاً منزعجين وقانطين من غيابه الطويل.

شارك فى الاجتماع أيضاً جنديان والشاب يوريالوس، وصديقه الأكبر نيسوس، وتبرعوا بأن يتسللوا خارج المخيم ليحملوا تنبيهاً إلى آينيس. كان حزيناً لإحراق السفن ومتشوقاً لعودة أبيه ولحضوره ودعمه. أرسل أسكانيوس الجنديين وحملهما بكل الوعود والتمنيات الطيبة. وعندما عاد آينيس، وربح الحرب قال، إن يوريالوس سيتسلم كل الأراضى التابعة للملك لاتينوس كمكافأة له، وأيضاً اثنتى عشرة امرأة ليخدمنه. مازلت أذكر موجة الغضب العارم التى غمرتنى عندما أخبرنى سيريستوس بهذا الكلام.

زحف الاثنان خارج المعسكر عند حلول الظلام، تسللا وهم يراقبان النيران المشتعلة، بينما أعداؤهم مستغرقون فى النوم من أثر الطعام والشراب، وبدلاً من أن يسرع الجنديان خارج معسكر اللاتينيين، ويبتعدا عن النهر، فقد قاما بمذبحة عبر قتل الرجال النائمين وسرقة دروعهم وأوانى الخمر. قاموا بقطع أعناق عشرة أو عشرين رجل، لاحول لهم ولا قوة من أثر الخمر. وحين غادرا كانا قد أشبعا شهيتهما للعنف الذى بلغ ذروته داخلهما. شاهدتهما إحدى الدوريات الليلية، محملين بالدروع اللامعة المسروقة، وسمعوا رنينها الحاد. وما أن شاهدت الدورية ما حدث حتى قتلت الجنديين وقطعت رأسيهما وعرضتهما أمام مخيم الطرواديين.

حين كنا أنا وسيلفيا نراقب الطرواديين شاهدنا يوريالوس راقداً على العشب، يمازح أسكانيوس،

ووصفته سيلفيا بأنه فائق الجمال. رأيناه يسوى قبعة أمه الحمراء التى يضعها فوق رأسه. إنها المرأة التى أعطت "آينيس" القماش الذى أحضرته معها من طروادة لتهديه لمن ستكون عروس ابنها ذات يوم. شاهدت الرءوس على السوارى.

فى صباح اليوم التالى قامت القوات الإيطالية بمهاجمة مخيم الطرواديين. وإزاء هذا الهجوم الكثيف لم يكن أمام الطرواديين سوى أن يوجهوا نبالهم إلى "الروتاليين" ومن معهم الذين استماتوا وهم يشقون طريقهم عبر الخندق، بينما الرجال الذين يحملون السيوف يتلقون الهجمات، ويحاولون تسلق المتاريس الترابية التى وضعها "الطرواديون" فى مواجهة قوى الهجوم والصد. قاتل الطرواديون ببسالة، وما أن حلت الظهيرة حتى كانت معظم قواتنا قد انسحبت عاجزة عن عبور الخندق، أو تسلق السور. قواتنا أيضاً قاتلت ببسالة حتى إن شباب الطرواديين تعبوا من الاستمرار بالدفاع. وبدءوا يصرخون بصوت مرتفع ويفتحون بوابات مخيمهم ليخرجوا منها ويدفعوا الأعداء بعيداً. "تورنوس" قاتل بشجاعة فائقة، كان يضرب بقوة ضربات متتالية ويشق طريقه عبر تلك البوابات من دون أن ينتظر ليرى إذا كانت قواته تتبعه. تمكن من عبور مخيم الطرواديين وحده كان متحمساً بشدة للقتل، ومفتوناً بفكرة أن الطرواديين يهربون منه. فظل مندفعاً حتى وصل إلى النهر، فقفز فيه بكامل زيه الحربى، يسبح فى أسفل النهر، ثم صعد إلى اليابسة لينضم إلى رفاقه.

كان هذا العمل البطولى المتهور فى آخر النهار، حيث كلا الفريقين أصابه التعب واسُتنفِد من القتال. ولم يكن هناك مزيد من الهجمات. فقد خيم الصمت على كلا المعسكرين.

كنا نتلقى الأخبار تباعاً على مدار اليوم. وفى المساء كان الرجال الجرحى يحضرون إلى "لورنتيوم"، يترنحون متهالكين فى الظلمة. البعض منهم لم يكن مصاباً، بل متعباً بشدة أو مفزوعاً، كانوا فارين من الحصار، من المعركة ولا يريدون مزيداً من القتال، هؤلاء كانوا "لاتينيين" مَنْ الذين يسكنون قريباً من المدينة أو لهم أقارب قاموا بإيوائهم فى بيوتهم. لم يكن هناك من بينهم "روتوليانيون"، ولا "إكوانيون" أو "فولسكانيون".

أحد مربى الماشية الملكية ويدعى أورسو جاء مصاباً بضربة سيف فى فخذه. سألته عن تيرهوس وأبنائه، شقيقى سيلفيا الباقيين. أخبرنى أنهم جميعاً فى القتال، كلا اليومين، وقال إن "الرجل العجوز يتصرف بوحشية، مثل الخنزير البرى فى ذروة الغضب، لكنه ممزق". لم يكن أورسو الرجل الذى أعرفه جيداً. كما إنه لم يكن يدرك من أكون، حتى اللحظة التى نادت فيها إحدى النساء باسمى. حينها حدق فى واحمر وجهه وتصبب عرقاً. استند إلى مرفقيه قائلاً: "هذا كله من أجل امرأة، من أجلك، لماذا لم تتزوجى بـ "آلمو" أو بالملك تورنوس؟ كل هذا القتل الذى يحدث من أجل فتاة".

سارعت المرأة نحوه لتشير إليه بالسكوت لأنه يسىء إلى، لكننى قلت: "اتركيه، لقد قاتل من أجلى". قلت هذه العبارة فيما شعرت بالاحمرار يندفع من وجهى من شدة إحساسى بالعار والغضب قلت: "لقد فعلت ما على فعله يا أورسو اعتدل قليلاً، وهو يحدق بى ثم قال: "جميعنا فعلنا ما علينا فعله".

قمنا بتحويل الفناء الخارجى لـ "الريجيا" إلى مكان للعناية بالمرضى. كان يغص بالجرحى، وبالنساء اللواتى يشرفن على العناية بهم. هناك تسمع همهمات وأنين خافت فى ضوء المصابيح المشتعلة فى الليل الدافىء تحت أوراق شجرة الغار. ظل جناح النساء مغلقاً. وأمى ظلت هناك. كانت قد أعطت أوامرها للحصول على الإمدادات بالمؤن حين تطلب ذلك. لكنها لم تكن تخرج من غرفتها أبداً طوال اليوم.

فى اليوم التالى، وفى الصباح الباكر قبل شروق الشمس، رأيتها تمشى وحيدة بخطوات واسعة تحت صف الأعمدة فى الجناح الملكى، كان فيروس يقف طوع أمرها عند الباب، حانياً رأسه. خرجت أمى استيقظت من غفوتى بجانب الجريح المحتضر، وتبعتها لم أكن أعرف لِمَّ فعلت هذا. ربما كان على أن أحمى أبى منها.

حين اقتربت من الممر سمعت صوتها فى غرفة أبى تحاول إقناعه بلطف فى البداية ثم صار صوتها يقسو ويحتد، كانت تقول: "مازالت هناك فرصة يا لاتينوس فالأجانب سيتم الانتهاء منهم اليوم، ولن يدوم

الأمر طويلاً. قائدهم فر بعيداً، خارج حدود النهر ولن يعود. أرسل إلى تورنوس أخبره أنه ابنك وزوج ابنتك ضع قوتك تحت تصرفه، لِمَ لا؟ أنت ستستعيد سلطتك، لماذا تتأخر؟ لماذا تظل مختبئاً فى الريجيا عليك أن تغادر وتراقب سير المعركة ينبغى عليك القيام بالضمانات التى تنقذ المملكة، هل تظن أنك ببقائك هنا سيأتى إليك الأجانب ويقدمون لك ولـ لافينيا الحماية؟ هل تظن حقاً بأنهم سيقضون على تورنوس كانت تلفظ اسم تورنوس بكثير من التعاطف.

كنت أقف فى الممر المعتم، بجانب الباب، وكان الجزء الداخلى من غرفة النوم معتماً جداً.

كان صوت أبى مثقلاً بالنوم حين قال لها: "ما الذى تريدينه يا أماتا ما الذى تظنين أنك تريدينه؟".

أريد أن تحافظ على ما تبقى من كرامتنا، تورنوس لابد أن يكون محرجاً من والد عروسته، لذا اخرج من هنا وتصرف مثل ملك، تصرف مثل ملك".

"وماذا على فعله؟"

كنت أحس بالخجل من سماعى ذلك.

"تصرف مثل ملك لمرة واحدة · وإن كنت لا تستطيع التصرف مثل ملك. إن كنت لا تعرف كيف يتصرف الملوك، انظر إلى تورنوس.

كان هناك صمت تام، ثم صوت لحركة ما، تحول إلى شجار فى الغرفة المظلمة، خرجت كلمة "آه!" حادة من أمى.

سمعت أبى يقول كفى، لكن بلهجة غاضبة، ثم تابع كلامه: "كفى. تورنوس ليس ابنى، أو ابنك. هو ليس زوج لافينيا أو زوجك. اذهبى إلى غرفتك الآن، واصمتى ولا ترسلى المزيد من المراسيل إلى تورنوس رجالى سوف يقومون بإيقافهم. وحتى لو انهزم الطرواديون، هذا لن يجعل تورنوس ملكاً على "لاتيوم" لن أجعله ملكاً على لاتيوم ولا أنت اذهبى الآن".

يبدو أنه كان يمسكها من ذراعيها، ثم قام بدفعها من غرفته، لقد جاءت تصرخ بوحشية، وها هى الآن تفشل فى الوصول لما أرادته. استدارت عائدة إلى مدخل الغرفة، لكنه قام بتهديدها بشىء ما؛ لأنها توقفت وراحت تضرب بقبضتى يديها وتنتفض بحركات عنيفة وهى تطلق النشيج والبكاء وسط الكلمات. لم أتمكن من فهم صراخها، صار يتحول إلى أنين مثل كلب مجروح، ثم ركضت مبتعدة خارج الممر. لم تشاهدنى وأنا أقف بالقرب من الباب. كنت أرتعش لذا لم أتمكن من التحرك. لكننى تمكنت من التحرك ببطء لأتجاوز العتمة عند مدخل الغرفة وألحق بأمى وهى تسير فى الممر المليء بالجرحى، والرجال المحتضرين، حيث السماء الباهتة تلقى بضوء خافت على المصابيح الصغيرة.

"ما اللحظة الأسوأ؟" فكر آينيس للحظة. "اللحظة الأسوأ كانت وأنا عائد فى النهر فى سفن الإتروسكانيين رجالى القلائل، وبعض اليونانيين الذين أرسلهم إيفاندر معى والإتروسكانيين من كايرى قدرت

الأمر أننا سنصل إلى المخيم عند شروق الشمس. لم أكن أعرف ـ طبعا ـ بالذى جرى، لكننى كنت قلقاً جداً طوال الليل. ظل ابن الملك ايفاندر الشاب بالاس يتحدث معى ويطرح على الأسئلة".

قلت: "عرفته حين كنا أطفالاً، لقد أخذنى إلى كهف الذئبة بالقرب من بالانتيوم.

كان صبياً لطيفاً وكان حتى الليلة التى سبقت معركته الأولى متأثراً جداً. مسكين هذا الصبى، مسكين إيفاندر... حسناً، فى تلك الليلة بالاس ظل يتحدث لكن الإحساس بأن ثمة شيئًا ما لا يسير على ما يرام كان يتصاعد فى داخلى. وصلنا إلى حافة النهر فى الوقت الذى بدأ فيه الهواء يتحول للوجه الرمادى. رأيت أشياءً تعوم أسفل النهر من حولنا، ظننت فى البداية أنها قطع خشب دفعتها العاصفة من أعلى النهر إلى هنا، لكن كلها كانت سوداء، كتل كبيرة تصطدم بمقدمة سفينتنا. كانت تلك الكتل عبارة عن أجزاء من السفن المحترقة. النهر كان مليئاً بقطع عائمة من خشب السفن المتفحمة.

تارشون، وآستور القادمان من كايرى وقفا إلى جانبى. سألنى آستور بعد هنيهة، هل هى لك؟ . أجبت بنعم. رأيت تمثال الرأس فى المقدمة لـ آيدا يمر. كان آشاتس معى هناك، وقال بعد برهة: لابد وأنه الأسطول كله وأنا أعتقد ذلك أيضاً".

"قلت: لا توجد جثث لأنه لم يكن هناك شىء إلا شظايا السفن. لكن لم يكن هذا مطمئناً. بدا كما لو

إنهم استولوا على مخيمنا، وأحرقوا السفن وذبحوا الناس.

قلت لـ تارشون: أخشى أن أكون أحضرتك للمعركة الخاسرة لكنه هز رأسه ثم قال: انتظر لنرى يبدو الإتروسكانيون أشخاصاً غرباء، إذ كما لو أن جزءاً منهم يعيش فى العالم الآخر، لذا أمسكنا الدروع فى حالة من التأهب. وما إن نزلنا من السفينة، اصطففنا عند حافة النهر الغاص بالخشب المحطم المحترق. كان بإمكان أى أحد أن يشم رائحة الحريق النفاذة.

"وما إن أشرقت الشمس حتى قمنا بجولة حول المكان رأيت حصننا، مخيمنا. السفن ذهبت لكن ما شيدناه على الأرض مازال موجوداً. كما يوجد رجال يقومون بالحراسة، وهم يرتدون خوذات طروادية. قفز قلبى من صدرى، رفعت درعى إلى أعلى بالقدر الذى استطعته وناديت على قومى بصوت مرتفع. شعاع الشمس الأول انعكس على الدرع البرونزى فأعطى وهجاً، حينها صرخ الرجال الذين يقومون بالحراسة ثم تعالت الصيحات منهم جميعاً. لم يموتوا لم يكونوا نائمين كانوا فى أتم استعدادهم، بعد ذلك لم أكن قلقاً أبداً لما يمكن أن يحدث".

أذكر كلمات آينيس، كما أذكر كلمات الشاعر. أذكر كل كلمة؛ لأنها النسيج الذى يشكل حياتى، الخيط الممدود الذى حاك قدرى. إن كل حياتى منذ موت آينيس، تبدو كما لو أنها نسيج ممزق من نول

لا يتوقف، خيوط متشابكة من دون شكل محدد، لكنها ليست كذلك لأن عقلى يعود دائما إلى البدايات، كما تعود إبرة الحياكة لنقطة البداية، تتبع النموذج وتعرف الطريق. كنت غَزَّالة، ولم أكن نسَّاجة، لكننى تعلمت كيف أنسج.

إن حكمى على تورنوس، أنه لم يكن بمقدوره النظر لما أبعد من اللحظة. فقد كان تجاوبه للطوارئ لحظياً، نشطاً كاملاً؛ لكنه أخفق واضطرب جداً فيما بعد وأُعيق عن تحقيق هدفه، وحصل هذا طبعاً حين تفوق آينيس. وفى الطوارئ، فى لحظة الاختيار، آينيس كان من الممكن أن يتردد، يضطرب، ينظر على النتيجة، يتمزق بين المطالبة بالحقوق والإمكانات: يتلمس طريقه نحو قدره عبر تردده المعذب، وظل هكذا حتى وجده، حينها قام بالاختيار الذى صنعه. وبينما كان يعمل كان هدفه ثابتاً. كان عليه أن يناضل ليتغلب على هذا الأمر كله. وكانت القضية التى ظلت تلاحقه فى وعيه بأنه لم يقم بالاختيار المناسب.

لكن تورنوس لم يكن ينظر إلى الوراء أبدًا كما لم يكن ينظر إلى الأمام، أظن أنه كان جسوراً حقاً: لكن رجلاً من دون مخاوف هو رجل يفتقر إلى الحس الإنسانى. يتبعه الرجال لأنهم ينجذبون لبريق جرأته، لكنه لا يمنحهم رعاية حقيقية. يتعامل مع الأحداث كما تأتى، لذا فإن الحياة قد تصيبه بصفعات وانهزامات، حينها يفقد الرؤية لما ينبغى أن يفعله، لذا من الممكن أن ينقض العهد مرتين من دون أدنى تفكير.

لذا يترك المعركة أكثر من مرة، تاركاً جنوده من دون مرشد. وفى النهاية عندما كان عليه مواجهة ما لا مفر منه، بدا أنه يتصرف فى حال من الهلع. لكن هذا لم يكن بسبب الخوف بل بسبب اضطراره لتصفية الحساب عن تهوره.

آينيس الذى لم يكن يسامح نفسه لم يوافقنى على هذا الحكم الشخصى. كان يقول عن تورنوس فقط عبارة، "لقد كان شاباً".

وبأى معدل، فإن تورنوس يمكن أن يسمو إلى غير المنظور. فقد جذب الروتوليين وحلفاءهم نحو سفن الأتروسكانيين التى تكتسح النهر مع شروق الشمس. وكان جاهزاً بقوة لمقابلة آينيس وحلفائه، حينما ينزلون إلى الأرض.

لم ترس بعض السفن قرب مخيم "الطرواديين" لأن التيار الهوائى دفعها إلى الشاطئ بعيداً. ونزل منها الرجال بمغارة كبيرة لأن رجال تورنوس كانوا يترصدونهم. لكن آرشيرز ومن معه من الرجال أمطروهم بوابل من الرماح. كما خرج "الطرواديون" من مخيمهم ليدافعوا عنهم. إن كثيراً من الإيطاليين، الطرواديين، اليونانيين، والإتروسكانيين لم يشاهدوا شمس ظهيرة ذاك الصباح، فالقتل كان مستمراً ومستمراً. كانوا يتقاتلون عند أعلى ضفة النهر، فوق المروج الخضراء وعبر الشجيرات الصغيرة قرب الشاطئ. كان الطرواديون يقاتلون بشجاعة بعد عودة قائدهم، وآينيس كان يحميهم من أى هجوم وحشى من الممكن أن يهزمهم، وعلى الرغم من الإمدادات

الجديدة، فقد كان عددهم كبيراً. أخبرنى سيريستوس أنه حرص على إبقائهم فى حالة دفاع جيدة بالقرب من مخيمهم ومن سفن "الإتروسكانيين"، لذا كانوا يقومون بالتراجع لو احتاجوا لذلك، واستمرت المعركة فى ذلك اليوم الحار من شهر يونيو ساعة تتلوها ساعة، ورجل مقابل رجل.

كان تورنوس غاضباً من تحالف إيفاندر مع "الطرواديين" ضده. وما إن رأى بالاس ابن إيفاندر يتبارز مع الشاب لاوسوس، حتى رآها فرصة مناسبة للانتقام. صرخ بأن هذه معركته ودفع لاوسوس للابتعاد. قام بالاس بمحاولة شجاعة للقتال، لكن تورنوس قتله بضربة من رمحه البرونزى الطويل الذى اخترق جسد بالاس عبر الدرع ثم وقف تورنوس فوقه، وقال :"أرسلوه إلى والده الخائن بالطريقة التى يستحق أن يحصل بها عليه"، واضعاً قدمه فوق الولد المحتضر، ثم نزع بالقوة سلاح بالاس ودرعه الذهبى ومزق رداءه عن كتفيه. ومشى بخطوات واسعة مشية المنتصر وهو يرفع الرداء فى الهواء ويضحك.

عندما سمع آينيس بما جرى تملكه غضب عارم، طلب من سيريستوس أن يحرص على بقاء "الطرواديين" مجتمعين، ومضى يبحث عن تورنوس. كان يقتل الرجال طوال طريقه يميناً ويساراً بقسوة، ومن دون توقف. إنه الآن الكلب المجنون وسط قطيع الأغنام. هرب "اللاتينيون" من أمامه، كما فر الطرواديون من "تورنوس" فى المخيم.

لكن تورنوس نفسه لم يكن موجوداً، اختفى بعد أن قتل بالاس. ولم يعرف أبداً أى رجل تحدثت إليه ما الذى صار إليه خلال الساعة الطويلة التى طارده فيها آينيس خلال ميدان المعركة، يتحداه أن يأتى لقتاله. من دون شك أنه كان يأخذ قسطًا من الراحة، يلتقط أنفاسه فى مكان ما عند أعلى تل أو فى الظل، لكنه اختار وقتاً غريباً ليفعل هذا.

لكنه ميزينتيوس، الطاغية الإتروسكانى العجوز الذى واجه آينيس وجهًا لوجه. الرجال الذين شاهدوا معركتهما وصفوها بأنها كانت متعادلة، لكن آينيس أصاب الرجل العجوز برمح فى فخذه. تجمع رجال ميزينتيوس حوله وحملوه وهو يئن على أحد الخيول، بينما ابنه لاوسوس يغطى انسحابه. تقدم لاوسوس بشجاعة من آينيس وبعد صرخات غير مجدية ومن دون محاولة للهجوم، قتله آينيس بضربة واحدة من سيفه. وقام بعدها باللحاق بـ "ميزينتيوس" إلى ضفة النهر، وعندما أبلغوه أن ابنه قد مات، استدار الطاغية العجوز ونادى على آينيس: تعال، إذاً! بماذا يفيد موتى الآن؟" التفت نحو آينيس، وقال له: "تعال، اقترب، ماذا يعنى موتى الآن؟". ضرب آينيس الحصان فى مقدمة رأسه، بين عينيه، سقط الرجل العجوز الجريح من أعلى الحصان يصرخ مثل الدب حتى قام آينيس بقطع عنقه.

العديد من الإيطاليين ممن شاهدوا المعركة تساءلوا لماذا يكون ميزينتوس وليس تورنوس من يقاتل قائد الطرواديين؟

مضت ذروة الغضب من آينيس بعد ذلك. عاد إلى المكان الذى يرقد فيه بالاس، وأعطى أوامره باكياً، بأن يغطى جسد الشاب ليُحمل إلى والده إيفاندر مع حرس الشرف، وليس مع العبيد للتضحية بهم، كما قال الشاعر؛ لا أعرف كيف أمكن للشاعر التفكير أن شعبه من الإيطاليين من الممكن أن يقترفوا مثل هذه الأفعال البربرية. ربما بإمكان اليونانيين القيام بذلك. وعلى الرغم من أن كل أغانى الشاعر كانت حقيقة وتكون حقيقية، لكن هناك خطأ بسيطاً فى تلك الحقيقة. وها أنا أحاول تصحيح هذه الأجزاء الممزقة ضمن النسيج الكبير على الأقل فى الجزء الذى يتعلق بى. إذًا حينها سحب آينيس رجاله من الميدان. وكان الإيطاليون قد انسحبوا أيضاً، ليس إلى حدود السياج الذى يحيط بمخيم الطرواديين، بل تراجعوا أميالا نحو المدينة.

كانت لورانتيوم نفسها مليئة بالرجال الجرحى واللاجئين فى كل مكان، كانت هناك مشاهد استنزاف واضطراب وافتقاد للهدف، لكن حين ظهر تورنوس لم يكن مبالياً بكل ذلك، بل تجول عند بوابات المدينة ممتطياً جواده الجميل، وفى يده سوط يلوح به فى الشارع قبل وصوله إلى الريجيا، يمشى خطوات واسعة، وسيماً ومبتسماً منتصباً وعريضاً، وعلى رأسه خوذته المريشة. كان سيف بالاس الذهبى مثبتاً عند كتفيه. راقبته من برج مراقبتى، وهو يصل مع ميسابوس، وتوليمنيوس، العَرافَين "الروتاليين". حينها

شاهدت أمى تُسرع عبر الممر نحو غرف الاستقبال تشق طريقها حول الأسرَة الموضوعة للرجال الجرحى، نزلت حينها إلى الطوابق السفلية. لم يكن أبى فى جناحه، فقد خرج من مخبئه ليقابل تورنوس والقادة الذين معه. كنت مسرورة من ذلك. هناك الكثير مما ينبغى فعله لأهل الريجيا، وكان هذا الأمر يشغلنى طوال المساء، حتى وجدنى درانسيس فى غرفة الخزين.

الآن، أنا لم أكن أحب درانسيس كثيرًا. فهو لم يكن مثل المزارعين المحاربين الذين شكلوا حلقة من الأصدقاء والمستشارين حول أبى. كان لطيفاً مرناً ومتعاطفاً. لم يكن يلقى بآرائه جزافاً مثل صخرة على الطاولة كما كانون يفعلون. لم يكن يتحدى أى شخص. آراؤه كانت تبدو موزونة بدقة وخفة ومدفوعة عبر كلمات رقيقة يعرف من خلالها كيف يصل لهدفه. كان رجل مدينة سياسياً محنكاً. بالنسبة إليه لم نكن أنا وأمى مهمتين أو نشغل موقعاً تكتيكياً خطيراً. وينبغى أن تتم السيطرة علينا. كان يرى النساء كما يرى الكلاب أو الماشية، أعضاءً فى أنواع أخرى، لا يؤخذون فى الاعتبار إلا فقط حينما يكونون مفيدين أو خطرين. كان يعتبر أمى خطرة، أما أنا فلا أستحق الاهتمام حتى الحد الذى أصير فيه مفيدة.

فى النتيجة كان لديه إدراك حاد حول العلاقات أكثر من قدرة النساء وأكثر من الكثير من الرجال. كان يعرف أننى أخاف من أماتا، وأننى أركض بعيدًا عنها

وأتوارى فى الأجنحة الملكية. كان يعرف أنها تحب تورنوس، وأننى لا أحبه، وأنها تشاجرت مع أبى. كل هذا كان بمثابة القمح الذى سيطحن فى آلته. لقد كان معارضاً باستمرار لخطوبتى من تورنوس، أتوقع لأنه رأى فى تورنوس ما يهدد قوة لاتينوس بخاصة وأنه مدعوم من أماتا المحابية له، وكان على تنافس مع رجولة تورنوس التى يزدريها ويود أن يعيق كل خططه. وما إن خرجت من غرفة المخزن، حتى أوقفنى قائلاً بصوت خافت لا يسمعه أحد، يا ابنة لاتينوس لا تخافى أن يعطيكى أبوك إلى الروتاليين ملكنا لن ينقض العهد، ولن يكون هناك زوج مدنس، كونى مطمئنة. ثقى بى".

شكرته، وعينانى منخفضتان، أعرف ما يفكر به عنى، الفتاة التى لا تدرك شيئاً. اللا أحد الذى يتقاتل الجميع من أجله.

لكن فى مطلق الأحوال، كنت شاكرة له على ما قاله. على الرغم من أن الحرب سارت على غير المسار الذى توقعوه جميعاً، والعديد منهم عانى من نقض المعاهدة، ومن الاستهزاء بالنبوءة، إلا أن معظم شعبنا ظل مؤيداً للملكة، ولبطلها المحلى الذى قاوم الأجانب. وافترضوا أنه مهما كان اختيار أهلى فإنه سيكون اختيارى. وتركنى ضعف أبى وحيدة معزولة؛ ليس هناك من أحد يمكننى الوثوق به، وإبلاغه الحقيقة لا يمكن لأحد أن يسمعنى أتكلم من قلبى. "مارونا" كانت وفية إلى حد كبير، لكن لم يكن بإمكانى أن ألقى

حمولتى على كتفيها. كانت تعرف ما ينبض فى قلبى لكن لم يكن بإمكاننا الحديث بحرية.

فى اليوم التالى صباحاً، أرسل لاتينوس الرسل إلى معسكر الطرواديين طلباً للهدنة، وذلك لإقامة الشعائر، ولدفن الموتى. كانت الجثث ملقاة على حافة النهر على الأرض لمسافة ميل.

كان درانسيس واحداً من المبعوثين وعندما عاد إلى لورنتيوم، طلب رؤيتى لإبلاغى بما تم بشأن الهدنة. قال: "أبلغنا قائد الطرواديين بما أن خلافه بالتأكيد ليس مع الموتى، فإنه لا يمانع بدفن القتلى بشكل لائق، بخاصة وأنهم من الممكن أن يكونوا من المُضيفين من أصهارهم. أجاب فى الحال: 'أنت تطلب السلام من أجل الموتى: أود أن أمنحه للأحياء لو كان باستطاعتى! لماذا نحن فى حرب؟ إذا كان تورنوس لم يحترم معاهدة الملك ويريد أن يطردنا خارج "لاتيوم" إذًا دعه يواجهنى وحيداً وسيفه فى يده. نحن - الاثنين - يمكننا أن نوفر كل هذا الكم من الموت! آه، كان عليك أن تشاهديه وهو يقول ذلك. يا له من رجل - الرجل الذى وُعِدت به!".

"لقد رأيته".

فاجأت هذه العبارة درانسيس. وحملقت عيناه.

قلت: "لقد راقبت معسكر الطرواديين من التل قبل أن يخيموا بيوم، آينيس رجل طويل، مع صدر عريض، ويديه كبيرتين. يتكلم غالباً بعذوبة. عيناه مليئتان بالنيران والدخان، لأنه شاهد مدينته تحترق".

واصل درانسيس تحديقه بى. الكلب قد تكلم.

قال أخيراً: "أنت تقولين الحقيقة يا ابنة الملك".

نظرت إلى مغزلى وتركته يسقط من يدى، وتعقدت خيوط الصوف عندما سقط. "استمر من فضلك أخبرنى ماذا حصل بشأن المفاوضة؟"

جذب درانسيس نفسه، وتابع كلامه. أخبرنى أنه شكر آينيس، ووعده بأن يعيد التذكير بالمعاهدة مع لاتينوس. "قلت له 'دع تورنوس يسعى للحصول على حلفاء، نحن سنساعدك لكى تعيد بناء مدينتك طروادة هنا معنا!' واتفقنا على هدنة مدتها اثنا عشر يوماً. والآن أصبح الطرواديون يعرفون أن تورنوس ليس هو حاكم لاتيوم أظن أن ما تم اليوم هو عمل جيد. أشك أن يذهب شعبنا إلى الحرب من جديد، مهما قرر تورنوس، وميسابوس، أن يفعلا".

تمتمت: "هذا ما ينبغى على الملك أن يقرره".

"فى الحقيقة، فى الحقيقة، لافينيا أبوك لن يتحدى النبوءة".

فكرت أنه يسلم بصحة ذلك كثيراً، انحنيت قليلاً لتحيته وابتعدت. ربما هو الذى ربى الكلب، لكن الكلب امتنع عن هز ذيله.

خرج الناس من المزارع والبيوت بعد ظهر ذاك اليوم للبحث عن أبنائهم وآبائهم الموتى فى ساحة المعركة. أحضر البعض جثث القتلى لغسلها والحزن

عليها ومواراتها التراب. آخرون قاموا بالطقوس الجنائزية لحرق الموتى حيث هم. لذا فى ذاك المساء كان هناك كتل من النيران تتجمع فى الحقول الشمالية فى لورنتيوم، حيث عتمة الدخان تطاول النجوم. جميع الحطابين من لاتيوم أحضروا أخشاباً من الغابات. وفى اليوم التالى أقيمت محرقة كبيرة خارج أسوار المدينة للرجال الموتى الذين يعيشون بعيداً، ولا سبيل لنقلهم إلى بيوتهم وقيام أهاليهم بدفنهم. استمرت عملية الحريق طوال اليوم. الحزن ظل مخيماً على المدينة ثقيلاً ومعتماً مثل دخان المحرقة.

تم إبلاغنا أن الطروادين سيقومون بحرق جثث موتاهم عند شاطئ النهر، وعرفنا ممن حضروا مراسم الموت أن الرجال الشباب كانوا يركضون حول المحرقة ثلاث مرات، ثم يتبعهم رجال يمتطون الخيول يعدون أيضا ثلاث مرات، بينما الناس ينوحون بصوت مرتفع ويقذفون صدفات المحار. أما المحاربون فإنهم يقذفون فى النار الأسلحة التى استولوا عليها من أعدائهم. كانت طقوساً مختلفة عن طقوسنا، لكنها على أية حال مقبولة. وليس فيها أى شىء غريب.

الأيام التى تلت ذلك بدت مثيرة للاهتمام ومحملة بالفضول وساكنة. كنا نرعى الرجال الجرحى فى الريجيا، وفى كل البيوت فى لورنتيوم. البعض منهم شفى وآخرون ماتوا. لم تأت خلال هذه الأيام أية كلمة من الطرواديين. من المؤكد أنهم كانوا

ينتظرون ليسمعوا ماذا سيكون ردنا على آينيس فى عرضه لمواجهة تورنوس بمفرده، وأيضا بشأن تجديد المعاهدة. لكن أبى لم يرسل لهم أى رد، كان مثل شعبه غير واثق مما يفعله.

درانسيس كان متأكداً أن ما قاله آينيس قد بات معروفاً فى كل مكان، والعديد من الناس فى لحظات غضبهم الحزين كانوا يصفون هذه الحرب بأنها ملعونة. إنها خطيئة تورنوس. لقد نقض العهد الذى قطعه الملك لاتينوس. إذا كان تورنوس يريد ابنة الملك، إذن لندعه يكسب القتال يداً بيد. يجب على واحد أن يفدى الجميع. لكن كان هناك الكثير ممن يخافون الأجانب. يقولون، إن هذه الحرب قامت لخلاصنا، لأن الطرواديين وحلفاءهم جاءوا لاحتلال أرضنا، والملك لاتينوس سيحافظ على لاتيوم فقط عبر إرساله "تورنوس" وقواده ليدمروا الغزاة أو يطردوهم بعيداً.

عندما استدعى لاتينوس مستشاريه، وجاءوا إليه مع ذات الانقسام فى التفكير. واجتمعوا وسمعوا أخباراً سيئة عن ديوميدوس اليونانى الذى أسس مدينة فى الشمال، والذى أرسلنا إليه فى طلب إمدادات، لكنه رفض، وأخبر مبعوثنا بكل تهذيب بأنه من الحماقة أن تساند الطرواديين. قال: "لقد قاتلناهم لمدة عشر سنوات، وعلى الرغم من أننا انتصرنا عليهم، فكم منا قد رجع إلى بيته؟ انتصارنا جلب إلينا تدمير أسطول السفن، الموت، والمنفى. آينيس ليس رجلاً عادياً. لقد أحضر آلهته معه. احرصوا على

السلام، وحافظوا على اتفاقيتكم معه. اغمدوا سيوفكم!".

كنا نحضر المجلس أنا وأماتا. نجلس بعيداً فى الظل خلف عرش لاتينوس المحجوب عن الأنظار. كانت معنا الأميرة جوتورنا شقيقة تورنوس التى جاءت من أرديا لتكون معه. كانت جميلة جداً، عيناها زرقاوان مثله، لكن عينيها تبدوان غريبتين تحدقان إلى هذا العالم عبر حدقتين من الماء. كانت قد نذرت نفسها أن تظل بتولا كما يقول الناس. البعض قال: إنها فعلت هذا بسبب النهر جوتورنا الذى أخذت اسمها منه، فيما آخرون، قالوا إنها خُطِفَت وهى طفلة ومنذ ذلك الحين لم تتكلم إلى أى رجل فيما عدا أخيها. لا أعرف الحقيقة بين كل هذه القصص. كانت تتحدث معنا بأدب جم ونعومة تنادى أماتا عمتى، وأنا ابنة العمة. وتجلس معنا لتسمع ما يدور فى المجلس وكانت تغطى رأسها وكتفيها بخمار نصف شفاف.

عندما جاء المبعوث الذى ذهب للملك اليونانى انهمك المستشارون فى تمتمة ثم فى نقاش، ثم ارتفع صياحهم. لكن الملك وقف رافعا يديه قليلاً، تاركاً راحة كفيه مفتوحة فى حركة مناشدة استجابوا إليها جميعاً. أحنى لاتينوس رأسه وساد صمت عميق. جلس على مقعده المرتفع، وتكلم مرة أخرى: "أرغب فى أن ننهى هذه المسألة المهمة قريباً! ربما الأفضل ألا نجتمع فى هذا المجلس بينما العدو على الأبواب. ياشعبى نحن نقاتل فى حرب ظالمة ضد عدو لا يهزم،

لأنهم يتبعون إرادة الأرض والسماء، بينما نحن لانفعل. لقد نقضنا اتفاقيتنا معهم، نحن لا نستطيع أن نهزمهم. أعرف أن عقلى تتجاذبه أفكار مختلفة. لكننى واثق الآن. هذا ما اقترحه دعونا نعطيهم الأرض التى امتلكها خارجياً فى ما وراء سيكانيا كل تلك التلال القاسية، والمزارع الموجودة هناك وغابات الصنوبر ونشاركهم مملكتنا. أو إذا أرادوا الرحيل فإننا سوف نبنى لهم السفن التى أحرقناها. دعونا نرسل لهم مبعوثاً محملاً بالهدايا ليوثق المعاهدة. فكروا جيداً بما قلته. واتخذوا من هذا الحدث فرصة لإنقاذ شعبنا من الهزيمة!".

خيم الصمت لكنه لم يكن صمتاً بارداً. كانوا يدركون أن ملكهم رجل شجاع محارب لا يتنازل بسهولة. كما أنه ورع، تلقى كلمات محددة على شكل نبوءة، ويرى أنها يجب أن تُنفذ. كانوا جميعًا يفكرون بكل هذا.

لسوء الحظ، قام درانسيس، وبدأ بالكلام. كان يتكلم بحماس وطلاقة كما فى العادة، لكن هذه المرة مع حقد ملتهب، توجه بكلامه إلى تورنوس مباشرة. قال لـ"تورنوس"، إن هذه الحرب صنيعته، وإن الهزيمة ستكون صنيعته أيضاً. والآن الأمر يعود له فى وضع حد لكل هذا ـ ما لم يكن مأخوذاً بالمجد وبشهوة الحصول على ما تمتلكه ابنة الملك، لأنه يظن أننا سنمكنه من قيادة جيوشنا، "تاركاً حياتنا عديمة القيمة مبعثرة بين الحقول، ندفنها تحت الأرض، غير

مأسوف عليها. لكن لو إنك تملك الشجاعة حقاً فلماذا لا تواجه الرجل الذى تحداك؟!".

أمام هذا الكلام تورنوس انفجر بالغضب، ودعا درانسيس بالجبان الذى لم يطأ أرض المعركة أبداً، لسانه فقط يتحدث عن الشجاعة بينما قدماه تفران بعيداً. إن حلفاء اللاتينين لم يهزموا بعد! ألم يحدث أن امتلأت مياه نهر تايبر بدماء الطرواديين؟ ربما يكون ديوميدس اليونانى خائفاً من آينيس، لكن ميسابوس لم يكن كذلك، وتولومينوس لم يكن خائفاً، ولم يكن فولسكيانس يعرف ما الخوف. "وهل تحدانى هذا البطل ليواجهنى منفرداً؟ أتمنى أن يفعل ذلك ربما أستطيع بموتى تهدئة القوى الغاضبة أو أتغلب على الموت بكسب شهرة شجاعتى وأكون أفضل من درانسيس.

علت دمدمة تطرى على هذا الكلام من قبل المستشارين القدامى، لكن لاتينوس، اعترض على ما يحدث ليوقف تبادل المباهاة والتحقير، وأيضاً كى يتكلم من جديد، حينما اندفع رسول راكضاً من أمام الحارس فيروس، ليصرخ قائلا: "إن جيش الطرواديين يتقدم إلى المدينة". وتبع الرسول رسل أخرى، ومن خلال أبواب الغرف المفتوحة بدت الضجة والذعر الذى خيم على الناس مثل قطيع من الإوز أو البجع يصيح ويكاكى منزعجاً فى المستنقعات.

استغل تورنوس هذه اللحظة دون أى تردد صرخ: "الحرب، هل سنجلس هنا نمتدح السلام بينما العدو

يهاجمنا؟" وأسرع إلى الخارج لينادى على قادته يأمرهم بالدفاع عن المدينة، وبأن كل من يرغب بالدفاع عليه اللحاق بهم. لاتينوس لم يكن يستطيع إيقافه حتى لو أراد ذلك لكنه لم يقم بالمحاولة جلس على عرشه دون أية حركة بينما انحل المجلس وأسرع المستشارون إلى الخارج ليشاهدوا ما يحدث. حاول درانسيس الكلام معه، لكن لاتينوس لم يعطه اهتماماً. أمره بحركة من يديه أن يظل بعيداً. وفى النهاية خرج وسار مبتعداً ليمر من أمامنا نحن النساء ليتجه إلى جناحه. لم ينظر نحونا أو يتكلم أية كلمة.

أمسكتنى أماتا من يدى.

بدون تفكير وكما لو أن لمسة يدها من نار أو جليد، سحبت يدى بسرعة بعيداً عنها، ووقفت قبالتها جاهزة للمواجهة أو للهرب لو حاولت أن تلمسنى ثانية.

وقفت تحدق بى.

قالت أخيرا بكل رعونة: "لن أؤذيك".

قلت: "لقد آذيتنى بما فيه الكفاية، ما الذى تريدينه؟"

تكلمت بهستيرية، وهى مازالت تحدق بى، كما لو أنها بالكاد تعرفنى. "فكرت - أظن أنه يجب أن نظهر للناس عند مذبح "لار الروح الحارسة".

كانت على حق. بما أن الملك مختبئ والعدو على الأبواب، فإن الناس يحتاجون فى الحال إلى ما

يطمئنهم أن كل شىء على ما يرام فى العائلة الحاكمة، والقوى التى تحمى المدينة. هززت رأسى موافقة. استدرت نحو جوتورنا، وقلت لها: "أنت ستأتين أيضاً". لم يكن من حقى إعطاء الأوامر لأخت الملك لكنها تبعتنا دون أية كلمة وهى تضع وشاحها الرمادى حول رأسها.

ذهبنا إلى الخارج. ومشينا عبر الشوارع نحو الضريح الذى تسكن عنده الروح الحامية للمدينة. خلال مسيرتنا انضمت إلينا النساء، جئن من كل بيت. خرجن راكضات فى الشوارع. وعندما رجعنا إلى القصر، كان هناك حشد كبير من حولنا. سارت أماتا فى المقدمة مشعلة البخور، لكننى كنت أنا من وقفت مع الملك أمام هذا المذبح مائة مرة، وكنت أنا التى عرفت وتكلمت الكلمات التى اعتاد قولها عندما يقوم بواجبه فى المذبح مقدماً طاعة شعبه للروح الحامية "لار"، والقوة الباعثة على الحياة حامية الحدود والتخوم والمدينة ذات الأسوار، مكاناً لشعبنا.

النساء من حولنا أحنين رءوسهن، أو ركعن على ركبهن. أما الناس فقد احتشدوا فى الشوارع وفى أعالى الأسوار والأسطح يستمعون بصمت تام.

أحسست فى داخلى بتدفق محبتهم وثقتهم. غمرنى سيل من الأحاسيس جعلت عقلى يحس بالثقة، ثم أمدتنى بإحساس بالعظمة، وبأننى شخص جدير بالثقة. كنت ابنتهم، ضمانهم من أجل المستقبل الفتاة

الضعيفة التى يمكنها الكلام عنهم للقوى العظمى. مجرد دليل على مقايضة سياسية وأيضا إشارة إلى القيم الصحيحة بالنسبة إلينا جميعاً. وقفت بين شعبى بصمت عندما أُقيمت الطقوس. جميعنا كنا هادئين مثل عصافير تقف بالمئات مساءً عند شاطئ البحر، تبدو كما لو أنها تقوم بالعبادة معاً.

هكذا كان بإمكاننا الاستماع للصياح المرتفع خارج الجدران ـ هدير واصطدام وتدافع وصهيل وصراخ. تدافع حوافر الخيل والأقدام. صيحات جيش جاهز للحرب.

إن الذكرى الجميلة للناس خلال العبادة فى ضريح "لار"، الإلهة الحامية للشعب، شكلت مواساة ودرعاً واقياً بالنسبة إلىّ، بخاصة فى الأوقات العصيبة الحالكة التى تلت ذلك. ولم يكن بإمكانى الاختباء والعزلة عن مشاعر العامة من الناس. فكانت طوق النجاة الذى يحملنى، وكانت شجاعتى تُستعاد عبر تلك المشاعر.

ومع ذلك لم يكن هناك كما يبدو أى سبب يجعلنى أشعر بتلك الثقة. وبدا أن أى أمل فى تحقيق النبوءة، أو فى اتباع قدرى، كما قال الشاعر، قد فُقد تماماً حين اقترح أبى التهدئة مع الطرواديين، عبر منحهم أرض أو بناء السفن لهم. لم يتكلم عن الجزء الخاص بى فى تلك الاتفاقية، بدوت كما لو أننى شىء غير جدير بالذكر. إن أمى نفذت ما أرادته ـ الحرب على

الأجانب تحت سيطرة تورنوس الذى سيطر على ملك البلاد وعلى ابنة الملك. فى النتيجة أرادت هى العودة إلى "الريجيا" مع ذات النظرة الوحشية على وجهها وقامت بعزل نفسها فى جناحها أما أنا فقد أدركت الكثير من خلال عزلتى، وجدت المودة فى عيون الناس فى الشارع. النساء فى بيتى كن يلفظن اسمى بمحبة، أحسست أننى مُرحب بى، وأننى محمية. عاد بيتى ليكون لى من جديد حتى لو كان تحت الحصار.

ذهبت إلى جناح الملك وتحدثت معه باختصار. بدا عليه التعب وتقدم السن. عيناه حمراوان ومنتفختان. طلب منى القدوم لإبلاغه بالأخبار المهمة، ومن ناحية أخرى لإدراكى أنه ليس على ما يرام طلبت منه أن يرتاح وينام. قلت إننى وفيروس سنلتقى بالرسل، وأننى سآتى إليه فى حال احتاج للظهور؛ لذا أمضيت شطراً من ذاك النهار فى البهو الرئيس وعند بوابات الريجيا مع جايوس ومن معه من رجال حراسة الملك، وذلك كى نتلقى رسائل المعركة وأخبارها.

كان هناك تزايد فى عدد الرجال والأخبار بين المدينة وساحة الحرب، حيث الفولسكانيون واللاتينيون يخوضون المعركة تحت قيادة ميسابوس وقادة الفولسكانيين. أرسل سكوتس ليبلغ أن آينيس دفع الخيالة والأتروسكانيين إلى التقدم، بينما هو قاد من تبقى من قواته إلى أعالى التلال فى شمال المدينة قال فيروس، إنه بدا كما لو أن هدفه هو الإحاطة

بجيشنا من الجانبين. لذا قاد تورنوس الروتاليين إلى أعلى التلال، وفى نيته أن ينصب كميناً للطرواديين فى نهاية كلا الطريقين. عرفت المكان، إنه ممر، جولو، كما كان يسميه الرعاة، ممر ضيق ومعتم. ومن الممكن للجيش أن يدخل به ويقع فى الشرك.

مثل هذه الأخبار كانت تأتينا على التوالى. فى الصباح أو بعد الظهر دون توقف. تركت فيروس على أهبة الاستعداد عند البوابات الأمامية، وأسرعت إلى برج المراقبة، فكرت فقط أن ألقى نظرة.

وقفت عند الحاجز فوق الأسطح قرب الجدران التى تطل على ساحات التدريب، والحقول الشمالية. بدت القوات المسلحة لـ"الفولسكانيين" فى صفوف غير منتظمة خلف المتاريس الترابية، يرتدون خوذاتهم السوداء المريشة ويحملون دروعهم الرخيصة. كانت الخيول تتململ، ومن يمتطونها تركوها ترقص وترفع ساقيها الخلفيتين. كان آرشيرس ورجال كثيرون معه يرفعون الرماح فى مواجهة الفولسكانيين، البعض منهم كان يتململ مثل الخيول، وآخرون بدا عليهم الضجر. تركوا رماحهم على الأرض وراحوا يتجاذبون الحديث فيما بينهم.

يتمكن المرء من خلال برج المراقبة أن يلقى نظرة واسعة على المدينة، ونحن نقف هناك، من الممكن أن نكون أول من رأينا وميض الأطرف المعدنية عند أطراف الرماح فى الحقول الشمالية.

ظهر عبر المزارع صبى يمتطى مهرة. كانت المهرة بيضاء والصبى يصرخ. لم أكن قادرة على سماع كلماته لكنه حتما كان يقول: "إنهم قادمون" . وهم قد أتوا .

كانت تبدو جميلة جدًا تلك الرماح اللامعة المرتفعة. هناك تحركت بسرعة مقتربة. كان الهواء يهتز مع وقع أقدام الخيول التى تضرب الأرض مثل الطبول. كل صفوف الرجال انسحبت نحو مقدمة المدينة، السيوف والرماح ترتفع تحت أشعة الشمس، والخيول بدأت تصهل وتتحرك وتقاوم الأعنة. عند ذلك سمعنا صوت البوق وطبول الحرب الذى يطلقه الإتروسكانيون كدليل للمعركة. صوت عميق وخشن وآخر ناعم وواضح. المهاجمون أتوا المدافعين وقفوا بثبات: وللحظة بدا كما لو أن كل شىء سيتوقف، سيتجمد ساكناً . ومع الدوى المرتفع وصيحات الرجال والرماح والسهام التى تنطلق من الجانبين، خيمت عتمة سريعة على الجو، وعبرت بين كلا الجيشين. وتحت وابل من السهام الحديدية التقوا وجها لوجه، رجال يسيرون على أقدامهم فى مقابل خيالة. جسد فى مواجهة جسد .

إننى أخبرك ما شاهدته كما شاهدته تماماً، وليس كما فهمته. رأيت الرجال يندفعون نحو المدينة يقتربون من البوابات. ظننت أنهم المهاجمون. لم أفهم لماذا فجأة بدءوا يستديرون ويركضون للخلف تجاه الرجال الآخرين الذين ما إن قابلوهم، قاتلوهم،

سيوف ترتفع وتسقط. ركض الرجال بعيداً عن المدينة يحملون دروعهم خلفهم أينما ركضوا. وركض معهم الرجال والخيالة، وتبعهم رجال آخرون، حتى استدار فجأة هؤلاء المُطاردون، وارتفعت السيوف من جديد فى ضربات إلى أعلى وأسفل. وكانت هناك ضجة مخيفة من الرجال الذين يصرخون. كل هذا حدث مرة أخرى. كان الأمر مثل أمواج البحر التى تقترب من المدينة وتغسلها. لكن الرزاز المتطاير هنا كان معه غبار سميك ومعتم، غبار الصيف. بعد ذلك لم يكن هناك كر وفر، بل حماس وأزواج من الرجال يقاتل أحدهم الآخر بالسيوف فى الغبار، يلقون ويدفعون بالرماح الثقيلة على بعضهم البعض. والدماء تتدفق حيث يضرب السيف وحيث يضرب رأس الرمح. مارس، مافورس، ماكتى، إلى آخر أسماء إله الحرب. لا أعرف إلى متى سيستمر كل هذا. وقفت أمسك بمتراس المنصة، وكانت مارونا وبقية النساء معى، فيما قسم آخر من النساء يقفن فى الخلف مع الأطفال، ينتشرن على كل السطح وإلى جانب الجدران، يراقبن الرجال يقتلون الرجال.

عادت زمجرة الأبواق من جديد. وخرجت جماعة من الخيالة نحو الحقول. كانوا يتحركون مثل كتلة كبيرة من الظلال عبر المحاصيل الناضجة، وعبر ممرات المقاطعة، خلال المنحدرات الحارة المليئة بالضوء والغبار. وقبل أن تتحرك تلك الكتلة، انسحب الفرسان والرجال فى المقدمة إلى الوراء وبسرعة

شديدة شملتهم جميعا تلك الحركة: كانوا يستديرون ليعودوا إلى المدينة، "الفولسكانيون" يعلو رءوسهم الشعر الأسود للحصان، أسرعوا نحو الأسوار. كلا الجيشين، كل الرجال الذين كانوا هناك فى الحقول، ركضوا نحو الأسوار وسط غيمة من الغبار كانوا يختفون خلفها، والغبار الناعم الذى ظهر فى الأرض المحروثة بدا لونه ذهبياً، وكانت أشعة الشمس تصنع تجويفات غريبة وممرات عليها من خلال الأشكال والظلال التى تتشكل للخيول والرجال.

فُتحت بوابات المدينة. فُتحت جميعها خلال القتال. فكرت: أنه بمقدورى النزول إلى أسفل وإعطاء الأوامر بإغلاقها! أمسكتنى مارونا من يدى. لم أفهم لماذا لم أستطع سماع ما قالته لى. قربت فمها من أذنى وهى تبكى: "الحراس سيدافعون عن البوابة! ابق هنا! ابق هنا!". فى الأعلى عندما ابتعدت مر شىء ما قربنا بنعومة وخفة واستقر عند السطح. فكرت أنه طائر، لقد أصابوا طائراً. لكننى أدركت أنه سهم. استقر هناك برأسه الطويل البرونزى الحاد شديد اللمعان وريشه القصير بدون أن يحدث ضرراً. لم يكن بإمكانى سماع أى شىء؛ لأن الجلبة فى الأسفل عند الممرات والصيحات، كانت صاخبة جداً: صراخ، عواء ملأ العالم كله والعقل. ومن برج المراقبة، لم نستطع أن نرى ما يحدث عند البوابة. لكننا استطعنا أن نرى هؤلاء الذين استطاعوا أن يروا، واقفين فوق الأسوار على البوابة وبالقرب منها. كان البعض منهم

يشاهدون ابناً أو زوجاً يموت، يُقطع بالسيف البرونزى أمام البوابة المغلقة لمدينته.

رأينا الإتروسكانيين يبتعدون، والفولسكانيين ذوى التيجان السوداء يتبعونهم، وإن كانوا بأعداد أقل وبصورة أبطأ. توقف "الفولسكانيون"خارج الخندق مباشرة. وتقدم الإتروسكانيون مائة خطوة أو أكثر، قبل أن يتوقفوا، ويديرون خيولهم، ويقفون دون حركة فى العتمة فى وسط الغبار. كان هناك توقف طويل، وخفت صوت الصياح ببطء وارتفعت نغمته حينما صار أقل، حتى اقتصر على البكاء والأنين للجرحى والثكلى.

قال شخص ما: "انظروا، انظروا"، ورأينا حيث أشار طابوراً من الرجال قادمين بخطوات سريعة رغم أنها بدت بطيئة عن بعد باتجاه أسفل التلال الغربية. صاح الناس من سطح إلى سطح، "إنه تورنوس تورنوس قادم!". صاح صوت رجل عجوز، "أين كان طوال اليوم؟"، لكن غطى عليه الهتاف والتصفيق لـ تورنوس والـ "روتاليين". أخذت الهتافات تخفت ولم تستمر طويلاً. ففى مكان ما بالقرب من البوابة، كانت هناك امرأة راكعة تولول لاهثة يعتصرها ألم شديد.

نزلت فى اتجاه بوابات الريجيا؛ لذلك لم أر كما رأى الآخرون، آينيس يقود الطرواديين أسفل التلال على الطريق نفسه الذى أخذه تورنوس خلفه، ليس ببعيد.

وتأخر الأتروسكانيون أكثر ليلحقوا بـ"الطرواديين". وما تبقى من رجالنا والفولسكانيين، عسكروا مع الروتاليين من اتباع تورنوس فيما بين الحصن الأرضى وأسوار المدينة. وقضوا المساء يحفرون ويعمقون الخندق، ويقيمون تحصينات للبوابة.

لم أرى ذلك. فى البداية كنت مع النساء نعتنى بعدد جديد من الرجال الجرحى فى الفناء، ثم رأينا أمى تمر تحت الأعمدة، ذاهبة إلى غرفة المشورة. وفى الحال - على الرغم من أننى توقفت عند النبع تحت شجرة الغار لأغسل يدى وذراعى سريعاً من الدماء، وأبلل وجهى بالماء البارد المبارك - تبعتها.

لحقت بها وجوتورنا خلف غرفة المشورة. جلس أبى على عرشه بقدميه محنيتين متقاطعتين؛ لم يكن يشبه رجلاً عجوزاً مهتزاً بالصورة التى شاهدته بها آخر مرة، بل جلس منتصباً مهيباً بسترته ذات الحافة الحمراء ينصت إلى تورنوس. كان درانسيس هناك، وفيروس، والعديد من الحراس الآخرين والفرسان، لكن فقط القليل من مستشارى الملك. فمعظم الناس كانوا يهتمون بتضميد جرحاهم وتشييع موتاهم، أو كانوا بالخارج يساعدون فى تحصين الأسوار من أجل الحصار.

كان تورنوس مازال فى قلب المعركة، على الرغم من أنه فى الحقيقة لم يقاتل فى ذلك اليوم. كان

مغبراً، ووجهه مجهداً وشاحباً. إنه لم يكن يختال الآن. بدا أصغر وأكثر قلقاً ووسامة من أى وقت مضى. وقفت أماتا وجوتورنا كلتاهما تراقبانه بعيون متشوقة. كان يعطى تقريراً عن الأوضاع والجيش المتحالف مع لاتينوس، دون أن يحاول أن يخفى أن كمينه قد فشل، أو ينكر أن الفولسكانيين قد تنصلوا وفروا جالبين "الإتروسكانيين" فى أثرهم إلى المدينة. لكنه امتدح ميسابوس، وتولومينوس والقوات اللاتينية والمواطنين أيضاً، من أجل التجمع عند بوابة المدينة والتماسك بشدة.

قال أبى: "غداً، أنت ورجالك سوف تكونون معهم. وآينيس ورجاله مع الإتروسكانيين.

قال تورنوس: "نعم". كانت هناك وقفة. بدل من وضعه، وقف بساقيه منفرجتان أكثر قليلاً، ورأسه إلى الخلف. قال بغرابة بالأحرى، وصوته يعلو أكثر: "إذا قال الشعب إن المعاهدة نُقِضت، إذا كان الطرواديون يظنون ذلك، سأكذب عليهم. أعد الشعائر أيها الملك لاتينوس جدد شروط الاتفاقية غداً صباحاً أمام كل الناس! أنا أُقسم لك هنا والآن، سوف أُبرئ بنفسى شعبى من سبة الجبن. هذا الطروادى، هذا الرجل الذى هرب من مدينته التى فُتِحت، دعه يقابلنى، دعه يقابلنى بمفرده فى قتال عادل. دع كل لاتيوم تكون عند الأسوار ليروا ذلك. إما أن يمسح سيفى كل العار الذى سيلحق بنا، وآخذ لافينيا منه أو أنه سينتصر ويحكم الشعب المهزوم، ويأخذ لافينيا زوجة له".

بعد أن أنهى كلامه حدق بنا نحن النساء الثلاثة اللائى وقفن خلف العرش، لكن عينيه لم تلتقيا بعينى.

أجابه لاتينوس ببطء، وبتفكير عميق واثق، كما لو أن الثقة عادت إليه عشية الهزيمة، كما عادت إلىَّ أيضاً. تورنوس ليس هناك كلام حول مقدار شجاعتك. فى الحقيقة إنها عظيمة جداً إلى حد أنها أجبرتنى على التحرك ببطء كى أتراجع. لكن خذ فى عين الاعتبار: والدك منحك مملكة نبيلة، أنت غنى ولديك علاقات جيدة مع جيرانك. أنت تعرف أننى صديقك ونسيبك عبر المصاهرة. هناك العديد من الفتيات من عائلات جيدة فى لاتيوم ويصلحن للزواج. عليك أن تزن كل هذا بميزان العقل، لأنه مهما حدث فإننى لن أستطيع أن أزوجك ابنتى. هذا غير مسموح به ولن يحدث. أمنيتى أن تكون الصلة بيننا قوية. زوجتى ناشدتنى وقد ضعفت، واستجبت لأمر خاطئ. نقضت المعاهدة وبدا الأمر أن الزوجة تأخذ العهد من الرجل الذى تعهد بالاتفاقية. هذا كان خطأ تماماً. لقد تركت الحرب تبدأ، وسأجعلها تنتهى الآن قبل الهزيمة النهائية. لماذا تراجعت إلى الوراء، وأختبأت مما هو حتمى؟ إذا كنتُ قادراً على أخذ الطرواديين كحلفاء وأنت حى، لماذا على أن أنتظر موتك لأفعل هذا. لو إننى استجبت لهذه المبارزة، فهذا يعنى أننى أخونك وأتركك للموت. لا تدع هذا يحدث ودع صديقى القديم، أباك دونوس يراك تعود حياً إلى البيت!".

قال تورنوس، وقد بدا عليه الشحوب: "إن سيفى بمقدوره أنه يُسيل الدماء أيضاً"، حيث كان وجهه محمراً وعيناه الزرقاوان تلمعان وهويقول: "أنت لست فى حاجة لأن تحمينى يا أبى لاتينوس إن كل ما فى الحكاية أن آينيس هذا لديه قوة تحميه من أعدائه خلال المعركة لكن هنا، على أرضنا، القوى ستكون معى وأنا سأهزمه!".

فى تلك اللحظة، اندفعت أماتا إلى الأمام، ركضت نحو تورنوس، وأمسكت بذراعيه. كانت تقريبا متعلقة به تنحنى قليلاً وتتوسل إليه. شعرها الأسود كان طليقاً، وعيناها مليئتان بالدموع. ارتفع صوتها مرتجفاً وهى تقول: تورنوس إن كنت تحبنى . أنت أملى الوحيد . منقذى الوحيد، شرف هذا البيت، إن كل ما لدينا من قوة طوع لك. لا تلق بكل هذا جانباً! لاتضحى بحياتك. ما سيحدث لك، هو ما سيحدث لى! أنا لن أكون عبدة للأجانب! ليس لدى أحد سواك إن مت أنت، أنا سأموت".

عند سماع توسلاتها، غمرنى إحساس بالعار، حتى سالت دموعى، وملأت عينى. أحسست بالسخونة فى وجهى، وفى رقبتى، وصدرى وجسدى كله. لم أتمكن من الحركة أو الكلام.

لكن تورنوس تجاوز أمى فى نظرته ليحدق بى. إنها ذات النظرة اللامعة التى نظر بها إلى، وأفزعتنى أول مرة رأيته فيها. قال لها وهو ينظر نحوى: "لا تبكى أمى، ليست هناك نبوءة سيئة أرجوك، أنا لست حراً

لأبعد الموت. لقد أرسلت رسولاً إلى الطرواديين غداً لن يكون هناك قتال. سوف يتم تجديد القسم على المعاهدة. هو وأنا فقط سنلتقى. دماؤنا ستوقف الحرب. وفى تلك الساحة ستجد لافينيا زوجها".

ابتسم لى، ابتسامة عريضة، قاسية. أبعد أماتا عنه، دافعاً يديها بعيداً. وانكمشت تنتحب.

سأل لاتينوس: "هل ذهب الرسول؟". كان صوته جافاً.

رد تورنوس بفخر: "ربما سيكون هناك الآن".

أومأ لاتينوس برأسه إشارة للموافقة، ثم قال بلطف: "إذاً اذهب الآن وهيئ نفسك للقتال يا بنى"، ووقف يُبعد الآخرين. واستدارحينما غادروا، وأظن أنه كان يود أن يطلب منى أن أهتم برعاية أمى، لكنه سألنى: "هل جرحت يا ابنتى؟".

نظرت إلى حيث كان ينظر: كانت هناك بقعة كبيرة من الدم عند أطراف ثوبى، لم أكن قد رأيتها فى الفناء قليل الضوء. "لا يا أبى، هذا لأننى كنت مع الرجال الجرحى".

"خذى قسطاً من الراحة هذه الليلة يا حبيبتى. غداً سيكون يوماً طويلاً بالنسبة إلى البعض. اذهبى ونامى جيداً. جوتورنا اذهبى مع أخيك، وإذا كان بإمكانك إقناعه بأن يعدل عن هذه المبارزة لا تترددى فى فعل ذلك، إذ لا حاجة لها. نحن سنستعيد المعاهدة وسنحقق السلام".

أسرعت خلف تورنوس. وحينما غادر الجميع الغرفة، عاد لاتينوس إلى أماتا التى كانت منحنية على الأرض تشد شعرها وتقتلعه. انحنى قربها وتكلم معها بلطف. لم أتمكن من سماع ما قاله. لم أتحمل مراقبتهما. تراجعت إلى الخلف عبر الممر الداخلى، واتجهت إلى غرفتى.

عندما التقيت بهم فى فناء منزلنا كان أسكانيوس يمازح والده قائلاً: "أنت قلتها بنفسك. أن آتى إليك للعمل، وليس للحظ!"، ثم ذهب مبتعداً لينفذ ما طلبه منه آينيس. وأسأل آينيس: "ما الذى يعنيه؟".

"إنه أمر ما قلته له عندما لم نتمكن من نزع رأس السهم من ساقى. قلت، يمكنك أن تتعلم منى عمل الرجال، لكنك إن أردت سيئ حسن الحظ اذهب إلى أحد آخر! كنت فى مزاج سيئ".

"أى سهم؟"

"فى الصباح الأخير من الحرب".

غمرتنى حيرة شديدة. "لكن تورنوس لم يكن لديه قوس. كان يستخدم سيفه".

تورنوس؟

"الجرح فى ساقك".

قال بتجهم: تورنوس لم يجرحنى أبدا"، ثم تغير وجهه، "أوه، فهمت، إننى كذبت عليك - إلى حد ما - فى الحقيقة لقد كذبت على الجميع".

"أوضح الأمر من فضلك".

جلسنا متجاورين على المقعد تحت شجرة الغار الصغيرة. "حسناً، لقد حدث الأمر بعد تلك النبوءة، حين قام تولومنيوس برمى حربته لينقض المعاهدة. لقد رأيته يفعل ذلك. لقد قتل شاباً يونانياً فى الحال. وبالطبع أصابهم حينئذ جميعاً الجنون. لقد حاولت أن أبقى رجالنا معاً بعيداً عن القتال ـ عن القتال هناك. عند المذبح! حيث كنت تقفين!" ـ أظلم وجهه من جديد عند التفكير فى هذا. "وفى خلال ذلك الاضطراب أصابنى سهم فى ساقى أطلقه أحد ما".

"أنت لا تعرف من يكون؟"

قال بشىء من السخرية: "لم يدع أحد هذا الشرف. ساعدنى سيرستوس وأسكانيوس للخروج من تلك الفوضى والعودة إلى مخيمنا. إن رؤية القائد مصاباً قد ترعب الرجال، كان على أن أقف وأمسك رمحى، وأنا أنزف مثل أضحية. كنت أنزف مثل ضحية. لذلك بذل إيابيكس العجوز أقصى جهده، فقد تمكن من سحب الرمح لكنه لم يتمكن من إخراج رأس الرمح. لقد كان مثل الشوكة كما تعلمين. وكل شىء يتمزق مرة أخرى. لذلك قلت، اربطه يا رجل، فأنا لا أستطيع أن أظل هنا طوال اليوم، يتعين أن أجد تورنوس وأنهى ذلك الشىء. وجعلت إيابيكس يفعلها. وحالما قام بحشو الجرح بنبات قرن الغزال وربطه عند أعلى الفخذ، لم يعد مؤلماً، كما أن الجرح

لم يكن ملحوظاً؛ لذا تقدمت لأبحث عن تورنوس. لكننى لم أستطع العثور عليه. ولم أفهم هذا أبداً. ما الذى كان يفعله؟ سوف أراه ليس بعيداً، وحينئذ، وحينئذ، وحينئذ سيختفى، مثل طائر سنونو فى الفناء ليمر بخفه ثم يختفى ثانية. رحل. سوف أذهب إلى حيث يكون، وهو لم يكن هناك. كان صبرى ينفد. وحينها ظهر ميسابوس ليضرب برمحه على خوذتى، عند ذلك فقدت صوابى وطلبت الهجوم على المدينة". نظر إلى أسفل وكان عابس الوجه ويداه مضمومتان بين ركبتيه. "آسف على ذلك. لقد كان من الخطأ".

"إذًا تورنوس لم يصبك؟ أنت كنت مصاباً حينما قاتلته؟".

أومأ برأسه، حزيناً لأنه خدعنى، أو لأنه أخفى هذا الأمر. "وحالما رجعت إلى المخيم فيما بعد، بدا أن إيابيكس قد جاء علاجه بفائدة ملحوظة". ينظر إلى فخذه البنى الصلب فى موضع الإصابة التى كانت باتساع الكف فوق الركبة اليمنى، إصابة عميقة، لونها أحمر، بين الإصابات والجروح الأخرى الأقدم. قال، كما لو أنه يعتذر عن كل شىء: "لقد شفيت بسرعة مذهلة".

"لماذا تركتنى أظن أن تورنوس هوالذى أصابك؟".

"لا أعرف، ظننت أن الكذبة تمدد نفسها نوعاً ما. كان على الزعم أن هذا لايعنى شيئاً، أنت تعرفين أن مثل هذه الأمور قابلة للحدوث خلال الحرب. وكما

قلت لك إنها أمور تزعج الرجال. كان عددنا كبيراً، لكن الأمر فيه مجازفة. ينبغى أن أجد تورونوس وأقاتله من أجل إنهاء المسألة كلها . كانت هذه هى الطريقة الوحيدة؛ لذا فيما بعد حينما استطعت الاعتراف بأننى قد أصبت . فى الحقيقة، كما تذكرين كنت أعرج تماماً لفترة من الوقت . ولم يكن يبدو هذا مهماً كيف حدث. لم أعرف أنك ظننت أنه تورنوس من فعل ذلك. هذا غير مهم. أليس كذلك؟"".

سألنى هذا السؤال، لكن ليس بطريقة صبيانية. بدا كما لو أنه يعتذر، لكن بخطورة، ليعرف ما إذا كان هذا الأمر يبدو مهماً بالنسبة إلىّ. كان على أن أفكر فى ذلك قليلاً.

قلت: "لا"، ثم انحنيت وقبلت مكان الندبة البارزة فى فخذه. فطوقنى بذراعيه، ثم رفعنى إلى أعلى فى مواجهته. كانت يداه تحت ثوبى الواسع كبيرتين، دافئتين، خشنتى الملمس، وقويتين. كانت له رائحة الملح والبخور.

نمت بعمق شديد فى الليلة الأخيرة للحرب، لذا كان استيقاظى بطيئاً. فى البداية، بدا لى أن هناك شيئاً ما ينبغى أن أفعله لكننى لم أعرف ما هو على وجه التحديد، وحالما خرجت قليلاً من حالة النوم، وفكرت أن هناك طقساً دينياً من المفترض أن أساعد أبى على أدائه، حينها استيقظت تماماً. نظرت من نافذتى الصغيرة رأيت بداية أول ضوء خفيف فى

السماء، ومئات الصور من الجراح الدامية، والرجال القتلى الذين رأيتهم بالأمس. كل تلك الصور تدافعت فى ذهنى. ومعهم كان صوت الشاعر ينشد، ثم المعرفة أننا اليوم سنجدد معاهدة السلام، أو أن القتال سوف يمتد إلى المدينة نفسها، وإلى شعبى المهزوم والمدمر.

نهضت وارتديت ثوبى ذا الأطراف الحمراء المحترقة، وركضت نحو جناح أبى كى أوقظه، لكننى وجدته مستيقظاً ومستعداً. لم يناقش حضورى أو نواياى للذهاب معه. قمنا بإتمام الطقوس مع درانسيس، واثنين من الرجال العجائز، وأحضرت طاسة فيها حبوب مملحة إلى فناء الإسطبل، حيث يتم اختيار الحيوانات من ضمن القطيع الذى تم إحضاره من المزارع التى تم الاستيلاء عليها عن طريق القتال. ومع مرور الوقت اخترناهم، وقد حان الوقت لتقديمهم كأضحيات.

قام جنود الحراسة بفتح بوابات المدينة لنا، وحيوا الملك بضرب السلاح فوق الدروع، ثم أغلقوا البوابات خلفنا. لكن لاتينوس قال: "أتركوا بوابات مدينتنا مفتوحة!". وتقدم أمامنا، ممسكاً بيده صولجانه الخشبى الذى يشبه الحربة، وكانت أطراف ثوبه الأحمر تبدو لامعة عند الفجر. تم سحب جيشنا كله بنظام فى اتجاه الأسوار والمتاريس التى بنيت خارج الخندق، وعبر مساحة ضيقة من المزارع التى غطاها التراب الآن، فقد كان الطرواديون واليونانيون،

والإتروسكانيون يعيدون فقط تشكيل قواتهم العسكرية. فقد تم تطهير المسافة فيما بين الجيوش، كما تم تحديدها على أنها مقدسة، وأقيم مذبح طينى عند المنتصف. وكان العجائز من الرجال فى المدينة مشغولين بعمل أكوام من خشب الإشعال فى الموقد الذى أقاموه إلى جانب المذبح.

اتجه لاتينوس مباشرة نحو المذبح. مد يديه وفتح راحتيه إلى أعلى. كان الشاب الصغير كايسوس الذى يعمل على استخراج الملح يقف مستعداً وهو يحمل عشب النجيل النضر ليضعه فى راحتى الملك. وضع لاتينوس العشب على المذبح. وبمجرد أن فعل ذلك، ألقت الشمس أول شعاع على التلال الشرقية. وجاء آينيس متقدماً بين الجيوش ووقف عبر المذبح من جانب ملك لاتيوم. كل شىء حصل كما لو أنه قد تم التخطيط له من قبل، وتم التدرب عليه مئات المرات، فكل شىء حدث كما ينبغى أن يكون.

جاء مع آينيس ابنه، أسكانيوس، يقف خلفه، وجاء تورنوس ليقف خلف لاتينوس عند المذبح. ارتدى آينيس درعه الصدرى العظيم، وحمل فى يده الدرع الواقى الذى عرفت به فيما بعد. كان الريش فى أعلى خوذته باللون الأحمر الذى بدا مثل سحابة مشتعلة أعلى بركان. تورنوس أيضاً بدا فخماً بردائه البرونزى المطلى بالذهب، والريشة البيضاء على خوذته تتجه إلى أعلى لتواجه رياح ذاك الصباح. وقفت شقيقته

بالقرب منه فى وشاحها الرمادى. وأبى رفع أطراف ثوبه فوق رأسه، وهذا ما فعلته أنا أيضاً.

عندما نظرت إلى المدينة، وجدت الأسطح والجدران تغص بالناس الذين احتشدوا ليشاهدوا ما سيحدث ـ نساء، رجال، أطفال. جميعهم صامتون، كما كان رجال كلا الجيشين صامتين أيضاً.

خَطَّوت إلى الأمام، وأنا أحمل الطاسة المحملة بالوجبة المملحة. أخذ أبى جزءاً منها بكلتا يديه، وراح يرشها على الأضحية المكونة من خنزير وخروفين لهما صوف أبيض وجميل. أقترب آينيس وأخذ الوجبة فى تجويف يديه من الطاسة التى كنت أمسكها. إنها المرة الأولى التى اقترب فيها منه. كان رجلاً ضخماً، عضلات جسده وعظامه بارزة بوضوح، أسمر البشرة، لوحته الشمس، وظهر ذلك فى دبغات على وجهه. لكنه بدا لطيفاً. إنه الرجل الذى أعرفه، والذى عرفته منذ تكلم عنه الشاعر وذكر اسمه فى غابة ألبونيا. نظرت إلى وجهه، وهو نظر على وجهى. أدركت أنه عرفنى.

استدار لينثر الحبوب على الحيوانات. ناولت أبى السكينة المخصصة للطقوس التى حملتها معى. وقام هو بحذر بقطع قليل من الشعر من مقدمة رأس الخنزير والخروف. وأعاد إلىَّ السكين. حملتها إلى آينيس. أخذها، وقطع بها جزة أو اثنتين من الشعر وتجعيدة من الصوف، وأعاد إلىَّ السكين. خطا

كلاهما نحو الموقد وألقيا بالقرابين إلى النار. أحضر كايسوس إناء الخمر والأكواب الفضية على صينية. ملأ الأكواب وقدم كوباً لكلا الملكين. لاتينوس فى البداية، ثم آينيس الذى سكب الخمر فوق العشب الأخضر فى المذبح. نطق أبى بالكلمات الطقوسية بصوت منخفض مستدعياً قوى الأرض، الزمان، والمكان. وقف آينيس ينصت بإمعان.

خلال كل ذاك الوقت لم يكن هناك أى صوت من كل الناس المجتمعين. طفل بكى على أحد أسطح المدينة؛ ورنين البرونز حينما بدل أحد الجنود من وقفته؛ وطيور تُغرد بعيداً على الأشجار فى شوارع المدينة؛ والصمت الجميل المخيم من السماء اللامعة فوقنا.

أتم أبى صلاته، تراجع إلى الوراء قليلاً. سحب آينيس سيفه. كان صوت البرونزالصلب مرتفعاً.

رفع سيفه عند المذبح وقال: "لتكن الشمس شاهدة على ما سأقول، وهذه الأرض أيضاً، بأننى قادم لما سأقوم به بكثير من المعاناة. ليكن مارس الذى يحكم الحرب، لتكن الجداول وأنهار هذه الأرض، والسماء التى فوقها، والبحر الذى يغسلها، شاهدين. إذا انتصر تورنوس سينسحب شعبى مهزوماً إلى مدينة إيفاندر وسيترك ابنى هذه الأرض، ولن يعود إليها محارباً على الإطلاق. لكن إن انتصرت أنا وإن حدث، وحصلت على النصر، فإننى لن أجعل

الإيطاليين خاضعين لى، ولن أدعى الحكم على أراضيكم. دعوا كلا الشعبين غير مهزومين فى عهد الوفاق الأبدى. معى أتت آلهتى. لاتينوس صهرى، سوف يحفظ سيفه وحكمه. وشعبى سيبنى مدينة. ولافينيا سوف تعطيها اسمها".

نظر مباشرة نحوى حين تفوه بهذه الكلمات، لم يبتسم، لكن كانت هناك إشراقة فى وجهه وعينيه. ونظرت نحوه، وأومأت برأسى مرة واحدة إيماءة خفيفة جداً.

خفض سيفه ووضعه فى غمده. خطا أبى نحوه ليواجهه ويمسك بعصاه البلوطية الثقيلة فوق المذبح. "أقسم بذات القوى، آينيس بالأرض، والبحر، والنجوم، ورب البرق، وجانوس ذو الوجهين، وبالظلال تحت الأرض. ألمس المذبح. أقسم بهذه النار وبالقوى التى تقف بيننا: أن هذا السلام لن يُخرق أبداً مهما حدث. لن يتغير أبداً، ليس قبل أن تحمل هذه العصا، الصولجان القديم لآلهة لاتيوم الفروع والأوراق".

أومأ برأسه للرجال الذين يمسكون الحيوانات. أحضروها مع سكاكين الأضاحى الطويلة، وقطع لاتينوس رقبة الخروف، بينما قطع آينيس رقبة الخنزير، قام كل منهما بهذا بحركة واحدة سريعة وخبيرة. وعند ذلك ارتفع صوت الناس، الجنود الواقفون، والمواطنون فوق الأسوار، وأطلقوا صيحة "آآآه"، صيحة الراحة والاستجابة.

تقدم الآن أحد عرافى "الإتروسكانيين" إلى الأمام ليلقى نظرة على أحشاء الأضحية، إنها مسألة مهمة جداً بالنسبة إلى"الإتروسكانيين"؛ وكان يجب أن تُقطع الحيوانات ويُشوى اللحم ويُطهى على النار. وهذا كله استغرق وقتاً. وقف آينيس وأسكانيوس خلف المذبح صامتين كما فعل أبى؛ لكن تورنوس بدأ الكلام مع أخته ومع قائد "الروتاليين"، كاميرس الذى وقف إلى جانبها. وعلى الرغم من الدرع المذهب والرمح الفخم الذى كان يرتديه، إلا أن تورنوس بدا شاحباً ومرهقاً كما لو أنه لم ينم؛ استمر يحملق نحو جنوده بوجه حزين، ينشد المساعدة. "الروتوليون" بدءوا بالتجمع حوله. تحدث كاميرس معهم. لم يكن صوته مرتفعاً، بل حازماً، وهم ينصتون له متجهمين. تحرك العراف تولمنيوس بينهم وتحدث أيضا واستمر العراف يحرك الأكباد والقلوب والكُلى، حيث قام الحاضرون بوضع كميات كبيرة من اللحوم فى النار، لذا بدا أنها بحاجة للتقليب حتى لا تحترق. كانت التمتمات والغمغمات تتصاعد بين قوات الإيطاليين. إن اللحظة المقدسة قد فقدت ومضت. كانت الشمس ترتفع إلى أعلى، وبدا النهار يكون حاراً.

ونظر الناس وأشاروا إلى أعلى، همهمات خافتة تتصاعد فى السماء. سرب ضخم من البجع كان قادماً من ناحية النهر، متوجهاً جنوبياً خلفنا وراء المدينة، يطير ببطء من الشمال إلى اليمين. تابعت قوات اليونانيين والطرواديين سرب الطيور، وهذا ما

فعلناه أيضاً نحن ـ الإيطاليين ـ وما فعله تروسكانيون. وجميعنا شاهدنا النسر الذى ظهر فجأة، وانطلق سريعاً من ناحية الشرق، هاجم بمخالبه قائد البجع، ووسط وابل من الريش الذى تساقط فوق رءوسنا، حمل النسر ضحيته. عقب ذلك حدث الأكثر غرابة، حين قام سرب البجع الطائر بتعقب النسر. طاروا على ارتفاع منخفض وسرعة كبيرة. مرت ظلال أجنحتهم من فوقنا. كانوا يتعقبون النسر ويسرعون فى أعقابه. احتشدوا حوله، حتى تمكنوا من إيقاع البجعة الميتة من بين مخالبه، ثم استداروا ليطيروا ناحية التلال الغربية. ترددت صيحة ابتهاج من بعض المشاهدين لكن معظمهم كانوا صامتين، حائرين من مدلول هذه الإشارة.

وفى وسط ذاك الصمت، ارتفع صوت تولومنيوس صائحا: "إنها نبوءة، نبوءة! يا أيها الروتاليون واللاتينيون اطيعوا النبوءة! هاجموا المهاجم! وحدوا قواتكم، ودافعوا عن ملككم الشرعى!" وحينما تجمع الرجال حوله هتفوا وهم يلوحون بقبضاتهم فى إشارة إلى مارس، سحب تولومنيوس رمحه ذا الأقدام الستة، ورمى به مباشرة إلى القواد الذين يقفون فى مواجهته عبر الأرض المقدسة.

انحنى رجل إلى الأمام فوق الرمح مصدراً صوتاً غريباً مثل سعال أو ضحكات من السهل سماعها فى لحظة الصمت الأخيرة.

حينئذ امتلأ العالم بزئير وحشى كثيف للرجال، وهم يصيحون، يسحبون السلاح ويصدمون الدروع، مر الرجال المندفعون من أمامى، فى هذا الاتجاه وذاك، دفعونى من كتفى، من دون أن يرونى. لم أتمكن من رؤية أى شىء. فلم أكن أعرف شيئًا سوى المذبح. نهضت واقتربت منه. كان أبى هناك مع الصبى كايسوس، يحاول أن يأخذ الأطباق المقدسة، وتهتز يداه. قال: ساعدينى لافينيا وأخذت ما تمكنت من حمله. وظللنا إلى جوار بعضنا نجاهد للخروج من المذبح وسط ذلك الاضطراب والرجال المسرعين، والخيول المندفعة نحو بوابة المدينة. كايسوس لم يكن معى، وتوقفت ونظرت إلى الخلف أبحث عنه. رأيت أحد "الإتروسكانيين" يحمل درعاً هائلا يتعثر ويسقط للخلف، ويزحف برأسه وكتفيه مباشرة عبر المذبح. وقفز رجل آخر عليه وضربه عند عنقه، وجز رقبته برمح حاد النصل. وتناثرت دماء "الإتروسكانى" فوق الرجال المتجمعين ليجردوا الرجل المسلح من سلاحه. بعض "الروتوليون" أخذوا عصيًا طويلة من نيران الأضحية، وكانوا يستخدمونها كأسلحة، يلوحون بها فى وجوه الرجال، ولذلك كانت هناك رائحة كريهة للشعر المحترق. وخلفهم لمسافة ما، رأيت آينيس. أطول من الآخرين، ترتفع يداه ويصيح بصوت أجش مرتفع، ثم دفعنى شخص ما حتى أننى سقطت. والصبى كايسوس كان وجهه مغموراً بالدموع ومشوهاً بالرعب. وكان يشد فى ثوبى. أسرعت فى أعقاب

أبى. وظلت بوابات المدينة مفتوحة من فوقنا، وتجمع حراس أبى من حولنا وجعلونا نمر إلى الداخل.

كان الاضطراب فى الشوارع متفاقماً كما هو خارج الأسوار، كان الناس يصيحون بأن الطرواديين خرقوا السلام، وهاجموا غدراً الملك عند المذبح، والكثير من الرجال الكبار والفتيان، وحتى العبيد اندفعوا ليلحقوا بالمعركة. واحتفظ حراس الملك بالبوابة الكبيرة مفتوحة من أجلهم، ومن أجل الجرحى ليلوذوا بها. ووقفت النساء فوق الأسوار، يصرخن بالشتائم ويلقين بقوالب الطوب، وبأى شىء فى متناول أيديهن على الرجال المتقاتلين عند الخندق والحصن. وتجمع أناس آخرون فى الشوارع بين البوابة الكبرى و"الريجيا" ليحموا ملكهم إذا نجح العدو فى اختراق المدينة. وكان آخرون يدفنون ممتلكاتهم وكنوزهم فى حدائقهم، أو يحاولون إغلاق أبوابهم ونوافذهم بحيث يستطيعون أن يختبئوا داخل منازلهم.

تتبعت الملك مباشرة إلى غرفة مجلسه حيث تجمع درانيس والآخرون ممن هربوا من القتال. درانيس كان يهذى من الرعب، ويتحدث فقط عن المكان الذى ينبغى أن نختبئ به. وكان أبى يرتعش فاقد النفس ووجهه مكتسياً باللون الرمادى. لكنه جلس على عرشه وبدأ يتشاور مع فيروس والآخرين، وأعطى الأوامر للدفاع عن المدينة والمنزل. ولما وجدت أنه ليست هناك حاجة لوجودى هناك، أسرعت نحو جناح النساء حيث لم يكن هناك شىء سوى الرعب

والشائعات والنحيب. وكانت أمى فى جناحها، لكنها خرجت لتقابلنى تحدثت معى باحتقار مقيت: "هكذا حافظ الطرواديون العظام على المعاهدة".

قلت: "إنه قد أقسم على السلام".

"لقد هاجم أباك عبر المذبح!".

"هو لم يفعل لقد سعى للسلام معه، لقد طلب أن يقاتل تورنوس يدأ بيد، وهو قد أقسم أنه إذا خسر فإنه سوف يغادر، وإنه إذا انتصر سيظل لاتينوس ملكاً على لاتيوم وأدى أبى القسم. لكن جوتورنا والروتوليين لم يريدوا ذلك، وتولومينوس نادى بوجود نبوءة، وألقى بالرمح الذى خرق الهدنة. لقد كنت هناك. هذا ما قد حدث".

قالت: "هذا ليس صحيحاً"، لكنها كانت تعرف أن هذا ما حدث. فبعد ما شاهدته لم يكن لدى أى خوف أبديه لها. لقد سمعت صوتى يعلو على صوتها، وشعرت بنفس أطول منها، ووقفت أواجهها.

قلت، وقلبى يتفجر غضباً: "إذا كان تورنوس قد تقدم ليقاتل آينيس ما كانت هناك حرب الآن ولأصبحت المدينة آمنة، لقد خاننا".

بدأت تقول: "ما كان تورنوس أبداً"، ثم اهتز صوتها، وهى تقول، "كان من أجلك، كان هذا من أجلك".

قلت: تورنوس لايهتم قيد شعرة بى، أو بك أيضاً"، وسمعت نفسى أتكلم بصوت ساخر وحاد،

الصوت نفسه الذى كنت أسمعه فى الغالب من أمى. فكرت فى صفاء السماء فوق المذبح، بين الجيوش حينما كان الملكان يقسمان على المعاهدة. لقد شعرت بخجل كبير وبانفعال يسرى فى كل جسدى. ركعت أمام أمى و أمسكت بأطراف ثوبها الأبيض، وقلت: "أمى سامحينى، دعينا نعلن السلام فيما بيننا".

قالت: "أبداً إنه لن يفعل أبداً". ونظرت حولها فى حيرة وصرخت: "هل هذا خطأى؟". وتحولت بعيداً وهى تجذب ثوبها من يدى، وتسرع عائدة إلى جناحها وتغلق الباب خلفها.

انحنيت هناك أبكى لبرهة. اندفعت الدموع التى كانت محبوسة فى داخلى خلال هذه الأيام المرعبة، ثم توقفت الدموع. وأبعدت الشعر عن جبهتى، ومسحت وجهى بأطراف ثوبى. ووقفت أنظر إلى النساء اللواتى كن ينظرن إلىَّ فى فزع وخوف واضطراب.

قلت لهن وأنا أحاول اجتذابهن للهدنة التى أحتاج إليها والتأكيد على حاجتنا كلنا لها: "لقد كان شعب تورنوس هم الذين خرقوا المعاهدة، لكن الطرواديين والأتروسكانيين هم الذين سوف يحاصرون المدينة". وارتجف صوتى وأنا أقول: "لذا نحن ليس لدينا أصدقاء حقيقيين، فيما عدا رجالنا اللاتينين الذين يحاربون هناك. ونحن أنفسنا ما الذى نستطيع فعله لكى نجعل البيت آمناً ونكسر الحصار؟".

ونظرن جميعاً فى صمت، البعض منهن بكين فى صمت، حتى قالت مارونا: "إن المخازن مليئة".

قلت: مباركة بيناتس آلهة البيت، فالمخازن عامرة، والينابيع تجرى. هل هناك وفرة من الأخشاب لإشعال المواقد للطهى؟".

كانت هذه بالفعل مشكلة، نحن نلمسها. وسارت المناقشة من أجلها. وقالت تيتا: "نستطيع أن نقطع شجرة الغار". وعند ذلك قالت سيكانا، المرأة الطويلة المتجهمة التى كانت دائماً تخدم إلى جانب أمى: "هل أنت مجنونة يا تيتا اذهبى واغسلى فمك، وتوسلى لكل المقدسات أن تنعم عليك بحكمة أرنب!، أتريدين أن تقطعى شجرة الملك؟ بلهاء! يوجد هناك شجر الحور القديم خلف الإسطبلات لنبدأ به". ووضعت سيكانا فى الحال فى مهمة إيجاد الرجال بالفئوس، ليسقطوا ويقطعوا الأشجار؛ ثم كانت هناك مئات الأشياء التى كان ينبغى فعلها، والنساء يرغبن فى القيام بها.

واستمرت المعركة خارج الأسوار طوال هذا الوقت، طوال هذا الصباح. أنا لم أر شيئا منها، سمعت ضجيجها فقط، حينما كان هناك توقف عن أعمال المنزل. أستطيع أن أقول فقط عما أُخبرت به. إن "الروتاليين" فى البداية فى مفاجأة هجومهم دفعوا "الطرواديين" وحلفاءهم إلى الخلف، لكن بعد ذلك استمرت المعركة فى توازن بالقرب من الحصن والخندق خارج أسوار المدينة والبوابة. كان ميسابوس

مكلفاً بـ"الروتاليين"؛ وكان تورنوس هنا وهناك، "لكنه لم يكن يبقى فى مكان واحد"، هذا ما قاله الرجل الذى جاء إلينا بأكثر التقارير تفصيلا. هذا الرجل، ميلوس، كان من بين الجرحى الذين تعافوا فى "الريجيا"، ثم عادوا للقتال مرة أخرى؛ وقد انفتح جرحه مرة أخرى، والذى كان جرحاً عميقاً بالسيف حينما حارب، ثم تمكن من العودة إلى المدينة؛ حيث كانت البوابات ما زالت مفتوحة. وأخبر الملك أن الطروادين لم يكونوا يحاولون الاقتراب من بوابة المدينة، بل إنهم ثبتوا فى موقعهم عند الحصن بينما آينيس يطارد تورنوس مطالباً بحقه فى إنهاء الحرب عن طريق المبارزة فرداً لفرد، بينما تورنوس ينتقل هنا وهناك خلال المعركة ممتطياً حصانه، وهو يجابه الموت، لكنه لم يدع آينيس يلتقى به أبداً. وبعد أن قدم ميلوس تقريره بوضوح وتفصيل، غاب عن الوعى من جراء فقده للدماء. وعلى الرغم من قيامنا باللازم لمعالجته فى مستشفى الفناء الخارجى فإنه مات فى ذلك المساء. لقد كان مزارعاً لاتينيا له مزرعة صغيرة وبستان فى أسفل التل الواقع فى جنوب المدينة.

وكنت أحاول أن أعطى التعليمات للأفراد القائمين على التنظيف أن يستخدموا المماسح والمناشف ليحافظوا على نظافة أرضية الفناء من دماء الجرحى الذين كانوا يُنقلون إليها باستمرار، حينما ارتفع صوت جلبة عالية فى الحال خارج بوابة المدينة.

وفى الحال توقفنا جميعاً عما كنا نفعله. وجرى بعضنا إلى الأسوار، وإلى نقطة المراقبة لنرى ماذا يحدث. وأخبرونا أن الطروادين قد عبروا المسافة ما بين الخندق والأسوار، وأنهم كانوا يهاجمون بوابة المدينة. يقودهم قائدهم الطويل الذى توجد ريشة حمراء أعلى خوذته، على الرغم من أن الريش فى أعلى خوذته قد تقطع وصار أقل كثيراً. إحدى الفتيات ممن ذهبن إلى السور أعلى البوابة قالت إن القائد كان يصيح بأن "الإيطاليين" قد نقضوا المعاهدة مرتين وأن ملكهم لا أمان له".

قالت: "وهو قد قتل فيروس وكانت شاحبة بيضاء اللون، وهى تتحدث بصوت مرتفع على وتيرة واحدة، وتكرر الأشياء مرات ومرات. "هو فقط قطع رأسه ، فقط قد قطع رأسه عن جسده".

قلت وأنا لا أفهم تماماً حتى ذلك الحين: فيروس كان هناك الكثير مماينبغى فعله، لقد كنت مدركة أنه حتى فى داخل 'الريجيا قد كانت هناك حركة كبيرة من الناس فى الشوارع. بعضهم كانوا يتدافعون للنزول إلى أسفل البوابات ويفتحونها للإستسلام. والآخرون كانوا يحاولون أن ينزلوا إلى هناك بالحراب والعصى والفئوس وسكاكين المطبخ، ليصدوا المهاجمين عن المدينة. كانت الضوضاء داخل المدينة مثل هدير مدو بجنون. صاح أحد الأفراد: "حريق"، وعند ذلك أسرعت إلى السطح لأرى ما إذا كان هناك مايهدد

الريجيا. وكانت قذائف اللهب تطير فوق الأسوار فى مكانين. ولكن الناس فى الشوارع السفلية اندفعوا ليطفئوها. وما زالت صرخات الحريق، تتكرر مرات ومرات، مع أصوات بكاء ونحيب الناس فى شتى أرجاء المدينة بصورة غير متخيلة.

ومن خلال هذه الضوضاء أتى من أسفل صوت صرخات النساء فى المنزل حادة وقوية استدرت وعدت إلى أسفل مرة أخرى إلى الجانب الذى كانت فيه النساء.

وهنا تعالى صوت الصرخات وصدى النحيب إلى حد لم أستطع سماع سيكانا التى أتت نحوى بفم مفتوح وعينين زائغتين وهى تصرخ بى. وتبعتها بسرعة إلى جناح أمى، وشاهدت أماتا معلقة بعقدة صنعتها من ربط الملابس مع بعضها لتصنع منها حبلاً واحداً. وكانت حافية القدمين وقد انسدل شعرها الطويل الأسود إلى أسفل حول وجهها وجسدها.

دفعت أنا وسيكانا الطاولة التى تحتها، وأمسكت بها سيكانا، بينما كنت أنا أقطع عقدة الملابس بالسكين الصغير، ثم مددناها على الطاولة الطويلة هناك فى الحجرة الخارجية، وهى مازالت ترتدى القلادات الذهبية التى كان يلبسها أخواىّ. قلت: "أغسليها"، هكذا أمرت سيكانا والأخريات، فقد لوثت نفسها بالغائط أثناء معاناتها غصة الموت، ولم أتحمل رؤية جسدها ملوثاً.

ما كان ينبغى علىَّ فعله هو أن أخبر أبى.

لقد سمع الهذيان المتصاعد من جناح النساء. فقد كان قادماً عبر الفناء، يتبعه درانسيس وبعض الرجال الآخرين. وأوقفته تحت شجرة الغار. ولست متأكدة مما قلته. وقف لبرهة. وكان وجهه يبدو مجهداً وحزيناً؛ واحتضننى، والتصقت به. قلت: "تعال إليها". حينئذ تركنى أذهب وببطء ركع على ركبتيه، والتقط الثرى من حول جذور شجرة الغار، ومسح بها على شعره الرمادى.

ركعت إلى جواره فى محاولة لتهدئته.

وتأكدت أنه على الرغم من أن النحيب كان مستمراً فى جناح النساء، فإن الضوضاء الآتية من المدينة والحرب قد خفتت وسكت ضجيجها.

نظرت، ورأيت أناساً يقفون ساكنين على أسوار المنزل وعلى السطح.

كانوا ساكنين، وساد الهدوء.

ثم كان هناك صوت هائل، مثل صوت نفس عميق كما لو أن الأرض تتنفس من حول الأسوار. ظننت أنه كان زلزالاً، فهو مثل الأصوات التى تسببها الزلازل حين تأتى. لكن كان صوت النهاية. انتهت الحرب. مات "تورنوس". انتهت القصيدة.

لا، لكن القصيدة لم تنته بعد.

ألم تخبرنى بهذا يا شاعرى؟ هنا فى المكان المقدس حيث المياه الكبريتية العفنة تأتى من أسفل

الأرض لتصنع البرك فوق الأرض، والنجوم تبرق من بين الأوراق؟ لقد قلت ذات مرة إنها لم تكتمل، وإننى ينبغى أن أحترق.

لكن حينئذ مرة أخرى، فى النهاية، أنت قلت إنها قد انتهت. وأنا أعرف أنهم لم يحرقوها. فسوف أحترق معها.

ولكن ماذا أفعل الآن؟ لقد فقدت دليلى، فيرجيل(*)، فيرجيلى. ينبغى أن استمر بنفسى خلال كل هذا الذى تبقى بعد النهاية. كل هذا العالم الهائل المتبقى، الذى لا طريق يوصل إليه، ولا سبيل إلى فهمه.

ما الذى يتبقى بعد الموت؟ كل شىء آخر. فالشمس التى رآها الانسان ترتفع تهبط، على الرغم من أنه لن يراها تشرق مرة أخرى. امرأة تجلس لتغزل، وامرأة أخرى تغادر المغزل.

لقد وجدت طريقى حتى الآن، على الرغم من أن الشاعر لم يخبرنى عن الطريق. لقد خمنته بصورة صحيحة، بدون خطأ. من بين الأشياء التى قالها، المفاتيح التى أعطانى إياها، أتيت إلى منتصف الطريق أتبعه، والآن ينبغى علىَّ إيجاد طريق الرجوع بمفردى. سوف يكون أطول وأبطأ فى الحياة والعيش. ولكنه ليس طويلاً جداً كما أعتقد إلى الحد الذى لا يمكن إخباره.

(*) فيرجيل Vergil (٧٠ ـ ١٩ قبل الميلاد) : الشاعر الرومانى الكلاسيكى الشهير بالإلياذة. (المراجع).

لقد كان هناك الكثيرون ممن رأوا تورنوس يموت، لأن موته قد حدث أمام بوابات "لورينتيوم" التى توقف عندها فى النهاية ليختبئ من آينيس، واستدار ليحاربه. ألقى كلا الرجلين برمحيهما ولم يصيبا. ولذلك فقد تقابلا سيفاً مقابل سيف، لكن سيف تورنوس انكسر، ومن ثم استدار وهرب مرة ثانية.

حاول آينيس أن يطارده، ولكن إصابة ساقه منعته من الجرى. توقف وحاول أن يجذب رمحه من جذع شجرة الزيتون المقدسة. لقد تعبدت عندها لـ"فاونوس" مرات كثيرة. وقد قطعها الطرواديون فى ثورة تدميرهم، عندما احتلوا الحصون، ولم يبق منها شىء سوى الجذع. لقد كان الرمح كبيراً وثقيلاً. وانغرس عميقاً فى الشجرة التى لم يكن من السهل إخراجه منها. وبينما كان "آينيس" يناضل معها، ركضت جوتورنا نحو تورنوس وناولته سيفاً. وجذب آينيس رمحه ليحرره أخيراً، وأتى نحو تورنوس، وهو يصيح: "هذا قتال، يا تورنوس وليس سباقاً للجرى!".

وكان سيرتيوس قريباً منهم حينئذ. وقال لى إنه قد رأى شيئاً غريباً: بومة، بومة صغيرة تحوم حول تورنوس، هناك فى ضوء النهار الساطع. وقال إن تورنوس حاول إبعادها عن وجهه. لقد بدا متحيراً مذهولاً، مثل رجل أصيب بجرح قاتل بالفعل. ركض لمسافة قصيرة مرة أخرى حتى وصل إلى آخر حجر من العلامات المحددة، وتوقف عنده واستدار، والتقط الحجر الضخم ممسكاً به بيديه، وقذف به نحو

آينيس. لكن الحجر سقط قبله بمسافة قصيرة. وحينئذ توقفت نظرته الزائغة نفسها، ممسكاً بسيفه. ولكنه لم يفعل شيئاً، حتى طرحه آينيس أرضاً، وغرس رمحه الضخم فى فخذ تورنوس.

أتى آينيس وهويعرج. ووقف فوقه، وهويتنفس بصعوبة، ولم يستطع تورنوس أن ينهض. وزحف بمشقة على ركبتيه. وحينما استعاد أنفاسه تحدث بوضوح و هدوء، كما لو أن ارتباكه قد انتهى. قال: "أنت فزت. أنا لن أطلب الرحمة. افعل ما تشاء. إذا قتلتنى، أرسل جثتى إلى أبى فى وطنى. لافينيا زوجتك. ولا تتمادى فى كرهك" . أنصت آينيس إليه، ثم استدار إلى الخلف، كما لو أنه سيعفو عنه. حينئذ شاهد تورنوس يقبض بيده على حزام السيف الذهبى الذى مزق به بالاس وقتله. فصاح: "هل تركت الصبى يعيش؟ إنه بالاس وحده هو الذى يضحى هذه التضحية" . ثم أغمد سيفه فى قلب تورنوس.

لقد بقيت جوتورنا فى ميدان المعركة خلال وقت القتال بأكمله. وقيل إنها أخفت أخاها أكثر من مرة من آينيس الذى جاء يقتفى أثره بإلحاح وهو يعرج. وقد تقدمت الآن عبر صفوف القوات "الروتولية" المدمرة، وركعت إلى جوار جثة تورنوس، وضعت خمارها الرمادى فوقه، وأخذت فى العويل.

وقف آينيس هناك مستنداً إلى سيفه حتى أتى آشاتيس، وسيروستوس إليه؛ وحينها أغمد سيفه، ثم

وضع ذراعيه حول رقبتى صديقيه، حيث ساعداه على السير، وبدأ يمشى، وهو يعرج ببطء عائداً إلى معسكر الطرواديين. والتف وهم يعبرون الحصون، ونادى: "أيها الملك لاتينوس المعاهدة سارية!".

لاتينوس لم يكن هناك ليرد عليه؛ كان فى غرفة داخلية مع زوجته الميتة يعفر بالتراب رأسه. لكن القوات اللاتينية ردت، بأصوات كثيرة، "المعاهدة سارية "، والناس على الأسوار رددوها.

تبقى القليل من القادة الروتاليين. لأن آينيس فى ثورة غضبه الأخيرة قتل كل رجل تجرأ أن يقابله. جمعوا قواتهم مع بعضها بعضاً، وكونوا مجموعة ليحملوا جثة تورنوس، وكاميرس، وتولومينوس. وفى صمت بدءوا مسيرة عودتهم إلى "أرديا". وتناثرت القوات التى ليس لها قائد ليبحثوا عن جثث رفاقهم الموتى. وفى اليوم التالى انتشروا عائدين إلى روتاليا، أو فولشيا أو بلد التل.

ومضت جوتورنا بمفردها ناحية الشمال، رآها الناس تذهب إلى هناك، ولكن أحداً لم يرها بعد ذلك، ويُعتقد أنها أغرقت نفسها فى تلك الليلة فى النهر الأب.

وتشتت الجيش اللاتينى، كما تشتت الحلفاء. جاء البعض منهم إلى المدينة للراحة أو العلاج، ولكن الكثيرين منهم مضوا بحثاً عن أخوتهم أو جيرانهم القتلى فى ميدان المعركة، ليعودوا بهم إلى الموطن

عائدين عبر المزرعة أسفل الوادى أو فوق القمة. وبالفعل أتى العبيد الذين كانوايعملون فى المنازل المجاورة بعرباتهم التى يجرها ثور أو حمار، والذين أرسلتهم ربات البيوت، أو الرجال العجائز، كى يساعدوا فى حمل الجرحى والموتى.

وفى تلك الليلة فى المدينة سمعنا صوت ضربات الفؤوس. وصوت سقوط الأشجار من بعيد، فى الغابات شمال وشرق المدينة. وفى الصباح التالى، كان الحطابون منهمكين فى نقل الأخشاب لإعداد محرقة الجثث خارج الأسوار.

وبُنيت إحدى المحارق عالية ومنفصلة من أجل أمى. لقد حُملت على نقالة بيضاء، وهى ترتدى ثوبها الأبيض الرقيق الذى غزلته، وكانت تقول إنه ثوب زفافى. وخرج كل فرد فى المدينة يستطيع المشى خلف الموكب.

وأشعل أقرب الأشخاص للموتى النار، وهم يشيحون بوجوههم. وأشعلت أنا نيرانها، وحينما تأججت بها النيران أمسكت من الرماد المشتعل إحدى العظام، عظمة إصبع صغير لأدفنها فى الأرض، حتى لا تهيم روحها. ثم وقف أبى ونادى باسمها ثلاث مرات كما هى عادتنا. كما ناديت عليها أنا، وكل الناس نادوا عليها معه، "أماتا! أماتا ! أماتا!". وساد الصمت بعد ذلك.

لقد مات فيروس، الحارس العجوز، وأولوس. كما مات كل الشباب الذين تقدموا لخطبتى. وأمى ماتت.

حزن كل بيت تقريباً من أجل أب أو أخ أو ابن قُتل أو أصيب بالعجز. أعتقد أنه يصعب على المرء ألا يشعر بالخجل من بقائه حياً وسط هذا العدد من الموتى. إنهم يقولون إن مارس يُبرئ المحارب من جرائم الحرب. لكن هؤلاء الذين لم يكونوا محاربين، بالنسبة إلى هؤلاء الذين قيل إن الحرب وقعت من أجلهم، حتى لو لم يريدوا أن يخوضوا هذه الحرب، فمن يبرئهم؟

فى مساء يوم جنازة أمى، دعوت مارونا وسيكانا وأخريات من النساء البارزات فى الريجيا أن يأتوا معى. فيستينا العجوز كانت محطمة من الحزن، ولم تستطع فعل أى شىء سوى أن تنحنى على الأرض فى غرفة أمى، وترجرج نفسها، وهى تبكى من دون دموع، وتحدث صوتاً يشبه أنين الطفل المريض.

وسرنا إلى أسفل عبر الشوارع إلى مذبح جانوس، حيث قمت بتقديم الطعام والبخور لقوة البداية والنهاية. وتجمع الناس فى المدينة. لم يتكلم أحد. لقد أتى الصمت فى المدينة بعد ضجيج الحرب بهيبة جليلة أحاطت بنا. فى فقدنا وخوفنا، كنا نشتاق إلى ممارسة الشعائر الدينية التى أتاحت لنا أن نعترف بضعفنا واعتمادنا على القوى الكبرى التى لا نفهمها. وحينما قدمت العطايا إلى جانوس، مضيت، تتبعنى نسائى، والكثير من الناس إلى الأبواب المفتوحة قليلاً، فى الإطار الخشبى القريب العالى المصنوع من خشب الأرز، "بوابة الحرب"، البوابة التى

لا تفضى إلى شىء سواء فتحت أو أغلقت. ودفعت بأحد الأبواب، ثم الآخر. لم أستطع أن أحركهم. بقيت الأبواب مفتوحة منفصلة عن مفصلاتها المرتخية، تستند إلى الأرض الصخرية. ساعدتنى النساء المرافقات لى، وأتى الرجال ليلحقوا بنا. وفى النهاية تمكنا من إغلاق البوابات بالقوة، وتمكنت سيكانا وأحد الرجال من رفع العارضة الضخمة المكونة من خشب السنديان، ووضعوها مكان القفل الأساسى الحديدى السميك ثم حينئذ تكلمت إلى البوابة: "لتظلى مغلقة فالمعاهدة سارية!". وشعرت فى تلك اللحظة كما لو أننى كنت أتحدث إلى أحد الأعداء المهزومين فى هذه اللحظة، وليس إلى أى شىء سوى أنه عدو. وتمتم الناس من بعدى المعاهدة مستمرة.

لم يحضر آينيس إلى لورنتيوم لمدة تسعة أيام، فترة الحداد. لقد كان هذا حسن تصرف منه. ذلك لأن قدومه سريعاً سوف يُفهم باستياء على أن الفاتح يفرض انتصاره. وبغض النظر أنه قد أقسم على أن يترك التاج والسيف لـ "لاتينوس"، وأن يحضر فقط آلهته إلى "لاتيوم": فقد رأينا أن هذا الوعد يحنث به مرتين.

ومازال ـ الناس يقولون: "الملك الجديد غير متعجل فى القدوم، أليس كذلك؟" حتى إن النساء المرافقات لى وصفنه بذلك، على الرغم من أننى أخبرتهن أن فى هذا عدم احترام لملكنا الحقيقى. ودارت الكلمة لتصبح أن الطروادى قد أصيب بجرح ويحتاج للمداواة، وقال الناس ببعض من الرضا، " إن

تورنوس أصابه أيضاً بعد كل شيء". إلا أنهم قالوا بإعجاب كيف استطاع أن يطارد تورنوس عبر ميدان المعركة لمدة ساعتين مع السهم المغروس فى عضلة فخذه. عندما أتى كان يمشى وهو يعرج. وكان يبدو مأخوذاً ومنهكاً.

وأرسل إلينا رسولاً لنستعد، وأتى مع مجموعة من القوات تبلغ عشرة أو اثنى عشر رجلاً، جميعهم يركبون الخيول، يلبسون أفضل ملابسهم ويضعون دروعهم التى كانت نظيفة ولامعة. كما يرتدون عباءات وأثوابًا من دون أكمام، تبدو أنيقة قبل الرحلة الطويلة من طروادة، وكان برفقتهم أميران إتروسكانيان رائعان، ولكن لم يكن معهم أحد من اليونانيين: شعوراً بالحزن والمرارة من القلب على موت ابن "إيفاندر"، دعا كل رجاله للعودة إلى "بالانتيوم". وامتطى "آينيس" الحصان الذى أهداه له أبى فى البداية الأولى من اليوم الذى عقدت فيه المعاهدة الأولى حينما وعده بتزويجى إياه. وكان الحصان البنى الجميل مدرباً بصورة جيدة، ولكنه حينما شم رائحة إناث الخيل من أصدقائه القدامى فى الإسطبلات الملكية حينما مر، أرسل صهيلاً عالياً، أجابت عليه بالطبع إناث الخيل بأصوات وهمهمات، بحيث إن جزءاً من دخولهم كان محاطاً بالصخب والضوضاء. ووقف الحراس جانباً من أجلهم عند بوابات لورنتيوم. ومروا بهدوء من خلال "الريجيا". وجاء الناس مسرعين لينظروا. وتجمعوا فوق الأسطح ولكنهم كانوا

هادئين جداً.

وترجل الرجال عند باب البيت. أسرعت من مخبئى فوق الباب، وجئت لأدخل إلى حجرة المجلس من الخلف. لكن جايوس الذى أخذ وظيفة فيروس كقائد لحرس الملك، أوقفنى عند باب الدخول قائلاً: "انتظرى من فضلك حتى نرسل إليك أيتها الملكة".

كان أول من نادانى بهذا اللقب. لست متأكدة أنه كان يعرف ما يقوله. كان رجلاً صامتًا خجولاً وحزيناً، محرجاً من أنه يوقفنى.

و هكذا كان على أن أنتظر عند البوابة غير قادرة على سماع معظم ما كان يقال. كان أبى يعتلى العرش ذا الأرجل المتقاطعة. كان بإمكانى رؤية ظهره والعديد من "الطرواديين". ولكننى لم أكن أرى آينيس. لقد كان هناك حديث يدور. طلب تارشون الإتروسكانى من لاتينوس العفو لأن رجاله بدءوا فى الحرب ضد اللاتينيين، شارحاً أن أهل كايرى قد قرروا أن يأخذوا الطاغية ميزنتيوس من تورنوس فى أرديا، ليعاقبوه العقاب الذى يستحقه. ولكن أحد العرافين أخبرهم أنه ينبغى عليهم أن يضعوا قائداً أجنبياً لمثل هذه الحملة. وقد ظهر آينيس فى اللحظة المناسبة تماماً. وتقبل لاتينوس اعتذاره بسماحة مثل تلك التى قُدِم بها. لم يرد نزاعاً مع إتروريا. وقام درانسيس بدور كبير فى الحديث. لقد كنت أكرهه تماماً منذ موت تورنوس؛ لم يكن لذلك مبرر، ولكننى لم أستطع أن

أتحمل ولوحت بقبضتى غضباً حينما بدأ يتكلم بصوت عال، ثم قال أحد الطروادبين شيئًا ما، وأجابه أحد الإتروسكانيين، وضحك كل من فى المجلس، مما غير الحالة المزاجية، ثم سمعت صوتاً هادئاً له صدى: "لقد أحضرت هدية من أجل ابنتك أيها الملك لاتينوس".

قال أبى: "هذا كرم عظيم ونبل منك يا آينيس وهى سوف تجلب لك ما يستحقه المهر من ثروتنا واعتزازنا".

"ليس لدى شك فى هذا يا مليكى. لكن ما أحضرته، أريد أن أعطيه لها بيدى".

أومأ أبى، وقال إلى كايسوس الذى كان واقفاً عند قدميه: "أرسل فى طلب ابنتى "لافينيا".

وبمجرد أن استدار كايسوس ليحضرنى، أتيت مع جايوس. ووصلت بسرعة غير مُتوقعة. نظر أبى وقد تفاجأ قليلاً.

و أخيراً استطعت رؤية آينيس. لقد كان مختفياً عنى لأنه كان جالساً ـ كان أبى لديه مقعد مطو أُحضر من أجله، نظراً لأنه مازال يعرج. لكنه نهض واقفاً بمجرد أن رآنى، ونظرنا إلى بعضنا البعض، العين فى العين. لقد كان أطول كثيراً منى، ولكننى كنت أقف فوق منصة مرتفعة.

وقد أسعدتنى رؤيته. وجلبت إلىَّ الفرح. وأعتقد أننى أرى وهجاً، انعكاساً لسعادتى على وجهه.

قمنا بإحناء رأسينا بتحية رسمية، ثم قام رجل أسود له وجه ودود ولطيف يُدعى أشاتيس، بإحضار آنية خزفية كبيرة إلى المنصة، ووضعها عليها. لقد كانت مصنوعة من الصلصال الأحمر الثقيل، غير مزينة ومتسعة عند القاع، ولها يدان عريضتان بغطاء محكم. وضع آينيس يديه عليها، كبيرتين عليهما آثار الجروح، فى إشارة رسمية جاءت طبيعية منه وأيضاً بنوع من التأثر الرقيق.

قال: لافينيا عندما تركت طروادة لم أستطع أن أحضر الكثير معى: أبى وابنى وبعضاً من أهلى، وآلهة بيتى وأسلافى. أبى مع آلهة العالم السفلى؛ وابنى يقف هناك، ومعه شعبى، جاهزين لأن يتشرفوا بكِ كأمٍ له، وكملكة لهم. وكذلك إلهتى بيناتيس والأشياء المقدسة لأسلافى أعطيها لك الآن لتحفظيها وتحتفى بها على مذابح بيتنا، فى المدينة التى ستحمل اسمك. لقد جاءوا من طريق طويل ينشدون موقدك وقلبك".

جثوت على ركبتى، ووضعت يدى أيضاً على الوعاء. قلت بصوت خفيض: "سأحتفظ بهم و أقدرهم حق قدرهم".

قال بحماس وهو يبتسم بسعادة غامرة، محولاً نظره عنى نحو لاتينوس: "أين سنبنى لافينيوم"؟

قال أبى: "يجب أن نمضى إلى كل أرجاء البلد ونرى أين المكان الأنسب، فكرت فى المنطقة التى تقع

عند سفح التل، قرب النهر الأب. أرض جيدة للزراعة، وهناك غابة أشجار أعلى منها".

قلت: "أسفل الساحل، عند التلال مع انعطاف النهر القادم من البونيا كان صوتى مازال ضعيفاً وأجشاً.

نظروا جميعا إلىَّ.

قلت: "لقد رأيت المدينة هناك فى الحلم".

استمر آينيس يحدق بى، ووجهه يبدو عليه الاهتمام والجدية، قال: "سأبنى مدينتك، حيثما رأيتها مشيدة يا لافينيا وبعد ذلك تراجع قليلاً للوراء، على الرغم من أننا احتفظنا كلينا بيدينا على الوعاء. ابتسم ثانية، ثم قال: "وهل حلمت بيوم زواجنا؟"

همست: "لا".

قال آينيس: "حدده يا جلالة الملك لاتينوس حدده حالاً!، لقد ضاع الكثير من الوقت بالفعل؛ الكثير جداً من الموتى، الكثير جداً من الأحزان. دعنا لا نضيع الوقت من الآن وصاعداً".

لم يفكر أبى طويلاً قال: "فى مطلع كوينتليس(*) إذا توافر حسن الطالع".

قال آينيس: "سيكون هذا".

وكان هذا بالفعل.

(*) كوانتليس Quintilis: الشهر العاشر من السنة في التقويم الرومانى (المراجع).

كان أمام الطرواديين ما تبقى فقط من شهر يونيو، لكى يبدأوا بتشييد مدينتهم، ويبنوا لنا بيتاً، لكنهم كانوا عمالاً شديدى البأس بشكل مذهل، أكثر انضباطاً منا نحن الإيطاليين. كما إنهم غير معتادين على أخذ كثير من الإجازات. فى اليوم الأول من الشهر الخامس، وجدت مدينة لافينيوم. اتخذت شكل منحنى عند نهر "بارتى" الصغير، لتلتف نصف دائرة على التل الصخرى شديد الانحدار الذى كان هو القلعة. وحول الجانبين الشرقى والجنوبى من التل الذى ينحدر بشكل أقل، كان يوجد خندق وحصن، يعلوهما سياج خشبى، يُظهر أين يقع سور المدينة الذى سوف يُبنى من الحجر الكلسى. ومن الداخل تقود الشوارع إلى الخارج. الطريق الرئيس يرتفع نحو الحصن، مع انعطاف حاد عند المنحدر، قبل البوابة تحديداً، مكان ممتاز للدفاع، هكذا قال باقتناع كل المحاربين القدامى. وعند أعلى التل يرتفع بيت صغير من الحجر، فى مواجهة البوابة: الريجيا. هذا البيت الوحيد الذى تم إنجازه تقريباً بالكامل. نظرت عبر الخيام والأكواخ والسقالات التى بُنيت غالباً كمساكن أخرى. وعبر الجرف نحو الماء الموحل لنهر بارتى، وكثبان الرمل لمسافة ميلين نحو الشرق، ترتفع غرب المدينة غابات السنديان إلى أعلى البركان القديم، الجبل الممتد، ألبا.

كان يومى الأخير فى بيت أبى، فى ذاك الصباح الباكر من اليوم الأول من شهر "كوينتيليز". تزينت كما

ينبغى لعروس، أنا التى اعتدت غالباً أن أزين الأضاحى، مثل الخروف أو العجل، زُينت الآن بدورى مثلهم. ودورى، مثلهما، الاستسلام. فيستينا فرقت شعرى إلى ستة ضفائر بدبوس من البرونز، ولفت كل ضفيرة بشريط حريرى أحمر. ووضعت إكليلاً من الأعشاب العطرية والأزهار، التقطتها من الغابة قبل شروق الشمس، ومن الحقول خارج البلدة. ثم وضعت شريطًا حريريًا فى نهايته عقدة عند خصرى فوق الثوب. فيستينا والعجوز أولا، تجادلتا طويلاً حول طريقة تثبيت العقدة. وفوق كل ذلك ثم وضع وشاح كبير وطويل مصبوغ بلون برتقالى. إنه الوشاح المتوهج الذى ارتدته أم أبى ماريكا عندما تزوجت، ومن قبلها والدتها. وبعد ذلك لحقت بالشبان الثلاثة الذين ينتظروننى عند الفناء الخارجى. جميعهم يحملون مشاعل بيضاء مضيئة. اللهب كان غير مرئى، مجرد اهتزازات فى إشعاعات منتصف نهار صيفى. تقدم كايسوس أمامى، أما الولدان الآخران فقد سارا بجانبى، وأمهما، لوبينا، سيدة وقورة من نساء البلدة، مشت خلفى كوصيفة لى. وجاء بالخلف منا أبى ومستشاروه، ومن تبقى من مرافقيه، وحراس الشرف الطرواديون الذين أرسلهم آينيس، وكل شخص أراد أن يحضر الزفاف.

عبرنا قوس الريجيا، والناس ينضمون إلينا طوال الطريق. جميعهم يرددون كلمة الزفاف التى لا يعرف أحد معناها تالاسيو! تالاسيو!، ويرمين حبات البندق،

ويطلقن النكات الجنسية. كانت النكات الجنسية إحدى طقوس الزفاف، الأمر الذى بدا مفاجئاً لـ "الطروادين". كان هناك وقت كافٍ لإبلاغهم بالأمر، طوال مسافة سيرنا جميعاً إلى "لافينيوم"، ما لا يقل عن ستة أميال. أعيد إشعال مشاعل الزفاف أو استبدالها عدة مرات، وحين شعر الناس بالجوع، بدءوا يأكلون حبات البندق والجوز، بدلا من أن يلقوها على موكب الزفاف. وقام باعة المياه بعمل جيد طوال الطريق، ببيع المياه المحمولة على صغار الحمير.

كان غريباً بالنسبة إلىّ أن أسير فى هذا الوشاح المشع، أنظر للعالم من خلاله. كل تلك الممرات كنت أعرفها جيداً، كل التلال والحقول والغابات، كانت معتمة قليلاً ولونها شاحب، كما لو أن الوقت هو الغروب. أحسست أننى مفصولة عن كل هذه الأشياء، كل الناس، وحيدة، فى طريق لا أود أن أكون وحيدة فيه على الإطلاق.

عندما وصلنا أخيراً إلى الباب الأمامى للبيت، أعلى التل فى المدينة الجديدة. استدار كايسوس، مع هتاف جعل المشاعل المتوهجة تهتز، ثم رماها عالياً، بعيداً قدر المستطاع، من فوق الجموع التى تسير خلفنا. كان هناك زحف باهتياج مع صيحات للحصول عليها، فقد كان الناس يحرقون أيديهم لاجتذابها لأنها تجلب الحظ السعيد.

بعد ذلك هدأ الجميع ثانية، وراقبونى وأنا أضع عند عوارض الباب كتلة من دهن الذئب الذى حملته فيستينا، وأعطته لى كى أستخدمه - كان بنياً باهتاً، برائحة مميزة، ثم ناولتنى قطعاً رقيقة من الحرير الأحمر، وبدورى ربطتها عند عوارض الباب، وأنا أتمتم كلمات التعبد إلى جانوس، حارس البوابات.

طوال هذا الوقت كان آينيس واقفاً فى الظل داخل الباب، صامتاً لا تصدر عنه حركة، يراقبنى.

وعندما تُركت، ظللت واقفة وأنا أنظر إليه.

سأل السؤال الذى يُسأل: "مَنْ أنت؟".

وأجبت بالإجابة التى تُقال: "طالما أنت جايوس[1] فأنا جايا[2].

ثم تقدم فجأة مع ابتسامة عريضة، رفعنى عالياً، وسار بى فوق عتبة منزلنا، ثم أجلسنى فى الداخل.

وهكذا صرت زوجته، أم شعبنا، شعبه وشعبى.

كزوجة لم أشعر أبداً بذاك الحزن الغاضب الذى اعتدت أن أحس به، وتحدثت عنه مع شاعرى فى "ألبونيا"، وأنا أسأل لماذا يجب على الفتاة أن تُربى فى بيت وتعيش كامرأة فى اغتراب. فى الحقيقة كان اغترابى مسألة بسيطة. منذ أن قطعت عدة أميال من بيتى القديم، بيت أبى، "الريجيا" المحبب، مع شجرة

(١) جايوس Gaius: اسم للإله الفرعون المصرى. (المراجع).

(٢) جايا Gaia: إلهة الأرض فى الميثولوجيا اليونانية. (المراجع).

الغار الضخمة، وروح "اللار"(*) المألوفة فى طفولتى.
لكن هناك ما يفوق ذلك. الرجال يتهمون النساء بالغدر، بالتقلب. وبالرغم من أنهم يقولون هذا من واقع الغيرة على شرفهم الجنسى المهدد، إلا أنه يوجد شىء ما من الحقيقة فى هذا. فنحن يمكننا أن نغير حياتنا، وجودنا، بغض النظر عن رغباتنا، نحن نتغير. فكما يتغير القمر نحن نتغير، نكون عذراوات، زوجات، أمهات، جدات. لكل هذا هم مؤرقون، فالرجال يبقون كما هم، حالما يضعون عباءة الرجال، لا يمكنهم أن يغيروها ثانية، لذا يصنعون صفة القوة من هذه الصلابة، ويقاومون قدر المستطاع كل ما يلين من قسوتهم ويطلقهم أحراراً. لكننى بالتخلى عن ذاتى كفتاة، وبأخذ مسئوليات المرأة، أجد نفسى أكثر تحرراً من أى وقت مضى. فإذا كنت مدينة بالواجب نحو زوجى، من السهل جداً أدائه. ومع نمو التفاهم بيننا وتقدم كل منا فى ثقته بالآخر، لن يكون هناك أى قيد على، سوى ما يفرضه الدين، وواجبى نحو شعبى. لقد نشأت معهم، هم جزء منى، ليس بشكل ظاهرى، أو بعبودية، بل على نحو أدق، فى توسيع فضائى الروحى والذهنى، لقد حررونى من ذاتى الضيقة.

لم أحضر معى بيناتس، إلهة البيت، فى "لورنتيوم". قام أبى بتحرير جاريته، أم مارونا لتكون خادمتهم وحارستهم فى مكانى. وحينما دخلت للمرة

(*) لار Lar: الروح الحامية للمنزل فى الميثولوجيا الرومانية. (المراجع).

الأولى إلى بيتى على ذراعى آينيس، فإن بيناتيس، إلهة منزل أبيه فى طروادة، كانت تقف على المذبح فى خلفية الردهة المركزية: كانوا آلهة بيته، والآن آلهة عائلتى. وأنا كنت خادمتهم وراعيتهم. سلطانية كبيرة من الفضة الرقيقة، تعلوها نقرات، جاهزة لاستقبال الوجبة المقدسة. كانت القناديل من الطين الأسود اللامع. كان يوجد على طاولة عشائنا طبق مطلى بالأحمر والأسود، وفيه كومة من الفول، الطعام الذى ينبغى أن يكون جاهزاً على الطاولة، لأن الآلهة تشاركنا به، وبالقرب منه مخزن الملح: جميع الأشياء كما ينبغى أن تكون. وعلى موقد "فيستا"، النار المقدسة، تحترق صغيرة وصافية.

كان عمر آينيس ضعف عمرى حين تزوجنا. حين رأيت جسده كله للمرة الأولى، عضلاته كلها، وأعصابه وعظامه، وندباته، فكرت بالذئبة النحيلة والقوية التى أمسك بها آلمو وأخواته، ووضعوها فى قفص قبل أن يقتلوها كأضحية لـ مارس. تشكل جسد آينيس عبر تمرين قاس. لكن الرجل ليس ذئباً، ولا كان رجلاً قاسياً. عرفت أنه أحب امرأتين قبلى، وحزن على كل منهما. وعلى الرغم من أنه عرفنى فى البداية كبند فى معاهدة، لكنه قرر بشكل طبيعى أن يتعامل معى كزوجة وثيقة الصلة بكيانه. فكرت فى البداية أن شبابى أزعجه. كان خائفا أن يؤذينى. امتدح جمالى بسرور متشكك. احترم جهلى، لكننى لم أكن صبورة على ذلك، وكنت جاهزة للتعلم منه فوراً ما يتعلمه.

وكلما مارسنا الحب تذكرت فى الغالب ما قاله لى شاعرى، من أن هذا الرجل ولد من الآلهة، القوى التى تحرك النجوم والأمواج، وتجمع الحيوانات فى الحقول خلال الربيع، قوة الرغبة، وضوء نجمة المساء.

لا أقدر، لا يمكننى البوح بكثير من التفاصيل عن السنوات الثلاث الأولى لزواجنا، لأن عقلى يمنعنى من الكلام كثيراً عن الأفعال والتعهدات التى تبدو على جانب كبير من الأهمية بالنسبة إلينا، وتملأ أيامنا كلها. وفى الحقيقة كانوا مهمين بالنسبة لكلينا ولشعبنا، وقد ملأوا حياتى ليس فى ذاك الحين فقط، بل فيما بعد أيضاً. اكتملت؛ لذا على الرغم من أننى عرفت حزن الترمل، نادراً ما شعرت بالخواء التام. أظن أنك إذا خسرت سعادة كبيرة، وحاولت استعادتها، فإنك تسأل عن الحزن فقط، لكنك إن حاولت ألا تكترث بالسعادة، فستجد شيئا ما يسكن فى قلبك وجسدك، صامت، لكنه مقيم. إن تعقب السعادة التامة كما أعرف هى للطفل وهو يرضع على صدر أمه. من هذا أعرف ما هو الاكتفاء التام. لكننى لا يمكن أن أستعيده بالتذكر، بالكلام، بالشوق.

عرفت كم هو قصير الزمن الذى سيعيشه آينيس، وهو لم يعرف. أو أظن أنه لم يعرف. لا أعلم ما النبوءات التى سمعها خلال رحلته، أو عندما مضى بين الظلال. لو أنه عرف، فإن المعرفة لن تثقل عليه أو تجعله يغير وجهة نظره أو يقلص من أمله على الإطلاق. كان ينظر للمستقبل بدون خوف، ويسعى

ليهيئ الوقت للمجيء. كان رجلاً يبنى مدينة، يؤسس أمة، يعمل فى كل اتجاه يقدر عليه من أجل كيان شعبه، عائلته، نفسه. كان درعه معلقاً فى قاعة بيتنا الداخلية، مليئاً بالصور للزمن الآتى، بالملوك، بتلال المعبد، بالأبطال وحروبهم. لقد حمل مستقبل شعبه على كتفيه فى الحرب. الآن هو معنى بإيجاد ذلك المستقبل فى السلام.

بعد عشر سنوات من الحرب فى طروادة، واجهته الحرب هنا، مفتوحة، وغير مرغوب بها، هنا على الشاطئ الإيطالى. لم يكن يود أن يواجهها ثانية. كان مصمماً على إقامة سلام دائم، كما فعل لاتينوس. كان هدفه الأساسى والراسخ أن يبنى سلطة القانون، وعُرف التفاوض والتحكيم، وتفوق المنطق الصبور على الاندفاع العنيف، بين الطرواديين واللاتينيين الذين بنوا "لافينيوم" معهم، وبين كل الشعوب المجاورة.

لم يأخذ هذا وقتًا طويلاً منى لأدركه، ما إن مرت السنة الأولى، عرفت كيف يفكر مطولا فى نهاية الحرب المختصرة هنا فى إيطاليا. كيف زعزعت وشكلت كل تفكيره عن كينونته وواجبه. ليست الحرب بحد ذاتها: فما كان بالإمكان تجنبها، عندما يقود مارس الرجال، ينبغى على مارس أن يُطاع فى غاياته. كانت نهايتها ما يثقل على آينيس: مسألة موت تورنوس. بالنسبة إليه، هذا يضع كل بقية الأمور موضع تساؤل.

رآه نوعاً من القتل. رأى نفسه كقاتل. حجب سيفه، وأعطى الوقت لـ "تورنوس" كى يستسلم له تماماً وبشجاعة، إلا أنه وبعد ذلك، استبعد الالتزام بالإبقاء على العاجز والعفو عن المهزوم، فى غضب الانتقام قتله. إنه ارتكب عملاً شريراً لا يوصف.

تحدثنا فى الصباحات الصيفية قبل الذهاب للعمل؛ تكلمنا فى العتمة، فى سرير زواجنا، فى ليالى الخريف الطويلة. تعلم أن بإمكانه الكلام معى ـ حسب اعتقادى ـ كما لم يتكلم أبداً مع أحد من قبل، فيما عدا ربما كريوسا منذ زمن بعيد، فى السنوات المظلمة لحصار طروادة، حين كان شاباً. كان رجلا يفكر بعمق وباستمرار بما فعله، وما ينبغى عليه فعله، ورحب فى وعيه النشط بإصغائى، وصمتى، ومحاولاتى للإجابة التى كانت نضالاً من أجل الوضوح. ورحب جهلى بتساؤله الذى علمنى ما هو جدير بالتساؤل.

قلت: "لقد كنت غاضباً، من الطبيعى أن تكون كذلك، تحداك تورنوس فى البداية، ثم تعمد الفرار منك، وجعلك تطارده، وهو يعرف أنك مصاب لاتحتمل. لقد كان تكتيكاً جباناً".

"إذا كان هذا تكتيكاً، فكل هذا منطقى فى الحرب".

"لكنه نقض المعاهدة!".

"تلك لم تكن فعلته. لقد ترك أخته تتكلم، وكاميرس، وتولومينوس، الذى رمى الرمح. صدقينى،

ليس لدى أى ندم على قتل تولومينوس... لكن تورنوس لم يتكلم، فى ذلك الحين أو فيما بعد. لم يتكلم حتى النهاية. لقد تصرف مثل رجل واقع تحت تأثير سحر".

قلت: "هذا ما قاله سيريستوس قال إن البومة التى رآها ـ قبل أن تُقابل تورنس مباشرة ـ هو لا يعرف إذا كان قد شاهد بومة تحلق حول رأس تورنوس تضربه بجناحيها، أو إذا كان قد شاهد شيئًا ما كان تورنوس يراه، لم يكن موجوداً هناك بالفعل".

شعرت أن آينيس يرتعد قليلاً. لم يتكلم.

بعد وقت طويل قلت: "أظن أن ميراث تورنوس كان فيه بعض من الشر. فى عائلة أمى. شىء مسعور. جنون. ظلمة. تسرى فى عروقهم مثل أفعى سوداء، نار من دون ضوء. أوه، أرجو من كل إلهاتى والأم الأرض وجونو أن يحمونى أنا وطفلى منها!".

عرفت حينئذ أننى حامل؛ وارتعشت أنا أيضاً حينما كنت أتكلم، وأمسكت بـ"آينيس" أحتمى به. طمأننى ولامس شعرى بحنو.

قال: "لا يوجد فيك شر، أنت روح نقية مثل ينابيع نوميكوس(*) فى أعلى التلال، نقية وواضحة".

لكننى فكرت بالربيع فى "ألبونيا"، صامت، شاحب، تحت عفن ضبابها المائل للزرقة.

(*) نوميكوس Numicus: هو نهر فى لاتيوم القديمة ينساب إلى البحر فيما بين مدن لافينيوم وأرديا وفقًا للميثولوجيا الرومانية (المراجع).

قال: تورنوس كان شاباً، طموحاً، متعجلاً. لكن ما هو الشر الذى كان به؟".

قلت فى الحال: "جشعه، الجشع، الأنانية - نفسه، نفسه! هو يرى من العالم فقط ما يريده. لقد قتل الصبى اليونانى من أجل حزام سيفه. وقتله بوحشية، وتباهى بذلك! هذا ما لا يمكنك تحمله - أن ترى الحزام على كتفه".

"لقد قتلت الصبى الإتروسكانى لاوسوس بوحشية".

"لكنك لم تتباهى بذلك؟".

"لا، لقد أحزننى الأمر، فما الجيد فى فعل ذلك؟ لقد مات".

"لكن آينيس لم يبق على أى أحد فى هذه المعركة، حتى حينما كانوا يتوسلون من أجل حياتهم - أنت قلت ذلك". فيما بعد تذكرت أنه لم يكن آينيس من أخبرنى بهذا، بل الشاعر. لكن لا أنا ولا آينيس لاحظنا حينها، وتابعت كلامى، عبرت عن رغبتى فى أن أخفف عنه كربه - "أنت قاتلت حتى الموت، ليس فقط أنت وتورنوس لكن كلكم. ليست القضية أنك كنت مسكوناً بشهوة الدماء، أو بارداً مثل مياه البحر، لقد فعلت ما عليك فعله. بالاس حاول أن يقتل تورنوس وكذلك قتله تورنوس لاوسوس حاول أن يقتلك وأنت قتلته. تورنوس حاول قتلك، وأنت قتلته. لقد كان تحدياً للموت بينك وبينه. لا شىء آخر من الممكن أن ينهى الحرب. إنه

قانون الحرب. أليس كذلك؟ وأنت أطعته. فعلت ما كان ينبغى عليك أن تفعله، ما كان يجب فعله. كما تفعل دائماً!".

لم يقل شيئاً لبرهة، وبعد ذلك لم يتكلم إلا قليلاً. ظننت أن حجتى قد غلبته. لكنه كان مصدوماً بها.

وحدث أخيراً فقط أن رأيت أننى أخذت منه لوم النفس الذى سمح له ببعض التبرير النفسى. فإذا لم يستطع أن يرى غضب معركته على اعتبار أنه العدو لتقواه، على أنه الضراوة تهزم للحظة الجانب الأفضل فى نفسه، إذا لم يستطع أن يرى قتله لـ"تورنوس" على أنه اختلال لحظى مميت، ثم عليه أن يرى الضراوة على أنها جزء من طبيعته الحقيقية، جزء من النظام الحقيقى للأشياء، النظام الذى قضى حياته يحاول أن يدعمه، يخدمه، يحافظ عليه. فإذا اعتبر هذا النظام قتله لـ"تورنوس" على أنه فعل سليم، فهل كان هو - فى حد ذاته - فعل صالح؟

لقد أكد موت تورنوس على انتصار قضية آينيس، لكنها كانت هزيمة مميتة لـ "آينيس" الإنسان.

وحيث إنه قد صُدِم، فقد سمى آينيس القتل تضحية. لكن بماذا ومن أجل ماذا؟

لم أعرف أى نوع من الشجاعة تلك، كنت أسأل بطلى الصبور. لم نتكلم ثانية بالأمر. ذهبت فى تفكيرى إلى أننى خففت عن عقله إحساسه غير

الضروري بالذنب، طمأنته، خلصته من الحاجة إلى الشجاعة. فالزوجات الشابات يمكن أن يكن حمقاوات عظيمات.

تنامت مدينتنا حول "الريجيا" الصغرى الخاصة بنا سريعاً جداً إلى حد أنها بدت غير واقعية في بعض الأحيان، مشهد مثل حلمي بها؛ لكن أن تنظر للخارج من باب بيتنا وترى الأسقف والأسطح القرميدية في الجوار، وتشم رائحة الطهو تنبعث من البيوت، وتسمع ضجيج السكان، الزوجة "اللاتينية الشابة تنادي على زوجها الطروادي، عامل يصيح في مساعده، طفل يغني أغنية لعبة القفز - كل هذا كان حقيقياً، في كل صباح ومساء، وأمر حيوي ومبهج. بدت "لافينيوم" مشابهة لأية مدينة أخرى على ساحلنا، على الرغم أن قلعتها تقف أعلى من الكثير منها التي تقع على التلال الحجرية فوق نهر "باريتي" المظلم الصغير. فالطرواديون لو تركوا لأنفسهم، سيبنوا بيوتهم بشكل مختلف، لكن النجارين كانوا إيطاليين، وقاموا بالأشياء كما يقومون بها دائماً. وأنا أصررت على أن كل شجرة داخل السور يمكن أن تظل واقفة يجب أن تكون واقفة. فكر "الطرواديون" أن تأتي الأشكال الغريبة منها في البداية، لكنهم اعترفوا بفائدة الظلال في منتصف الصيف، وأتوا ليأخذوا مكاناً تحت السنديان أو الغار أو الصفصاف التي تحمي بيوتهم. كان لدينا أقل ظل في "الريجيا"، لكنني أحضرت برعماً من شجرة غار في منزل أبي في الفناء، وفي

غضون عام، ارتفعت فوق رءوسنا. وزرعنا كرمة عنب لتتسلق التكعيبة وتظلل على نهاية الجزء الجنوبى من الفناء.

كان هناك الكثير من حفلات الزفاف فى هذه السنة الأولى. لم تأت الكثيرات من النساء على هذه المحطة الأخيرة للانسحاب الطويل من طروادة. كان الرجال متشوقين لأخذ زوجة، متى تسنى لهم أن يجدوا واحدة. ومع قدوم الشتاء لم تتبق فتاة لم تتزوج فى لاتيوم، والرجال اللاتينيون غير المتزوجين اشتكوا من هذا الأمر بشدة. كان سيلفيوس هو أول طفل يولد فى لافينيوم، ولكن قبل انقضاء شهر مايو، كان فى البلدة خمسة صغار "طرواديون. لاتينيون" يبكون فى مهدهم فى أنحاء المدينة، وكانت القوى التى تحضر الولادة مشغولة طوال تلك السنة، والسنوات التى تلتها.

العائلات المحلية التى صاهرت الطرواديين كانت منجذبة إلى المدينة من خلال روابط المصاهرة، وأتى العمال مدفوعين بالحاجة لممارسة حرفهم. العديد منهم استقروا، فقد أحبوا المدينة الجديدة وملكها. لم يمر وقت طويل حتى صار هناك "لاتينيون" أكثر من الطرواديين فى لافينيوم. المحاربون الأشداء الذين أتوا من بعيد مع آينيس، الإيطاليون يزرعون إلى جانب المزارعين الوطنيين. فمدينتهم العظيمة الأسطورية ونسبهم النبيل الذى لا يعنى شيئاً، وكل المغامرين وكل الرياح والرحلات، غرقت وذابت فى الألفة المنزلية

اليومية، وفى الحياة البيتية لمنزل صغير، فى مدينة صغيرة، فى أرض أجنبية.

كان هذا صعباً على بعض منهم، الشبان منهم تحديداً. الرجال الذين تجاوزوا الثلاثين كانوا فى معظمهم أكثر سروراً أن يُدفعوا للعمل الشاق والمياه المالحة، أن يكون لديهم موقد خاص بهم، وسرير فيه زوجة. لكن آينيس لم يدع عينيه تغفل عن الشبان المراهقين وفى العشرينيات، جعلهم يقومون بالمهمات الأكثر صعوبة، أى شىء فيه خطورة بأى شكل كان يُدفع به لهم، كما حرص على القيام بسلسلة من التمارين والألعاب الأوليمبية، ليتنافسوا من أجل البطولة فى إحدى المهارات، أو رياضة بعد أخرى، بينما الرجال الأكبر سناً والأطفال يتفرجون عليهم ويشجعونهم. الشبان اللاتينيون رحبوا بهذه الألعاب، والعديد منهم انضموا إليها بروح تنافسية عالية. كان هناك العديد من الأيام المقدسة عند "الطروادييين" يتم تمييزها بالألعاب، وآينيس أضاف كل احتفال لاتينى تمكن من إضافته إلى التقويم، لذا كان الشباب دائماً فى تمرين مستمر لمناسبة أو لأخرى.

لقد تعلم اسكانيوس ابن زوجى ركوب الخيل فى أفريقيا وكان خَيَّالاً ممتازاً، يأتى فى المقدمة عادة فى أى عرض للركوب أو تدريب. وفى رياضات أخرى، مثل الرماية، السباق، القفز، المصارعة، رمى الحجارة، والتمارين العسكرية بالسيف والرمح، لم يكن - بطبيعة الحال - الأفضل، لكنه فكر أن عليه دفع نفسه بشدة

للتفوق. عنما يكون الخامس أو السادس، أو حتى الثانى، يكون غاضباً وخجولاً، ويود لو يجادل الحُكام، أو يعبس ويوبخ نفسه بشكل مطول. إذا لم يكن الصياد الذى قتل الخنزير أو الغزال، يرجع إلى البيت من الصيد وهو مكتئب. كانت لديه جدية أبيه وإحساسه بالواجب. ولكن لم يكن لديه إحساسه بالتناسب أو الصبر الشديد. إن أميرهم الشاب كان بطبيعة الحال عزيزاً عند الطرواديين المنفيين خلال ترحالهم، وأظن أنهم عندما كانوا فى قرطاج، فإن الملكة أسرفت فى تدليله، لأنه كان دائم الحديث عن الأشياء التى تركته ديدو يقوم بها، وعن الروعة الموجودة فى إفريقيا. لو أنه لاحظ كيف يتغير وجه والده عند سماع هذا الحديث، لما سأل أبداً عن السبب. كان قد كبر عدة أعوام عما كان، كان حريصاً متحفظاً. لم يكن بمقدورى أن أكون الأم الودودة التى فقدها. بدوت له، وحتى لنفسى مثل أخت كبرى، القوة التى تزاحمه على حب والده. وكان يغار من أخيه الطفل غير الشقيق. لا يوجد أب من الممكن أن يحب ابنه كما أحب آينيس أسكانيوس، لكن أسكانيوس لم يشب إلى هذا الحين على نبل القلب الذى يجعله يتقبل ببساطة هذا الحب. ظن أن بإمكانه كسبه حين يبرهن أنه أكثر تفوقاً. كان متململاً وغير سعيد، وغياب سعادته هذا أتعب والده. ولحسن الحظ أنه أحب الصيد، لذا كان يُرسل مع جماعة الصيد إلى أعالى الجبال كلما رغب بذلك. لم تكن دواجننا ومواشينا قد تكاثرت بعد، لذا كان

الصيد مصدراً للطعام بالنسبة إلينا. أسكانيوس شعر بنفسه مهماً، بطلاً، مفيداً لوالده، عندما يعود بخطوات متسارعة مع وليمة من اللحم، أو جلد دُبٍ، أو حمولة غزال، أو ناب خنزير كغنيمة.

كان ابنى سيلفيوس قد ولد فى اليوم الذى أعقب كاليندس(*) مايو، مبكراً عن وقت حساباتنا قليلاً، لم يكن ولداً ضخماً، لكنه وسيم. حتى عندما يبدو وجهه الأحمر مسطحاً، وعيناه مائلتان مثل عيون القطط الصغيرة، كنت أرى ملامح والده كامنة فيه، خط الحاجب البارز، والأنف المرتفع. ابتسم بشكل جلى قبل أن يتم شهره الأول، وذرف دموعاً حقيقية بعد ذلك: حينما حمله أبوه، إنه رجل يميل إلى الدعابة، ويتحول بسرعة للبكاء. رضع سيلفيوس بشراهة، ولم يصبه مغص، ينام بعمق، وحين يستيقظ يكون متنبهاً ومليئاً بالبهجة. لا يوجد الكثير من الممكن قوله عن طفل إلا عندما تتحدث مع أبيه أو أمه أو مربيته، فالأطفال حديثو الولادة ليسوا جزءاً من العالم أو من اللغة المألوفة، فالكلام غير مناسب لهم، كما أنهم غير مناسبين للكلام. كان سيلفيوس طفلاً جميلاً، منح والديه بهجة لا حدود لها. وهذا يكفى.

لم تكن هناك مشاعر مريرة نحو شعب آينيس من قبل شعب لاتيوم. فقد رأى اللاتينيون الآن، أنهم قد استُخدِموا من قبل الروتاليين ليقاتلوا فى حرب كانت مهمة بالنسبة إلى تورنوس أكثر منهم. لقد ذاقوا

(*) Kalends: مطلع الشهر فى التقويم الرومانى.

الهوان، وكانوا سعداء أن يتركوا ذلك كله خلف ظهرهم. أبى لاتينوس شعر بالفخر أكثر من أى وقت مضى، ورأى شعبه جهوده للحفاظ على السلام ونبوءاته تتحقق بالكامل. أفرحته نواياهم الطيبة، لكنه كان رجلاً مجرداً من بهجة الحياة. كانت صحته تسوء. والحرب، على الرغم من زمنها القصير، جعلته هرماً. استدعى آينيس مراراً ليأتى إليه إلى لورنتيوم، أو كان يأتى إلى لافينيوم لينصحه أو يستشيره بشأن من شئون الحكم والأراضى التابعة، يناقشه فى الزراعة، والمحاصيل، والتجارة. جعل الأمر واضحاً، أن آينيس كان ابنه، ملك لاتيوم القادم، مما جعل مستشاريه يدعمون آينيس، وإلا سيخسرونه. كان كريماً معنا بشكل كبير، يترك مزارعه الملكية مفتوحة أمام مزارعينا، يزود قطعاننا بالكلأ الجيد المتوفر لدواجنه وقطعانه. وهكذا نمت "لافينيوم" وازدهرت منذ البداية.

خلال عامين تمكنت المدينة من جذب الناس من المدينة القديمة. الناس يقولون لبعضهم البعض: "الأشياء مزدهرة عند ضفة براتى ماذا لو أقمنا متجراً هناك؟"؛ لذا بدأت لورنتيوم ببطء تصير المدينة التى هى عليها الآن، صغيرة جداً، خاملة، مكان صامت، بواباتها من دون حراسة، بيوتها المهملة مظللة بأشجار ضخمة، فلا يوجد أحد فى الريجيا، فيما عدا بعض الحراس القدامى وزوجاتهم وعبيدهم ليعتنوا ببيوت الآلهة، ويجلسون للنسج عند البركة تحت شجرة الغار الضخمة.

واذا كان معظم اللاتينيين لم يحقدوا على شعب آينيس، لكن تيروس العجوز فعل ذلك، وابنه الوحيد الذى نجا من الحرب، وابنته سيلفيا. جميعهم لم يسامحوا الطرواديين، ولم يرغبوا أبداً فى مسامحتهم. الرجل العجوز تحدى لاتينوس علناً، دعاه بالجبان الذى باع مملكته وابنته إلى مغامر أجنبى. كان يصرخ: لماذا لا يهب اللاتينيون" ويطردوا المغتصبين؟ انظروا لما يفعله الملك، إنه يعطى قطعاننا إلى هؤلاء السارقين! . تركه لاتينوس يصيح، تركه يحتفظ بوظيفته كراعٍ ملكى، لم يعاقبه أبداً أو يراجعه. صدم هذا الأمر بعض الأشخاص مثل درانسيس الذى قال إن الملك يُعرض كرامته وسلطته للخطر بالسماح للخائنين بالكلام، لكن لاتينوس تجاهل درانسيس، كما تجاهل تيروس. ولما كانت جعجعته لم تحدث أية استجابة، أسقطه الناس من حساباتهم على أنه رجل عجوز ممرور يهذى بكلام غير منطقى من جراء حزنه الجارف. أما بالنسبة إلى درانسيس، فلم يثق به آينيس بأكثر مما وثقت فيه؛ هو ولاتينوس تركاه يتكلم، وتركا كلامه يتلاشى إلى لا شىء.

إن الغزال، كيرفولوس الذى أصابه أسكانيوس، لم يمت بسبب الجرح، بل عاش لعدة سنوات، كسيحاً وخائفاً، يمكث دائماً بالقرب من المزرعة؛ هكذا أخبرنى الناس فى لورانتيوم. أرسلت إلى سيلفيا مرة أسأل إذا كان بإمكانى زيارتها. لم ترسل إلى رداً. ومنعنى الجبن من الذهاب إلى هناك. خشيت أن

يواجهنى العجوز بنوبة غضب، ويهين زوجى، وأن تشيح سيلفيا بوجهها عنى. تزوجت مؤخراً، من ابن عمها الذى أتى لمساعدة أبيها وأخيها مع القطعان؛ لذا فإنها لم تترك بيناتس، إلهة بيتها، بل عاشت كل حياتها فى مزرعة البيت. ولم أرها ثانية.

فى خارج لاتيوم، وبين حلفائنا وجيراننا من الممالك، تركت الحرب شعوراً بالقسوة، وخزنت الحزن فى القلب. كل الناس الذين أرسلوا محاربين لمساعدة تورنوس، شُوهِدوا وهم يعودون للوطن مصابين، ملكهم وقادتهم ماتوا. كانت إدارة الحرب نفسها عبثية. معاهدة أُبرِمت ثم خُرِقت فى وقت قصير، ثم أُعيدت، ثم خُرِقت من جديد. كما أن أهدافها لم تكن واضحة تماماً، وبالكاد كانوا يعرفون من ينبغى عليهم أن يلوموا. وكان من السهل إلقاء اللوم على طموح تورنوس. لكن لاحقاً، لاتينوس سمح لشعبه أن يقاتل بجانب تورنوس، كما لو أن هناك تحالفاً للإيطاليين لطرد الأجانب بعيداً. وذُبِح ملوك وقادة "الفولسكانيين" والسابينيين، ليس على يد الإيطاليين، بل على يد الطرواديين والإتروسكانيين واليونانيين. كل شخص يعرف أن "الإتروسكانيين" يسعون للسيطرة على الولايات الجنوبية؛ واليونانيين لا يُوثق بهم أبداً؛ ومن هؤلاء الطرواديون الذين أبحروا مطالبين بإيطاليا كلها كما لو أنها إرث لهم؟

لأن كلمة من تلك النبوءة قد خرجت. مع أن آينيس لم يتحدث بها علانية، فإن البعض من ناسه

فعلوا: قالوا كيف أحضرهم إلى هنا، متبعاً النبوءات والعلامات ليحكم البلد كلها، ليؤسس إمبراطورية أبدية مجيدة. أسكانيوس تحدث بهذا مع الشباب اللاتينى الذين صاروا الآن أصدقاءه. أحضرهم إلى فناء بيتنا ليريهم درع آينيس بنبوءاته الغامضة عن الحروب التى تنشب ولا تنتهى. قال لأصدقائه: "هؤلاء المحاربون، هؤلاء الملوك هم أسلافى". وحينما كان يتكلم، مررت وأنا أحمل سيلفيوس الصغير على كتفى، كما حمل آينيس الدرع.

فى الربيع الثانى، فى نهاية شهر مارس، التقت مجموعة من "الروتاليين" والفولسكانيين سراً فى مكان خارج أرديا، وعادوا عبر البلد فى أواخر الليل وفى الصباح الباكر هاجموا لافينيوم. كانت أسوارنا مبنية صلبة حينئذ، لكنها لم تكن موضوعة تحت الحراسة ضد الهجوم؛ تُغلق مع الغروب، وتفتح بوابات المدينة فى الصباح الباكر، كى يدخل ويخرج منها الرعاة وقطعانهم وحيواناتهم.

كان التحذير الأول عبر ولدين من الرعاة، جاءا يصرخان بنداء متكرر عبر المنحدر، جيش، جيش قادم". كرر حراس البوابة التنبيه. وبشكل طارئ، أسرع آينيس، مثل قط، إلى أعلى، وإلى الخارج، مستدعياً أسكانيوس، وأشاتيس، سيريستوس، ومانسيوس، ليحشدوا الرجال تحت السلاح، قبل أن أستوعب أى شىء على الإطلاق.

حين صعدت إلى أعلى لأنظر من خلف الجدران، رأيت حشداً من الرجال، يتقدمون عبر الحقول، مثل غيمة سوداء محشوة بحواف الرماح اللامعة، سريعة الحركة، وصامتة، استحوذ على الرعب. إنها الحرب من جديد. إنه مارس جاء ثانية ليحطم الأبواب، الدم والموت والدمار، نهاية كل شىء. أمسكت سيلفيوس وضممته إلى صدرى، انحنيت لأننا كنا محميين بحاجز السطح الخارجى، واندفعت بالبكاء مثل كلب جريح. لقد فقدت شجاعتى العذرية. كنت جبانة. امرأة منحنية مثل غالبيتهن، خائفة على طفلى وزوجى. لحسن الحظ مارونا لم تكن كذلك، وبمجرد أن فكرنا أن "لورنتيوم" تقع تحت حصار، بدأت بالكلام معى عن الإمدادات، الماء، الخشب لمواقد الطهو، وبذلك أخرجتنى من حالة العجز التى كنت بها. نزلت إلى أسفل معها وأديت صلاة الصباح، وحينها رأيت ما ينبغى فعله.

لم يدخل المهاجمون المدينة: محاربونا تمكنوا من دفعهم بعيداً عن البوابة ليقابلوهم هناك، آينيس ومحاربوه القدامى الطرواديون والشباب الرياضيون تسلحوا بالسيف والدرع، بالرمح والحربة، وأهالى البيت لوحوا بأدواتهم، بمعاولهم، ومناجلهم. تقابل الحشدان وجها لوجه عند السور الخارجى أمام المتراس الترابى الدائرى، حيث تقاتلوا بوحشية لكن لوقت قصير. الرماة الشبان صعدوا إلى أعلى بوابة البرج، ليرموا المهاجمين ويبعثرونهم، ويغيروا مسارهم.

معظم رجالنا طاردوهم، البعض منهم توقفوا للإمساك بحصان من القطيع والاحتفاظ به قرب الإسطبل، لكن آنيس أحضر "الطرواديين" وكل الشباب الذى تمكن من إعادته إلى المدينة. كنت أنتظر أمام المنزل حين وصل مع قواته إلى الشارع واستدار ليتكلم معهم. قال بصوته الذى يمكنك تمييزه بين سائر الأصوات، حتى عندما يتكلم بهدوء: "كم هى بداية حيوية مع مطلع هذا اليوم؟"، ضحكوا جميعاً وحيوه، ثم تابع قائلاً: "نحن فى موقع جيد لنسيطر على الأمر. كلما خسروا رجالاً أقل، احتاجوا لدرجة أقل من الانتقام. الأمر برمته من الممكن نسيانه بسرعة. من يقودهم؟ هل شاهدتم أحداً؟"

تعالت عدة أصوات من "اللاتينيين"، كاميرس الشاب كاميرس من 'أرديا.'"

"حسناً، ليس من الملائم أن يتعقبوه سريعاً الآن. هل جميعهم روتاليون لم يستطع أن يخبر الناس والقبائل من فرد إلى آخر كما يمكننا كمواطنين، لكن حتى لو كان قد حدد المهاجمين، لربما سأل عن معلومات؛ وهو يعرف أن الناس يحبون أن يُسألوا، يحبون أن يكونوا العارفين.

صاح "اللاتينيون" بأوصاف مختلفة لسمات "الفولسكانيين" وصفاتهم التشريحية: "الفولسكانيون" هناك حشد كامل من الفولسكانيين. وصاح أحد الرجال: "إنهم هم بشعر"الخيول على قبعاتهم". كان

سكان المدينة متحمسين مبتهجين بانتصارهم السهل المفاجئ. وكانت الجروح الصغيرة تُعرض بافتخار. جاء الأهالى والرجال الشبان مع غنائمهم من الأعداء الذين طاردوهم أو قتلوهم أو أجبروهم على الاستسلام ـ دروع، سيوف، خوذات. كانت لافينيوم مدينة صاخبة طوال ذاك اليوم والليلة، وشُرب الكثير من الخمر الطازج. آينيس كان لطيفاً مع الذين ثملوا وأظهروا فخراً بما فعلوه، أبقى البيت فى الريجيا مفتوحاً أمامهم حتى وقت متأخر. قال لى حين وقفنا فى مكان مجاور للحشد بجانب النساء، وقبل ذهابى للنوم: "لقد أصبحوا صفاً واحداً، شعبى وشعبك، الآن هم جميعاً ينتمون إلى "لافينيوم" وحيث إن هذا ما كان ينبغى أن يحدث، فقد حدث لحسن الحظ".

سألته بغباء: "لكن هل سيحدث هذا ثانية؟ هل سيتكرر مرة تلو أخرى؟". إن هذا الخوف المرعب الذى أحسست به هذا الصباح لم يفارقنى. إنه مثل سهم قاسٍ ضرب عظامى.

نظر إلى نظرة الرجل الذى شاهد مدينته تحترق، وشاهد عالم الموتى. أمسكنى بلطف، ثم قال: "نعم، ولكننى سأحرص قدر الإمكان ألا يحدث، يا "لافينيا".

كان قادراً على تحطيم كل هذا. إن هزيمة من كانوا من المحتمل أن يصبحوا محاصِرين، بعث برسالة واضحة إلى لافينيوم، بأنها تستطيع أن تدافع عن نفسها، وهو قد أتبع هذا بجهود حيوية ليقوى

تحالفاتنا مع السابينيين، ومع الكيريبين، ومع المدن الأخرى من إترووريا، ومع الملك"ايفاندر فى "بالانتيوم".

كان ايفاندر مازال غارقاً فى حزنه على فقد ابنه، فقد اعتبر آينيس مسئولاً عن عدم الدفاع عن الصبى فى المعركة؛ لذا كان ترحيبه بزيارتنا فاتراً. لم أذهب إلى هناك منذ زيارتى مع أبى حين كنا أنا وبالاس أطفالاً. كان من المحزن جداً رؤية المستوطنين القلائل يزدادون فقراً، البيوت غارقة فى الوحل عند ضفة النهر، والنساء والأطفال يبدون ضعفاء ومتعبين. نظرت حولى بتعجب، لأن هذا هو المكان الذى قال عنه شاعرى، المدينة العظيمة التى ستكون لأسلافنا. وراء الأكمات فى تلك التلال القاحلة، كانت تقف أماكن مضيئة، ورسم المذبح على الدرع، حشود هائلة، حُكام عظام كانوا يمشون على رصيف من المرمر. هنا، بين أكواخ القصب، وكهف الذئب المهجور، كانت تجول بعض القطعان بحثاً عن الكلأ.

كان آينيس فى مزاج سيئ تلك الليلة حين صرنا وحدنا فى الغرفة التى أعطاها لنا فى منزل ايفاندور المنخفض المظلم. كان من الصعب عليه تحمل حزن ايفاندور الناقم. قلت، وأنا أفكر فى طريقة لتشجيعه، ورأسى ملىء بهذه الصور: "أنت قلت إننى مُنحتُ موهبة معرفة أين نبنى المدينة". لأنه كان قد امتدح اختيارى لموقع لافينيوم.

" نعم، أنت كذلك".

"حسناً، هذا هو الموقع الأفضل بين الكل".

نظر إلى من تحت حاجبيه، منتظراً.

"لقد شاهدتها فى... سمه حُلماً". لم أقترب أبداً إلى هذا الحد فى التكلم معه عن الشاعر، وأحسست أننى أقترب من حافة الخطر، لكننى تابعت، بحذر: "المدينة الموجودة على درعك، المدينة العظيمة".

أومأ برأسه.

"ستكون هنا. هنا فقط. وأعلى على تلك التلال، التلال السبع. وأظن أنها ستسمى بأحد الأسماء السرية للنهر الأب. الإتروسكانيون يقولون ريوما نحن نقول روما ستكون أعظم مدينة فى العالم". نظرت نحو الطفل الذى بدا نائماً فى السلة المحمولة. قلت: "ستكون مليئة بصغار مثل سيلفيوس الآلاف منهم".

ابتسم بعد لحظة. قال: "المدينة المحظوظة، أرأيت ذلك؟".

"فى معظمه، على درعك".

قال ممعناً فى التفكير: "أنت تعرفين كيف تقرأينه، أنا لم أفعل مطلقاً".

"تخمينات، أحلام".

وقف فوق سلة الطفل، أتأمله، انحنى قليلاً، ولامس شعره القليل بظهر إصبعه. همس للطفل: "سوف تحمله".

قلت: "لندع ذلك لا يكون فى معركة".

"أينما يجب عليه... تعالى الآن يا عزيزى. سوف ننام هذه الليلة فى المدينة العظيمة".

كان حلفاء ايفاندور يضنون عليه بالمساعدة، ولم يكن لديه الكثير من المعاونين ليقدمهم لنا، لكن كلمة عن صداقتنا مع اليونانيين فى بالانتيوم، وصلت إلى اليونانيين فى آربى، المستعمرة الأكبر والأكثر ثراءً فى الجنوب الشرقى، وهى التى يحكمها رجل عرفه آينيس منذ زمن طويل وبعيد: ديوميدس، قائد اليونانيين فى حصار طروادة. لم يكن هناك ما يدعو إلى المحبة بينهما. آشاتس أخبرنى لماذا - آينيس نفسه لم يتكلم أبداً عن الحرب مع اليونانيين. خلال المقاومة، فى السنة الأخيرة من الحصار، قتل ديوميدس سائق عربة آينيس، وبينما آينيس يقف فوق الجثة ليحميها من السلب، ديوميدس طرحه أرضاً بحجرٍ كبير، ضربه عند عظمة الورك، فأوقعه على ركبتيه. كان سيف ديوميدس مرفوعاً ليضربه ضربة الموت، حين ألقى آينيس بالتراب فى عينيه وسارع بالفرار - هذا الفرار غير المتوقع كان غامضاً؛ وأضفى سمعة جيدة لـ آينيس كمحارب. وذهب ديوميدس، غاضباً، يبحث عنه فى ساحة القتال. وأخيراً حين وجده، وكان يعرج، اندفع نحوه ليقتله، لكن المقاتل العظيم هيكتور جاء للدفاع عن آينيس، وأرجع كل خط الطرواديين إلى المعركة حوله.

أخبرنى آشاتس هذه القصة عندما كنا نناقش شئون اليونانيين ومستعمراتهم. وأخبرته بدورى كيف

رفض ديوميدس الانضمام لحلف تورنوس، محذراً إياه من آينيس، لأنه محمى بقوى كبرى. أومأ آشاتس برأسه، وقال: ديوميدس رجل حكيم. وهو الآن أكثر حكمة مما كان. لقد اعتاد أن يكون شجاعاً عظيماً. إنه يأخذ هيئة إله أو إنسان... لم أهتم بأن أراه مرة أخرى بعد كل هذه السنوات".

ولم يمر وقت طويل على عودتنا من بالانتيوم، حتى وصل مبعوث من آربى، مع هدية تتألف من عشر مهرات جميلات، وعرض من ديوميدس بالتحالف بين شعبه واللاتينيين، تحت مظلة ملكيهما لاتينوس وآينيس.

لاتينوس كان ممتناً لذلك، قال: "اذهب، اذهب، واعقد معاهدة مع الرجل. هذا سيضع الروتاليين والفولسكانيين بينه وبيننا. بين طرفى كسارة البندق".

قال آينيس: "هناك مثل يقول. احذر من اليونانيين حينما يقدمون الهدايا"، ثم قال بامتعاض، "وخصوصاً إذا كانت الهدية حصانًا".

قال أبى: "سأحتفظ بالأحصنة إذًا، اذهب أنت وقم بالمحادثات". كان أبى بمزاج لطيف؛ ذاك الصيف، تحسنت صحته وجاء إلى لافينيوم عدة مرات، ليقوم بالعبادة فى مذبح حفيده، كما قال.

لم يأخذنى آينيس معه إلى آربى. إنها طريق طويلة عبر بلدة غير آمنة، ولم يكن واثقاً إذا كان بإمكانه الثقة بـ "ديوميدس". كنت قلقة عليه خلال

ذهابه، لكن ليس كثيراً. إنه فقط الصيف الثانى. لم يحن وقت القلق بعد.

هو والفرقة المسلحة جيداً التى كانت معه، عادوا آمنين بعد عشرين يوماً. قال إنه وديوميدس قاما بمحادثات جيدة، وتجاوزا الحرب الطروادية كلها. وعقدا اتفاقية سلام ومساعدة عند المذبح، للتضحية بعشر خنازير، وعشر ثيران، وعشر خراف.

خلال طريق عودته فى الليلة الأخيرة التى قضاها بالخارج، أمضى آينيس ليلته فى جبل آلبان. قال: "إنه مكان مقدس لم أر مثله، لقد جعلنى أفكر فى جبل إدا .'لكن لا أحد يعيش هناك".

"إنه مكان مقدس. أبى كان هناك خلال الانقلاب الشتوى، حينما تشير الفجوة فى حافة البركان إلى الشمس. وحين يكون هناك جفاف، أو أمطار فى غير موسمها، أو إذا ضرب البرق شخصًا ما وصعقه، فإن الناس يذهبون إلى ألبا للصلاة والتعبد. لا أعرف لماذا هو فارغ. ربما تكون الأرض غير صالحة".

"يقولون إنه توجد قرية عند أعلى البحيرة، لكن يجب أن تكون هناك مدينة حقيقية. على الرغم من أن التربة ضعيفة".

قال أسكانيوس: "إنها بيضاء رمادية، التربة الرمادية جيدة للكروم".

ذهب آينيس شمالاً فى مطلع الخريف، إلى كايرى، بالسفينة، حاملاً معه ما يمكن تقديمه من هدايا إلى تارشون وشعبه من أجل مساعدتهم فى الحرب: ثلاثة ثيران بيضاء، وثلاثة خرفان، وزوج من الأحصنة الصغيرة، مكسوة باللون الرمادى الذى سيصبح أبيض اللون حينما يكبران. كان الحصانان مجهزين بتجهيزات رائعة من الجلد المُذهب والبرونز المطلى بالذهب، منحة من أبى. لم تكن هدية عظيمة لملكين، ولكنها متوافقة مع ظروفنا. لم تكن هناك جدوى من ادعائنا بالتساوى مع الإتروسكانيين فى الثراء، أو القوة، أو فنون العيش. هم يعرفون هذا ونحن نعرفه. لقد رحبوا بـ آينيس فى كايرى، وبقى هناك ما يزيد على شهر فى إترووريا، يزور فاليرى و"فييّ"، حيث استُقبِل بالترحاب فى كل مكان. وأبحر عائداً إلى وطنه مسروراً من رحلته.

لم أرد إفساد سعادته، لكن حين كنا فى غرفتنا بعيدين عن أى أحد آخر وكان بمقدورى الإفصاح عما يمور فى عقلى، انفجرت: آينيس أرجوك لا تذهب لوقت طويل مرة أخرى، لا تذهب بعيداً!" ـ وتفاجأت أننى بدأت أبكى.

بالطبع هو قام باسترضائى وتهدئتى وسألنى عما يقلقنى، وبالطبع لم يكن بمقدورى إخباره أنه لم يبق لنا معاً سوى هذا الشتاء والصيف القادم والشتاء القادم.

قلت: "أعرف أنه ينبغى عليك القيام بهذه الرحلات. لكن هل بإمكانك تأجيل القيام بهم فيما بعد ـ عندما يصبح عمر سيلفيوس عاماً أو عامين؟ ـ وليس فى هذه السنة. لا سفر مرة أخرى هذه السنة. أو حتى لعامين؟ وليس لأوقات طويلة ـ ليس لشهر كامل ـ".

لم يكن لهذا صدى عنده. كيف يستطيع؟ لقد حاول، وأخيراً قال كل ما يستطيع قوله: "لن أسافر ما لم يكن لابد من السفر "لافينيا".

أومأت برأسى، محاولة أن أكبت نحيبى، وإحساسى بالسخونة واحمرار الخجل من ضعفى وجهودى لخداع قدرنا.

قال: "لا يمكننى تحمل رؤيتك وأنت تبكين". عيناه كانتا محملتين بالدموع.

كان هناك سبب آخر لاضطرابى من هذا الغياب الطويل، الذى لم أذكره أبداً بالمقارنة مع الآخرين: تصرفات أسكانيوس خلال غيابه. لقد ترك آينيس فى عهدته الإشراف على شئون البيت وكل شئون لافينيوم، كما هو مُفترض. ابنه الأكبر ووريثه يجب أن يتدرب على تحمل المسئولية. ومن المفهوم أن أسكانيوس وجد من المرعب أن يأخذ سلطة أبيه، كان قلقاً ومبالغاً. لقد حكم بيد من حديد. وكان الناس مستعدين لإيجاد الأعذار له بسبب صغر سنه، إلا أنه كان غير حصيف بصورة غير مألوفة حتى بالنسبة لصبى فى سنه. كان

سريع الغضب، عنيداً، مغروراً، ينطوى على نفسه عند أية انتكاسة، ويزدرى أية نصيحة، حتى لو كانت من أشاتس ـ بخاصة من أشاتس، ربما لأن أشاتس كان مساعدًا مخلصًا وصديقاً لـ "آينيس". يتوق بشدة للعراك ليثبت أنه شجاع، أو بسبب خشيته منه يتورط فيه، لا أعرف أيهما، فقد كان أسكانيوس يسعى إلى الشجار أينما كان. خلال سفر آينيس طوال شهر كامل، أثار نقمة وعداء غالبية الناس أو المجموعة التى كان عليه التعامل معها، وأتلف ما احتاج إلى أشهر لإصلاحه.

حاولت قدر استطاعتى، لم يكن بإمكانى أن أسامح أسكانيوس لإتلاف أمرين، السلام الذى وضع والده أسسه وسلام أبيه الداخلى. أردت بقوة أن يكون عهد آينيس القصير مُرضياً فى كل أعماله، ملاذًا للسعادة. كنت أحن لرؤية ابن نجم السماء يشع بعيداً فى النهاية وفى سكون. وبينما آينيس فى "إتروريا" فكرت أنه بإمكانى إبلاغ أسكانيوس بما عرفته: إن حياة أبيه ليست طويلة. بالتأكيد لو عرف ذلك، فإن الرحمة الطبيعية ستجعله يوفر على أبيه المشقة والحزن، وأن يتحكم فى روحه التنافسية لسنة أو نحو ذلك. لكن أسكانيوس كثير الشك فىّ ويغير منى إلى الحد الذى منعنى من أن أئتمنه على هذه المعرفة. ربما سوف يسخر منها. فقد كان يميل إلى النظر بدونية لكل الأمور التى تتعلق بـ"اللاتينين"، بما فيها نبوءاتنا، وأماكننا المقدسة؛ لقد سمعته يقول بأن أفضل شىء بالنسبة لليونانيين هو أنهم قد عرفوا

كيف يجعلون نساءهم يبقين فى أماكنهن. وعلى الرغم من أننى قلت لنفسى إنه مجرد صبى يتكلم، واقتنعت أن أسكانيوس لديه قلب طيب تحت كل هذه القوة والتجهم، لكننى ظللت غير واثقة فيه بشأن معرفتى. لا أثق فى أنه لن يستخدمها ضد آينيس، فى لحظة غضب، أو كاستعراض للقوة.

أسكانيوس وأنا حرصنا على أن يتجنب أحدنا الآخر قدر المستطاع. وإدراكاً منه الآن، أن زوجته وابنه لن يتفقا، كان آينيس حريصاً على أن يضع أياً منا فى موضع غير صحيح مع الآخر. مع أن الناس - فى الغالب خلطوا هذا مع الأمر مع الضعف والازدواجية، فالكياسة تعتبر ميزة عظيمة فى الحاكم، سواء مع الشعب أو أهل البيت؛ فالانتباه إلى الآخرين يسمح بالاحترام، والناس يستجيبون له، ويعيدون العرفان والاحترام. لقد حكم آينيس بدبلوماسية، وكان محبوباً من أجل ذلك.

كان عليه القيام بواجبه بفاعلية ذاك الربيع والشتاء، يصلح الأسوار مع ملاك الأراضى ورجال القبائل والشعوب المجاورة التى أهانها أسكانيوس - بمن فيهم أبى. إن التمرد الذى كان عليه أسكانيوس، ربما كان مصدر فخره بأصله، وكان الأب ساذجاً كطفل، ولم يستطع القبول - ببساطة - بخرف زعيم عجوز على مقاطعة على الحافة الغربية البعيدة من العالم كنصيب عادل بمفرده مثل ملكه. وخلال غياب آينيس طرد رسولاً من لاتينوس، بدون إجابة، وأصدر

أوامر معارضة لأوامر لاتينوس. لم يقل أبى شيئاً فى ذاك الوقت، لكنه تكلم مع آينيس بعد عودته. مقترحاً ـ كان لاتينوس لديه هو نفسه قدر من الدبلوماسية ـ أن يعطى الولد زماماً ليحكمه، بعيداً عن كل من لورينتيوم ولافينيوم. (أبى كان يدعو أسكانيوس الولد، ويرحب به على أنه ابن آينيس؛ بينما كان يدعو حفيده سيلفيوس، ويداعبه بكلمة الملك الصغير. فدبلوماسيته لم تمنعه من أن يكون عنيداً جداً).

عمل آينيس بدون تأخير على تنفيذ الاقتراح. أعطى أسكانيوس حكم منطقة تلال آلبان، وبحيرة آلبانوس، وقرية ألبا لونجا، والمدينة القديمة "فيليترا". أبلغه أن عمله هناك سيكون حفظ السلام مع الجيران غير المستقرين، بحيث يمكن للاحتفالات الدينية فى "جبل ألبا" التى يحضر إليها الناس من كل جنوب إيطاليا، أن تُعقد فى أمان. وليشهدوا التحسينات فى العمل الزراعى وتدريبات المزارعين والجنود المخلصين فى خدمة الملوك اللاتينيين. أخبرنى عن حدته مع ابنه، حذره من أنه إذا أثار المتاعب بدلاً من تخفيفها، فإنه سيأمره بالعودة إلى "لافينيوم"، ويحرمه من الحكم.

مضى أسكانيوس مع صديقه الحميم آتيس، ومع جيش صغير، مزود بخيول قوية، وأسلحة جيدة، يرتدون خوذاً مريشة، ويختالون برشاقة. وبقى فى ألبا لونجا، وواصل إرسال التقارير المطمئنة إلى أبيه. وبدا أن التجربة ناجحة.

كان ذهابه مريحاً جداً بالنسبة إلىّ. أريد أن أحتفظ بـ "آينيس" لنفسى، ولا أكون قلقة بشأن ابنه، بقية الصيف، الخريف، الشتاء. لم أفكر بالربيع. الربيع سيأتى. جانوس[1] سيفتح الأبواب ومارس[2] سيحضر لا محالة. لا حاجة للتفكير بذلك.

لقد شكل سارقوا الماشية وقطاع الطرق، والرجال الفقراء من روتاليا، والبلدة الشرقية فى أعلى التل، لاتيوم، تهديداً مستمراً لاستقرار مزارعينا، الإيكوينوس، والسابينيين الذين يعيشون عند أعلى النهر "تايبر" ورافده آليا، أزعجوا مستوطنى ايفاندور، وفى بعض الأحيان أبحروا فى النهر الأب بقواربهم الحربية، آملين بالإغارة على أحواض الملح. لذا قام آينيس بإنجاز مرسى فى مخيمه القديم فى فينتيكولا لمطاردتهم. لكن هذا لم يكن شيئًا أمام المتاعب التى كان أبى يعانى منها دائماً، ولاتيوم مرة أخرى ظلت فى سلام، كما كانت حينما كنت طفلة. آينيس انشغل بالبناء والزراعة وبالقطعان والحيوانات البرية، والصيد، الذى يحبه مثل ابنه، وبتكرار الشعائر التى يحبها، وأحبها أنا.

نحن الذين نسمى الملكيين، من نتكلم من أجل شعبنا مع قوى الأرض والسماء، حيث تنقل هذه القوى ـ من خلالنا ـ إرادتها للناس. ونحن نمضى

(١) Janus: إله البوابات والمداخل عن الرومان يصور بوجهين ينظران في اتجاهين متعاكسين. (المراجع).

(٢) Mard: إله الحرب في الأساطير الرومانية.

فيما بينهما. إن واجب الملك القيام بطقوس المديح والاسترضاء كما ينبغى أن تتم، أن يراقب العناية بالمراسم وهكذا يدرك ويستوعب إرادة القوى التى هى أكثر عظمة منا. إنه الملك الذى يخبر المزارعين عن وقت الحرث، وقت الزراعة، وقت الحصاد، متى تذهب الماشية إلى أعلى التلال، ومتى تعود إلى الوادى. يتعلم هذه الأشياء من تجاربه ومن خدمته لهياكل الأرض والسماء. وعلى الطريقة نفسها تكون الأم هى التى تخبر أهل البيت متى ينهضون، أى الأعمال يقومون بها، الطعام الذى يجهزونه ويطبخونه، ومتى يجلسون للأكل. تكتسب خبرة هذه الأمور من تجاربها وخدمتها فى هياكل الإلهة الحامية لارس وبيناتيس الخاصة بها. حينها يستمر السلام والأشياء تمضى جيداً، فى المملكة والبيت. كلانا، آينيس وأنا، كبرنا على هذه المسئوليات التى كانت عزيزة على كل منا.

هو ولاتينوس، تقاسما واجباتهما الملكية بتوافق، الرجل الشاب يمتثل دائما للرجل العجوز، ويكون مستعدا ليأخذ الحمولة عنه فى حال تعبه. لم يكن جميع اللاتينين متآلفين مع آينيس الطروادى، لكنه أخذ على عاتقه شعائرنا كما لو أنه قد شب عليها، وقام بإنجازها بمحبة كاملة. أتذكره، وهو يقود الأمبرفاليا(*)، فى ذاك الربيع، الربيع المشرق.

كان كل مزارع يقوم بالطقوس نفسها فى أرضه الخاصة، يطوف بأهل بيته خلال الاحتفال، كان

(*) أحد الاحتفالات الدينية عند الرومان.

لاتينوس يذهب إلى أراضيه تحت أسوار لورنتيم، بينما آينيس يقود الموكب إلى أسفل "لافينيوم" نحو الحقول الملكية. وقبل عدة أيام من ذلك، نقوم باستعدادات جيدة فى المنزل، نغسل الثياب البيضاء التى يرتديها كل شخص ـ يجب أن تُغسل فى مياه جارية، مما يعنى المزيد من الرحلات إلى النهر ـ لنجمع النباتات العطرية الجيدة، النباتات جالبة الحظ، لنضفرها فى أكاليل للناس والحيوانات. ويتجنب كل شخص ممن يمارس الطقوس أن يمارس الجنس قبل ذلك بليلة ويأتى إلى الاحتفال طاهراً.

كانت فترة الصمت أكثر ما أحبه فى الأمبرفاليا. الناس، مثل الحيوانات، تسير من دون أن تقول شيئاً. لم يكن هذا مطلوباً بالفعل، لكن لأن أية كلمة من الممكن أن تحمل نفوذاً خارقاً للطبيعة، وأية كلمة شائنة قد تجلب المصائب على المحاصيل والحيوانات، لذا يكون من الأفضل ألا نتكلم على الإطلاق. الملك ومساعده فقط يتكلمان خلال الاحتفال بكلمات تجلب النعمة، وغالباً يكون من المتعذر سماعها. يرددون صلاوات يلقنها لهم فيروكس العجوز، بصوته الرقيق والمعبر. لقد قام فيروكس بزراعة هذه الأرض قبل وقت طويل من بنائنا "لافينيوم" بالقرب منها. لقد تعلم الصلاوات، وقاد احتفالات الحقول طوال ستين سنة. إنه السيد الأساسى فى الطقوس.

يتبعه آينيس، يقود خروفاً أبيض مكللاً بأوراق الفاكهة والزيتون البرى، ونتبعه جميعاً، نمر عبر

الحقول ثلاث مرات، من حدود الحجر إلى حدود الحجر. نواجه جانوس وندير ظهورنا له كما يواجهنا هو ويدير ظهره إلينا. نمشى بصمت، لذا بإمكاننا سماع حفيف أثوابنا، ووقع أقدامنا على الأرض، وصوت تنفسنا، والعصافير التى تغنى مع قدوم الربيع، فى بستان السنديان.

يقود آينيس حينذاك الخروف نحو الحجر القديم فى أعلى المذبح مع حزمة من الأعشاب النضرة، ويقوم بالأضحية. يمكنك أن تقول كلاماً عظيماً عن الطريقة التى يقوم بها الرجل بتقديم الأضحية. يضع آينيس يديه على ساق الخروف الهادئ والطيع، سكينه تمر سريعة قاضية، فينهار الخروف عند ركبتيه على جانب واحد كما لو أنه نائم، يموت قبل أن يصاب بالرعب.

وخلال الأضحية، يتلو "فيروكس" العجوز الصلاوات، يُخبر أرواح المكان بأننا الآن مع منحتنا من الحياة تزيد قوتهم نفسها، لذا نسألها أن تمنحنا النمو وتبعد الأذى عن حقولنا. وبعد ذلك، مع الرجال العجائز يرتفع صوته عالياً وأجشاً، يغنى أغنية "الآرفال":(١)

ابقى معنا، لاريس(٢)، ساعدينا!

احمينا من الأذى،

---

(١) الأرفال Arval: تعني أشقاء الحقول في الميثولوجيا الرومانية (المراجع).

(٢) لاريس Lares: إلهة رومانية حامية البيت. (المراجع).

لا تأتى إلينا بالشر، يا مارس!

مارس الوحشى، احجب عنا شرورك.

احجب عنا شرورك يا مارس،

ولتبق عند حجر الحدود

احجب عنا شرورك يا مارس،

دع الدخلاء يتوسلون إلينا!

فلتكن معنا يا "مارس"

ارقص الآن، ارقص الآن، ارقص الآن، ارقص الآن، ارقص!.

حينها نرسم دائرة الصمت الحامية حول الحقول، ونصلى من أجل قوى المكان والمواسم التى لا يمكن تهدئتها، ثم نبدأ بالرقص، والولائم، والرقصات، وأغنيات الحب.

ووسط هذا الغناء يغنى فيروكس، والرجال العجائز. أخبرنى آينيس أنه لم يسمع شيئاً مثل هذا من قبل، وأنه لم يعرف مارس الذى نعرفه. مارس الخاص بشعبه يجلب الحرب والاضطراب فقط، وليس حارس القطيع والحيوانات، ليس القوى التى تقبض على الحدود الضئيلة بين الأليف والوحشى. سأل الرجال العجائز عن الأغنية وعن مارس، وأعرف أنه تعجب مما قالوه.

هو لم يكن يعرف الأغنية فى أقاصى "طروادة"، لكن شاعرى عرفها فى أقاصى مانتوا، عبر الجبال،

مع وقت مجىء الظلام، بعد مئات من السنين من سماعى للأغنية. فى تلك الليلة فى ألبونيا حين تحدثت معه عن أهل بيتنا وطرقنا، سألت الشاعر، ما إذا كان شعبه يقيم الأمبرفاليا، ابتسم لى وغنى اللحن القديم على الرغم من أننى أعرفه، ابق معنا، لاريس، ساعدينا.

وقت مارس هو فصل المزارع والمحارب: الربيع والصيف. فى أكتوبر رماح ودروع القفازين توضع بعيداً. تنتهى الحرب عندما يحين وقت الحصاد. فى تلك السنة أقام لاتينوس احتفال حصان أكتوبر، الوقت الوحيد الذى نقوم خلاله بالتضحية بحصان فيما عدا جنازة الملك. أتى الناس من كل أرجاء لاتينيوم من أجل ذلك، يبتهلون من أجل سلام المملكة وجودة المحصول. كان هذا الاحتفال الأخير العظيم الذى أقيم فى "لورنتيوم".

ذهبنا إلى هناك لنمضى عدة أيام، وساعد آينيس أبى فى الشعائر. لم يعد بإمكانى القيام بهذا، منذ زواجى، لأننى لم أعد ابنة هذا البيت، ولست الأم لشعبى. لكن سيلفيوس الصغير، وريث لاتينوس، كان مسموحاً له أن يأخذ طبق الطعام المقدس من الطاولة إلى الموقد بعد العشاء، ويلقى بالطعام فى النار العذرية لإلهة الموقد فيستا. والدة مارونا ذهبت معه كى تحميه من إسقاط آنية الطعام مع الطعام فى النار. تهمس، "حبات البازلاء فقط، يا سيلفيوس وهو يقول بجدية "فقط النحل". كان من المفترض أن يقول: "لتساعدنا الآلهة"، لكننا كنا نقولها بدلاً منه.

كان خريفاً جيداً، وافراً ولطيفاً، وأمطار الشتاء كانت سخية وناعمة. مضى ما بين ضغوط الحياة اليومية ومسئولياتها، والمسرات المتتابعة، وحالات القلق لرعاية سيلفيوس، والفرح الذى لا ينضب برفقة آينيس وحبه، فقدت الإحساس بالوقت فى تلك الأيام، جميعها كانت يوماً واحداً طويلاً، وليالٍ مباركة. لكن ذات مرة ولوهلة، وجدت نفسى أستيقظ فى عتمة الشتاء من دون سبب عميق، أشعر بالبرد فى جسدى وروحى، كما البرد حينما يكون الثلج عند حافة النهر، أفكر: إنه الشتاء الثالث.

جلست مستيقظة وعقلى ينخره لغز عاجز عن حله. لقد أخبرنى الشاعر أن آينيس سيحكم ثلاثة شتاءات وثلاثة أصياف. هل كان الصيف الذى تزوجنا فيه واحداً منها؟ فكرت بهذا لأن جزءاً منه كان قد انقضى قبل مجيئه ليحكم لافينيوم، فحساب تلك الفصول يبدأ منذ شتاء تلك السنة، والصيف القادم سيكون صيفه الثالث - الثالث والأخير. لكن فى النتيجة سيبقى حتى الصيف - وخلال الصيف - لن يموت فى هذا الربيع!.

لكن لماذا ينبغى أن يموت؟ ربما لم يقصد الشاعر هذا على الإطلاق. الشاعر لم يقل إنه سيموت، بل إن حكمه سيظل ثلاثة أعوام فقط. ربما يود أن يمنح المُلك، يعطيه لـ"أسكانيوس"، ويتابع حياته، حياة طويلة، حياة سعيدة، الحياة التى يستحقها. لماذا لم أفكر بهذا من قبل؟

سيطرت الفكرة على ذهنى وشغلته حتى أننى لم أتمكن من النوم ثانية، وفى الصباح حينما استيقظ، لن أستطيع أن أمنع نفسى من أن أنفجر فيه: "أعط مملكتك إلى ابنك يا آينيس.

لدى من الحكمة ما يكفى لأن لا أفعل ذلك، لكن فى يوم أو يومين، سألته وأنا أحاول أن أتحدث ببساطة، ما إذا كان قد فكر فى أن يطرح حكمه جانباً، وأن يعيش كرجل عادى.

نظر إلى بسرعة، برقت عيناه القاتمتين، قال: ذاك الاختيار لم يمنح لى، أنا ابن أخت بريام[1]، وابن آنشيسيس[2].

"لكنك الآن فى أرض ربما كان آباؤك أقل أهمية من أبنائك".

قال بعد التفكير: "لو إننى أضمن ذلك، وماذا بعد؟ لقد أُرسلت إلى هنا كى أكون ملكاً. هيكتور قام من قبره، وكريوسا نهضت من موتها، لتخبرنى بما على فعله. كنت سآخذ شعبى للأرض الغربية، وأحكم. وأتزوج هناك، وأنجب طفلاً... لا تستطيعين القول إننى لا أؤدى واجبى، لافينيا. كان يتكلم بكآبة فى البداية، ثم أنهى كلامه بابتسامة مُغتصبة.

"لا أحد سيقول هذا عنك أبداً! لكنك قد فعلته. نفذت ما جاء بالنبوءة. امتثلت لقدرك. قاسياً كما

(١) بريام Priam : ملك طروادة أثناء الحرب الطروادية في الميثولوجيا اليونانية. (المراجع).

(٢) أنشيسيس Anchieses: ابن كابيس وعشيق أفروديت. (المراجع).

كان، تبحر فى البحر، والعواصف، والسفن المحطمة، تفقد الأصدقاء، وتُجبر على خوض حرب حينما تصل هنا فى النهاية ـ ثم حكمت، وأسست لسلالتك. ألا تفكر بالقول: لقد فعلت هذا، الآن دعنى أتوقف ـ دعنى أستريح، فالآن وصلت إلى المرفأ؟".

حدق بى لبعض الوقت، بنظرة مباشرة ودودة عميقة. كان يفكر لماذا قلت ما قلته، ولم يجد إجابة. قال أخيراً: "مازال سيلفيوس بالأحرى قاصراً عن أن يتولى الأمر".

جعلنى هذا أضحك. كنت متوترة جداً. "نعم هو كذلك. لكن أسكانيوس".

"هل تريدين أن يحكم أسكانيوس لافينيوم كان مندهشاً بقسوة للحظة، ثم تغير تعبيره، وأصبح أكثر رقة، لقد فكر أنه عرف لماذا طلبت منه التنحى. لافينيا زوجتى الحبيبة، لا ينبغى عليك أن تخافى علىّ إلى هذا الحد. إن المخاطر التى تحيط بى حين أكون ملكاً أقل بكثير منها حين أكون مجرد جندى. على أية حال، إن يوم موتنا ليس بأيدينا. لا يوجد مكان آمن. أنت تعرفين ذلك".

"نعم، أعرف هذا".

اقترب ليضمنى ويخفف عنى، وأنا التصقت به.

سألنى: "أحقاً، تتنازلين عن منصبك كملكة، لكى تحمينى من مخاطر كونى ملكاً؟". لم أفكر فعلياً بهذا الأمر على الرغم من أنه أحد جوانب خطتى". واستمر

يقول: "ومن سيأخذ مكانك؟ ينبغى علينا إذن أن ندفع أسكانيوس للزواج". كان يُغيظنى، كان يعرف أن فكرة خدمة شعبى وإلهة بيتى من قبل امرأة غريبة تبدو مرعبة بالنسبة إلىّ، كنت مكتئبة وخجلة، أحسست كما لو أننى وقعت فى فخ، فى حيلة غبية. لم أقدر على الكلام، لكن وجهى اكتسى بالحمرة خجلاً مما فعلته، غمرنى الشعور بالإحراج. هو شاهد ذلك وأحس به فقبلنى، بلطف فى البداية، ثم بعاطفة شغوفة. كنا فى الفناء الصغير فى بيتنا، ولا أحد هناك. قال: "تعالى، تعالى!" تبعته إلى غرفتنا، وكنت مازال ساخنة مثل النار، وهناك أخذ الحوار مساراً آخر.

لكن عقب ذلك اليوم لم أعد قادرة أبداً على إبعاد كلمات الشاعر عن ذهنى. كانت فى تفكيرى دوماً. فى عمق تفكيرى، مثل مجرى قاتم يجرى تحت الأرض. هناك إمكانية أن تلك الكلمات لم تكن تعنى أن آينيس سيموت بعد ثلاثة أصياف، وشتاءات كملك فى لاتيوم، بل تعنى أن حكمه سينتهى. ربما سيخضع بلد مجاور ويحكم كملك على الفولسكانين أو الهيرنيسيين. ربما يود أن يعود بى أنا وسيلفيوس إلى بلده، ويعيد بناء المدينة الجميلة فى إليوم(*) التى أخبرنى أشاتس، وسيريستوس عنها، بأسوارها وأبراجها وقلاعها العالية، ويحكم هناك كملك لـ"طروادة". ربما هو لن يموت، من المحتمل أنه

(*) إليوم Ilium : اسم قديم لمدينة طروادة. (المراجع).

سيمرض بشدة ، وربما يأتى أسكانيوس ويأخذ عن عاتقه دور الملك، ويسمى ملكاً ـ لكن آينيس سيكمل حياته معى فى لافينيوم، ويستمتع بابنه وحياته ـ سيعيش، هو لن يموت. هكذا كان عقلى ينتقل من احتمالية إلى احتمالية أخرى مثل أرنب يتفادى كلاب الصيد، بينما النساء العجائز الثلاثة(*) يقمن بحياكة خيوط ما سيحدث.

كان الشتاء لطيفاً، لكنه لم يكن طويلا. شهر يناير كان ممطراً وموحلاً. حدث نذير فى "لورنتيوم": بوابات الحرب التى فتحتها أمى، وقمت أنا ومارونا ورجال المدينة بإغلاقها منذ ثلاث سنوات مضت، تأرجحت وانفتحت من تلقاء نفسها. جاء الناس إلى مذبح "جانوس" فى مطلع شهر فبراير، ووجدوا البوابات منفرجة قليلاً، المزاليج الحديدية المثبتة بإحكام فى عارضات أصابها الصدأ، ونتج عن ذلك تزحزح المزاليج وسقوط الدعامات. كانت المفصلات أيضاً مصابة بالصدأ، وبالتالى لم يكن ممكناً إغلاق البوابات. كان لاتينوس منزعجاً بشدة من هذا النذير. لم ير أنه من الصواب أن يتدخل، ليبدل المفصلات والدعامات، حتى يصبح معنى الحدث واضحاً. لا أحد يعرف لماذا صُنعت من الحديد، المعدن المشئوم لا يستخدم أبداً فى الأماكن المقدسة. كان لديه حداده الذى يصنع مفصلات جديدة، لكنه لم يصلح أو يغلق بوابات الحرب بعد.

(*) ثلاث إلاهات عند الإغريق يتولين تصريف القضاء والقدر. (المراجع).

أخبار الحرب المتعبة جاءت من الشرق والجنوب من تلال آلبان. المزارعون والقرويون على طول الحدود، نشروا الأخبار عن حرائق فى الحظائر، وسرقة المواشى، وعن مضايقات، من كلا الجانبين، اللاتينين والروتاليين. وأرسل إلينا الشاب كاميرس من أرديا، وهو الذى قاد هجوماً أخرق على مدينتنا قبل عامين، يشتكى أن مدينته مهددة، وأن مزارعه ومراعيه أُغير عليها بالكامل، من قبل رجال من "ألبا لونجا".

راقبت آينيس وهو يسيطر على مرارته، غضبه المحبط. كان مثل رجل يمتطى حصاناً قوياً يقاوم العنان ويندفع، رأساً على عقب، يركل بقدمه، ويدور بجسده، وفى النهاية يُجبر على الوقوف وهو شاحب ومتعرق، مرتعشاً، جاهزاً للطاعة.

أحسست كما لو أن قلبى يُعتصر تحت قبضة الخوف، لكن الآن جاء الوقت، تلاشت الآن خيالاتى الخاوية بالنجاة، وتركتنى لأواجه ما لا مفر منه. حين قال: "يجب أن أذهب إلى آرديا لم أعترض، وحاولت ألا أبدى أى خوف مفرط. ذهب مسلحاً بشكل جيد ومع حراس أقوياء. هو لم يُقدم على أية مجازفات غير ضرورية، المهم منها فقط. قبلته وأنا أودعه، وأحمل سيلفيوس ليقبله، ويبتسم، يحييه ويطلب منه العودة إلى البيت فى أسرع وقت.

قال: "سأعود إلى البيت قريباً مع أسكانيوس"

أفضل أصدقائى من بين مجموعة أصدقاء آينيس، أشاتيس وسيريستوس، كلاهما رحلا معه. وتُركت أنا مع النساء. كنت أشعر معهن بالراحة. يساعدننى للحفاظ على تسيير شئون البيت، كما سارت أمور المدينة كما ينبغى أن تكون. كانت إليفيا، زوجة سيريستوس، قد وضعت طفلاً، واستطعنا أن ننسى مخاوفنا حين نلهو معه. أرسل أبى بشكل يومى رجلاً ليسأل إذا كانت لدينا أخبار جديدة، أو إن كنا نحتاج إلى نصيحة أو مساعدة. لم يحضر بنفسه، لأنه كان يعانى من السعال طوال الشتاء، وكان الجو مشبعاً بأمطار ثقيلة، والطرق مليئة بالوحل. كما أننى لم أذهب إليه، لأنهم يحتاجون إلىّ فى مدينتى.

كانت تسعة أيام طويلة، أيام وليالٍ قاتمة.

فى مساء اليوم الذى أعقب الثالث عشر من فبراير، وصلت إلى بوابة المدينة فرقة من رجال مبللين على أحصنة مبتلة من أثر المطر الموحل. صاح رجال الحراسة: "الملك! عاد الملك آينيس كان ممتطياً فرسه والدرع الثقيل على كتفه. وفى الخلف منه أسكانيوس، من دون سلاح، ثم رجال آينيس، مسلحين جميعاً.

ارتياحى وفرحى لرؤيته، دفعانى لمعانقته من دون اكتراث بأى أحد آخر. أحسستُ فى تلك الليلة بنوع من الرضا كان موجوداً، فى جزء ما من كيانى، آمناً للأبد من القنوط المطلق، من دمار الروح. إنه فرح محمى فى درع داخلى.

لا أعرف إذا كان هذا صحيحاً، لكن لا يمكننى إنكاره، حتى لاحقاً، حتى الآن.

كل شىء فى البيت يتم بنشاط فى البداية، تجهيز الحمامات وإعداد الطعام للرجال المتعبين. كان لدى آينيس وقت ليبلغنى أنه عقد شهور هدنة مع كاميرس، وأنه أحضر أسكانيوس معه، "ليتحدث عما وقع من خطأ". ظل سيريستوس ومنيسيسوس مع فرقة فى "ألبا لونجا"، عند الحدود التى يصعب السيطرة عليها.

فى الحقيقة لقد سبب أسكانيوس معظم المتاعب، حين أخذ عنوة أرضاً لاتينية معينة، مراعى شتائية لـ"الروتاليين"، ووضع المستوطنين عند مجرى النهر فى الوادى الذى يعتبره الروتاليون مزرعة صيفية. وأرسل جنوده ليضايقوا أى روتاليين يقومون بعبور الحدود. ومنذ ذاك الحين صارت الحدود غير واضحة فى أكثر من مكان، ومن السهل اختراقها، مما يعنى بالتأكيد تصاعد الروح العدائية. حاول كاميرس أن يحمى المزارعين الروتاليين عبر إرسال رجال مسلحين. ونتج عن هذا الأمر حدوث مناوشات وعبارات تهديد من أسكاينوس عن تسوية جدران آرديا بالأرض، مما دفع كاميرس للرد بالتهديد بضم فيليترى، ومحو "البا مونجا".

أخبرنى أشاتس عن اللقاء مع كاميرس. امتدح براعة آينيس فى صُنع السلام، الذى كما وصفه بأنه

يتشكل غالباً من عدم قوله شيء. أراد كاميرس الهجوم، لكن لم يسنح له المجال. هجومه الفاشل سبب له حرجاً، وقيده، وجعله على استعداد للبقاء منعزلاً، لكن أسكانيوس قام بالتفاخر والتهديد، مما جعله لا يتحمل هذا. استمع آينيس بصبر لقائمة الإساءات الطويلة، من دون أن يعتذر عنهم أو يبررها، قبل أن يستطيع حتى أن يقترح هدنة. قال أشاتس بأنه كان صبوراً وواثقاً أن كاميرس الذى لم يكن يكبر أسكانيوس كثيراً، أنهى كلامه معه، الرجل الذى قتل أبا كاميرس فى المعركة أمام لورنتيوم، كما يتكلم إلى أب.

هكذا، عُقدت الهدنة، عقدت بإيمان طيب، على الرغم من أن آينيس وأشاتس فكرا أن كاميرس سيواجه مشاكل فى السيطرة على المزارعين العنيفين عند مناطقه الحدودية. أما مشكلة آينيس المؤكدة هى كيف يسيطر على ابنه.

وعلى الرغم أن أسكانيوس قد أعيد بمهانة واضحة، إلا أنه لم يُذكر شيء حول الأمر فى تلك الليلة: فقد كان مُرحباً به فى تلك المأدبة الارتجالية التى أقمناها للعائدين إلى الوطن. لم يُظهر أى خجل أو تحد، بل تصرف كما يتصرف فى المعتاد. لقد كان مدرباً جيداً على أساليب التصرف اللائقة، كما أن الجميع وقفوا بجانبه وساندوه فى مثل هذه الأوقات. لقد كان يُخمن السؤال الذى سيقوله له آينيس أو يفعله فى النهاية. وهكذا كنت أنا. لكن المساء مضى

مرحاً بشكل كافٍ، والأب والابن تعانقا كما اعتادا عند الافتراق فى المساء.

وظل السؤال قائماً بلا إجابة. فعل آينيس ما قال أنه سيفعله: يحرم أسكانيوس من الحكم ويعيده إلى "لافينيوم". وهذا كل شىء. هو لم يقل شيئاً. هو لم يكن الرجل الذى يُسرف فى الكلمات. هو يتكلم حينما ينبغى عليه أن يتكلم.

أسكانيوس كان يغلى ببطء قلقاً، منطوياً على نفسه فى استياء صامت، وحاول مرة أو مرتين أن يكسر جمود الموقف. آينيس تجنب محاولاته. كلما اقترب من مناقشة وضع أسكانيوس، يحول النقاش إلى الحديث عن الفضيلة. مثالية الرجولة، هذه هى، فى المعنى الأصلى للكلمة - ذات الرجولة، الرجولة نفسها. قال أسكانيوس ذات يوم، بطيش شبابه، إن البرهان الوحيد على الرجولة هو فى المعركة: الفضيلة الحقيقية هى البراعة فى القتال، الشجاعة فى القتال، إرادة الفوز والنصر. قال آينيس: "النصر؟".

"وماذا تكون فائدة المهارة والشجاعة لو أنك مت؟"

"ألم يتحلى هيكتور بأية ميزة؟ "

"بالطبع هو فعل، لقد انتصر فى كل معاركه، حتى المعركة الأخيرة".

عقب آينيس: "جميعنا فعلنا".

كان هذا القليل مما هو وراء أسكانيوس، ربما، وأُسقِط الموضوع؛ لكن آينيس أعاده فتحه مرة أخرى، ذات يوم على العشاء.

قال متأملاً: "إذًا الرجل يمكنه إثبات رجولته فى الحرب فقط".

أشار أشاتس: "نوع محدد من الرجولة، أليس من المؤكد أن الحكمة فضيلة تضارع الشجاعة فى المعركة؟"

قلت: "لكنها غير مقصورة على الرجال".

هنا سأقول إن الطرواديين غير معتادين على تدخل النساء فى الحوار، ولا أى يونانى ممن قابلتهم. لأن جلوس النساء والرجال على طاولة مشتركة والتحدث معاً كان تقليداً لاتينياً. وكملكة كانت لدى أساليبى فى مثل هذه المواقف. بعض الطرواديين القساة كانوا يحتاجون إلى دروس فى الاحترام، فى لباقة الأحاديث المشتركة، وكانوا يكتسبون ذلك منى ومن آينيس. لكن آخرين مثل أشاتس وسيريستوس نظروا لهذا الأمر مثل باقى نظرتهم لعاداتنا، من دون أى ضيق. حين كنت أقوم بدعوتهم إلى "الريجيا"، تأتى زوجاتهم برفقتهم ويجلسن معنا إلى المائدة، وغالباً كنت أدعو النساء للمجىء حين لا يكون أزواجهن بعيدين.

علق أسكانيوس بطريقته المستفزة المصطنعة للتأثير: "فى الحقيقة، النساء بمقدورهن اكتساب الحكمة، لكن ليست الفضيلة الحقة".

سأل آينيس: "لكن ما التقوى؟"

سؤاله فرض صمتاً عميقاً.

قلت وأنا أحول عبارتى إلى سؤال، كما تفعل النساء عادة: "الامتثال لإرادة قوى الأرض والسماء؟"

قال أشاتس: "الجهد لوفاء المرء لقدره".

قالت سلفيا، زوجة سيريستوس، وهى امرأة هادئة قوية من توسكيولم، والتى أصبحت واحدة من أعز صديقاتى: "فعل الصواب".

سأل آينيس: "وما الصواب فى المعركة، فى الحرب؟"

أجاب أسكانيوس على الفور: "المهارة، الشجاعة، القوة. فى الحرب الفضيلة هى التقوى. القتال حتى النصر!".

"إذًا النصر يصنع الحق؟"

قال أسكانيوس: "نعم"، والعديد من الرجال أومأوا بالموافقة بقوة، لكن بعض الرجال المتقدمين فى السن من الطروادين، لم يوافقوا. والنساء أيضاً.

قال آينيس بنبرته الهادئة: "لا أستطيع تطبيق هذا، أظن أن ما يعرف الرجل أنه ينبغى عليه فعله يجب أن يفعله. لكن ماذا إن كانت الأشياء ليست ذاتها؟ حينها، الفوز بالنصر يعنى أن تهزم. أن تعطى الأوامر سيسبب إخلالاً بالأمن، دماراً، موتاً. الفضيلة والتقوى تدمران بعضهما البعض. لا أستطيع تطبيق هذا".

حتى أسكانيوس لم يكن لديه رد على ذلك.

أشك في أن أي أحد عرف ما كان يدور في ذهن آينيس، حين قال بأن إطاعة المرء لقدره قد تكون ألا يطيع ضميره. فقط أنا من يمكنني أن أعرف كيف أن موت تورنوس أثقل على روحه. أعرف أن أشاتس ظن أنه كان يتحدث عن انتصار اليونانين على الطروادين في الحرب التي على الرغم من أنها مبررة في شنها، إلا أنها جلبت الدمار على اليونانيين كما جلبته على الطرواديين. ربما كان هو.

وعلى أي مستوى، هو لم يدع تعريف أسكانيوس للرجولة على أنه شجاعة المعركة يستقر. فقد عاد لنقاش الأمر في اليوم التالي. لم يكن لدينا زوار، وثلاثتنا كنا مجتمعين حول الموقد بعد انتهاء يوم العمل. أنا مع النساء، وآينيس مع حجر صغير للشحذ، وسكيني الشعائرية الصغيرة التي صارت غير حادة. قربها بخفة وصبر عبر الحجر. قال لـ "أسكانيوس": "إذا ظن رجل أن فضيلته يمكن إثباتها فقط في الحرب، حينها سيرى أن بذل الوقت في أي شيء آخر هباء. الزراعة، إذا كان مزارعاً - الحكومة، إذا كان حاكماً - العبادة، أفعال الدين - كلها أدنى مرتبة من الشجاعة في الحرب".

قال أسكانيوس بسرور، وقد ظن أنه أقنع والده: "نعم، إنه كذلك".

قال آينيس: "لا أثق بمثل هذا الرجل ليزرع، أو يحكم، أو يكون في خدمة القوى التي تسيرنا، لأن أي شيء سيفعله سيقوم به من أجل الحرب".

انجرف أسكانيوس الآن، وحاول التراجع بصعوبة وبدأ يقول: "ليس بالضرورة ـ".

قال آينيس، بتجهم شديد: "من الضرورى، لقد أمضيت حياتى مع هذا النوع من الرجال أسكانيوس وبرهنت على فضيلتى فيما بينهم".

"نعم أنت فعلت يا أبى، لقد كنت الأفضل، الأفضل من بينهم جميعاً!". كانت هناك دموع فى عينى أسكانيوس، وصوته يرتجف.

قال آينيس: "فيما عدا هيكتور[1] وعلى الجانب الآخر أخيل[2] البطل العظيم، وديوميدس[3] اللذين دافعا عنى. ربما وضعت أمام أوديسيوس[4] أجاكس[5] الكبير، ربما أجاممنون[6] أعتقد أننى كنت استطعت أن أضرب ميلينوس[7] وماذا لو فعلت؟ هل سأكون

---

(١) هيكتور Hector: أمير طروادى وأعظم المحاربين فى طروادة وابن بريام. (المراجع).

(٢) أخيل Achilles: البطل الإغريقى فى حرب طروادة والمحارب العظيم والشخصية المحورية فى إلياذة هوميروس. (المراجع).

(٣) ديوميدس Diomedes: بطل فى الميثولوجيا الأغريقية شارك فى الحرب الطروادية. (المراجع).

(٤) أويسيوس Odysseus: ملك إثاكا فى الميثولوجيا الإغريقية، وبطل ملحمى عند هوميروس. (المراجع).

(٥) أجاكس Ajax: ابن تليمون فى الميثولوجيا الإغريقية، وبطل فى الحرب الطروادية، يطلق عليه أجاكس العظيم. (المراجع).

(٦) أجاممنون Agamemnon: ابن الملك أتريوس وشقيق مينيلوس زوج هيلين التى اختطفها باريس إلى طروادة وزوج كليمنسترا، وقائد المطاردة فى الحرب الطروادية. (المراجع).

(٧) مينيلوس Menelaus: زوج هيلين التى اختطفها باريس إلى طروادة وشقيق أجاممنون. (المراجع).

رجلاً أفضل لقيامى بهذا؟ هل ستكون فضيلتى أعظم مما هى عليه؟ هل أنا ما أنا عليه لأننى قتلت رجالاً؟ هل أنا آينيس لأننى قتلت تورنوس.

كان يميل إلى الأمام؛ وضوء النيران تنعكس فى عينيه، لم يرفع من نبرة صوته لكنه تكلم بحزم رهيب. انكمش أسكانيوس متراجعاً يلتقط أنفاسه.

"إن كنت ستحكم لورانتيوم من بعدى، ومن بعدك أخيك سيلفيوس أود معرفة أنك سوف تتعلم كيف تحكم، إنها ليست مجرد حرب، إنك ستتعلم سؤال قوى الأرض والسماء لإرشادك أنت وشعبك، وسوف تتعلم أن تتوجه برجولتك إلى ميدان أعظم من ميدان المعركة. أخبرنى أنك ستتعلم هذه الأشياء، أسكانيوس.

رد الشاب، وهو يدمع: "سأفعل، يا أبى".

قال آينيس، برقة أكثر: "إن الكثير قد توقف على، والكثير سوف يتوقف عليك. فى النهاية، أنا لم أفعل الصواب. وأنت لم تبدأ بفعل الصواب، لكننى أعتمد عليك أن تفعل الصواب فى النهاية؛ لذا عاهدنى على ذلك يا بنى".

مد أسكانيوس يده، وسحبه آينيس ليعانقه؛ وتشبث كل منهما بالآخر بقوة.

جلست إلى مغزلى، وجهى صار ملتهباً، كنت عاجزة عن البكاء.

وبعد أيام قليلة، وفقط قبل أوائل مارس، أعاد آينيس أسكانيوس إلى "تلال آلبان". لم يذكر شيئاً عن

احترام الهدنة مع كاميرس؛ لم يكن هناك داع لقول المزيد، فقد كان لديه أمل. بدت عليه بعض الصرامة فى الأيام الأولى من شهر مارس، عندما كان القفازون فى الشارع يلوحون بالرماح المقدسة، ويغنون مارس، مافورس، ماكتى، إلخ!. لكن سيريستوس ومنسيوس عادا من ألبا لونجا ليبلغا أن كل شىء كان هادئاً فى ألبا لونجا. وأن أسكانيوس يبدو أنه مصمم على أن يحتفظ بها هكذا.

كان ربيعاً دافئاً. كان كل شىء قد تبرعم وأزهر مبكراً. كانت أشجار الجوز فى الغابات فاتنة بتفتح زهراتها بسرعة. الشعير ونبات "الدخن" قد طالا، برءوس ثقيلة، والعشب كان سميكاً وطرياً فى المروج والتلال كما لم يسبق أن رأيته فى حياتى. تزايدت مواشينا ودواجننا، وآينيس كان مبتهجاً بمجموعات المهور فى إسطبلاتنا. وزاوج بين فرسة جميلة وبين الحصان الذى أهداه له لاتينوس. وكان فخوراً بالمهر ذو اللون الكستنائى الذى ولدته. قال: "هذا سيكون حصان سيلفيوس. وقام بتعريف الصبى الصغير على المهر الصغير بجدية تامة. جعل سيلفيوس يقود الفرس ويوجهه وشاهد كيف يقوم المهر باتباع توجيهاته، وفى النهاية وضعه على ظهره ليركبه. تجمد سيلفيوس من الرعب والبهجة، يقبض بإحكام على شعر الفرس بيد، واليد الأخرى يمسك بها يد والده، ويصدر صوتاً ناعماً "ووه! ووه!" مثل حمامة وهما يطوفان حول فناء الإسطبل. بعد ذلك صار

يسأل أباه فى خجل "بعيدًا ؟"، وآينيس يذهب معه إلى الإسطبلات لركوبه.

شعبى، لاتينيون ولافينيون" ينادون الأب آينيس. "هل هذا السياج جيد أيها الأب آينيس "أبى، الشعير فى الداخل" ـ كانوا يتحدثون مع لاتينوس بالطريقة نفسها؛ وأنا شابة مثلما كنت، كنت الأم لافينيا، لأننا نستخدم الكلمة ليس فقط مع والدينا، بل مع الناس الذين يحملون مسئوليتنا. غالباً الجندى ينادى قائده، يا أبى، وصحيح أيضاً، إذا كان القائد يهتم برجاله كما ينبغى. لكن شعب آينيس كانوا يستخدمون معه هذه الكلمة على الخصوص بطريقة مُحببة، بملاطفة، وأحقية. إن الواجب الذى دفعه لقيادة شعبه جعله معزولاً عنهم كقائد؛ فبعد موت أبيه كان عليه أن يقوم باختياراته منفرداً، يحمل على عاتقه المسئولية، لذا فإن هذا الرباط من المحبة يعنى الكثير بالنسبة إليه. وسعى لأن يكون أهلاً له. لقد أخذ هذه الأبوة الفعلية مأخذاً جدياً وبفرح عميق. كان من المبهج أن تراه يسير مع "سيلفيوس"، يُقصر خطواته على حسب خطوات الطفل، وبحرص دائم على وجاهة الطفل.

أعرف أنه كان يحترم أباه جداً، لم يتحدث أبداً عن أمه، ولا أدرى إن كان يعرفها. كنت أسأله بشىء من الحذر عن طفولته المبكرة.

قال: "لا أذكر الكثير، كنت مع امرأة فى الغابات، بين الجبال، جماعة من النساء تعيش فى الغابة".

" وهل كن لطيفات معك؟"

"لطيفات ومهملات، كن يتركنني أركض... ربما كنت أقع في متاعب، قد تأتي إحداهن ضاحكة وترفعني عالياً. كنت برياً مثل جرو الدب".

"ثم جاء أبوك إليك؟".

أومأ برأسه. كان رجلاً أعرج. مسلحاً، كنت خائفاً منه. أذكر أنني حاولت الاختباء وراء الشجيرات. لكن النساء كن يعرفن مكان مخبأي؛ لذا رفعنني عالياً من جديد وسلمنني له".

"وبعد ذلك عشت معه؟".

"وتعلمت الزراعة، والسلوك وكل ذلك".

"متى ذهبت إلى طروادة؟".

"بريام هو من أحضرنا. أحياناً. هو لم يحبنا على الإطلاق".

قلت بصورة مباغتة: "لكنه منحك ابنته".

رد آينيس: "هو لم يمنحني إياها تحديداً"، لكنه لم يرغب في أن يتكلم المزيد عن كيريوسا، وأنا لم أضغط عليه. قال بعد برهة قصيرة: "إنه مكان جيد بالنسبة إلى طفل، الغابات، أنت لا تتعلمين الكثير عن البشر، لكنك تتعلمين الصمت. الصبر. وليس هناك الكثير لتخافي منه في البرية. يقل عما هو موجود في مزرعة أو مدينة".

فكرتُ فى ألبونيا، ذاك المكان المرعب الذى لايخيفنى أبداً. كنت طلبت منه تقريباً القدوم معى إلى هناك، لكننى لم أفعل. على الرغم من أن المكان قريب، فإننى لم أذهب إلى هناك منذ زواجنا. أردت الذهاب لكن لم يأت الوقت المناسب. وجدت أنه ليس بمقدرتى تخيل وجودى معه هناك؛ لذا لم أقل شيئًا حول ذلك.

كان الجو لطيفاً فى أواخر شهر مارس، لذا ذهبنا إلى الشاطئ، مسافة ميلين من المسير، أردت أن يشاهد سيلفيوس المحيط لأول مرة. حمله آينيس جاثماً على كتفيه معظم الطريق. كنا مجموعة كبيرة نمشى بين التلال، العبيد يحملون طعام النزهة، العديد من العائلات، ومزيد من الشبان للحراسة، أطفال وكبار، تناثروا على الشاطئ الرملى الشاحب حالما وصلنا هناك. آينيس وأنا تجولنا بعيداً عن الآخرين، تاركين سيلفيوس مع مجموعة من النساء الودودات، وماورنا لتحميه من دلالهن المفرط. نادراً ما كنت أخرج للتنزه كما فعلت فى تلك الأيام، وكانت متعة رائعة أن أمشى بقدمى على الرمال. يصيبنى رذاذ الماء عبر التيار الصغير المتجه أسفل النهر، يغمرنى أمان برفقة زوجى، فلا أتعب من المسير. البحر أثار مشاعرنا الحزينة، ننظر نحو الموج المتكسر اللامع بتألق فى الأفق الضبابى، قلت: "كم أتيت من بعيد. عبر ذاك البحر، البحر الآخر - سنوات، أميال".

قال: "أتيت من بعيد لآتى إلى بيتى".

قلت بعد هنيهة، ورغم أن ما قلته لم أكن متأكدة منه: آينيس أنا أحمل طفلاً".

تقدم فى مشيه قليلا للأمام، وظهرت ابتسامة ممتدة فى وجهه، ثم توقف، وأوقفنى ممسكاً بيدى وهو يضمنى إليه فى عناق دافئ. قال: "فتاة؟ كما أظن". وأجبت بسرعة: "فتاة".

قال، وهو يحتضن تقريباً أنفاسى، ويقبل وجهى ورقبتى: "كل ما أردته منحتينى إياه. فتاتى السمراء، حبيبتى، زوجتى، ابنتى، الملكة، إيطاليتى، محبوبتى". كانت هناك مجموعة من الصخور الداخلية الممتدة تحجبنا عن أعين الآخرين ممن على الشاطئ. وفى ذاك الملاذ مارسنا الحب، بسرعة ومع كثير من الضحكات فى البداية، لأن هذا لم يكن مرغوباً على الرمل، لكن مع كثير من الشغف؛ لذا شعرت فى نهاية الأمر أنه جعلنى متوحدة مع البحر، فى مده وجزره وعمقه. حين عدنا إلى العالم، جلس بقربى على الرمال، كان يبدو وسيماً جداً، ولم أستطع أن أبعد عينى عنه. لامست صدره وذراعيه ووجهه بنعومة، وبأطراف أصابعى، فيما هو ممدداً فى حالة إغفاءة فى ضوء الشمس، يبتسم.

قمنا واندفعنا للسير فى المياه، متخاصرين يداً بيد، حتى بدأت ضربات الماء البارد ودفعات الأمواج ترفعنا عن الأرض. قلت: "دعنا نذهب، دعنا نذهب"، لكننى كنت مرعوبة تماماً، أحاط بى آينيس فجأة كما

لو أنه يحملنى وعاد إلى الشاطئ. ثم سرنا لننضم للآخرين. سيلفيوس غفا عميقاً تحت السقيفة التى صنعتها له النساء من مجموعة مناديل. كان هناك رمل عند منحنى جبينه الصغير، ووجهه بدا جدياً تحت ظلال الأشعة الشاحبة التى تعكسها الثياب البيضاء. جلست بالقرب منه، وهمست له باسمه، الاسم السرى الذى سميته به: آينيس سيلفيوس، آينيس سيلفيوس.

لا أستطيع أن أحكى المزيد عن مقدار سعادتنا.

فى مطلع شهر إبريل، ذهب آينيس إلى "ألبا لونجا" لليلة واحدة، وقال إن كل شىء يسير بشكل جيد. وفى نهاية شهر إبريل، حضر أبى لزيارتنا لعدة أيام. جاء فى اليوم الذى كنت فيه عند فم النهر "تايبر" منذ ثلاثة أعوام، عند الفجر، ورأيت السفن القادمة تتحرك باتجاه النهر واحدة تلو أخرى.

فى هذا اليوم ذهب آينيس، مع أشاتس وقائد رعاتنا وأربعة أو خمسة من الشباب، ليبحثوا عن القطيع الذى هرب من قطعاننا التى ترعى شرق المدينة، لينظروا إلى المواشى التى هربت من المراعى إلى البلدة الشرقية، عبرت مخاضة مجرى نيوميكس، ويُعتقد أنها تهيم باتجاه ترويا. كانت أفضل الأبقار والمواشى، ولم نكن نريد أن تضيع أو تُفقد. وجد الرجال المواشى وأعادوها عبر النهر. لكن جماعة من الرجال "الروتاليين" سرقوا القطيع، أو على الأقل كانوا يتعقبونه، لسرقته. هؤلاء الرجال هاجموا آينيس ومن

معه حين وصلوا إلى مجرى نيوميكس. كانوا مسلحين بالرماح والهراوات. والعديد من رجال آينيس كانوا مسلحين، وعلى الرغم من أنهم كانوا أكثر منهم عدداً، إلا أنهم قاتلوا بشراسة، قاوموهم بعنف، وقتلوا اثنين أو ثلاثة من الخارجين عن القانون. سقط الروتاليون وتراجعوا مبتعدين، جميعهم فيما عدا شاب طرحه آينيس أرضاً، وسيفه على رقبته، توسل إليه الشاب قائلاً: "لا تقتلنى، لا تقتلنى!". تردد آينيس، وأبعد سيفه، وقال له: "اذهب". جاهد الشاب وأسرع بالهرب. توقف والتقط من الأرض رمحاً كان قد سقط من رجل آخر. استدار وألقى به. أصاب آينيس فى ظهره واخترق صدره. سقط على ركبتيه ثم على وجهه فى مجرى المياه المتدفق. لم يمت على الفور، لكنه مات بعد أن حملوه إلى لافينيوم، إلى الريجيا، إلى الفناء الخارجى، حيث كنت هناك أتفحص ثيابنا الجديدة، المنسوجات الشتوية، التى كانت منشورة على العشب خارج الأسوار. انتقيت له سترة كان يجدها ثقيلة. كنت أطوى الثياب الخفيفة الناعمة، البيضاء الناصعة، حين سمعتهم ينادون على اسمى واسمه.

امضى ، امضى. وفى لغتنا هذه الكلمة تكون مجرد حرف "آى".

إنها الكلمة الأخيرة التى قالها "آينيس"؛ لذلك ففى ذهنى أنه قالها لى، أنا التى عليها أن تمضى، لكن أمضى إلى أين؟

لا أعرف. أنا سمعته يقولها، وأنا أمضى. إلى الأمام، بعيداً. على الطريق. طريق الذهاب. وعندما أتوقف، أسمعه يقول، اذهبى.

فى "لافينيوم"، ظلوا ينادون باسمه طوال تلك الليلة بصوت عالٍ، ينادونه بـ"الأب" وينتحبون فى الشوارع.

أشاتس، وسيريستوس، ومينيسوس، جمعوا الرجال الطرواديين عند أول الفجر، وركبوا متوجهين إلى "أرديا"، يجوبون الأرياف فى الطريق؛ ولم يجدوا لصوص الماشية، لكن كاميرس من آرديا، عرف من كانوا، وأين يبحث عنهم. أغاروا برفقة الطرواديين. أمسكوا بالرجال وقتلوهم جميعاً. كانوا أبناء مزارعين من شمال روتوليا، يقودهم اثنان من الإتروسكانيين، أتيا مع ميزنتيوس إلى آرديا، رجال ممرورين، ليس لهم قائد، يعيشون فى المنفى.

أرسلت راكباً على ظهر أفضل حصان لدينا، حصان آينيس، ليبلغ أسكانيوس فى ألبا لونجا. وصل أسكانيوس إلى لافينيوم فى اليوم التالى، وفى نهاية هذا اليوم عاد الطرواديون. وبيتنا الذى كان مليئاً بالنساء المنتحبات، صار الآن مليئاً برجال مسلحين متجهمين.

لم أتركهم يضعون الدرع على آينيس. فكل هذه المعدات البرونزية والذهبية والدرع العظيم الذى حمل المستقبل المخيف، يجب أن يذهب إلى أسكانيوس، ثم

إلى سيلفيوس. غسلت جسده النبيل الذى كان مرعباً فى جروح الموت الممزقة. ألبسته الرداء الخاص بشعبنا، الثوب الأبيض الناصع الذى اخترته له.

عندما يموت الكثيرون، كما فى الطاعون أو الحرب، نحرق الموتى، طريقتنا الأقدم هى الدفن تحت الأرض. أمرت بأن تكون مقبرة آينيس إلى جانب الطريق فوق نهر "نيوميكوس". وحُمِل إلى هناك، حيث تتوهج المشاعل وتدخن تحت رياح ممطرة فى أحد صباحات مايو. تحدث لاتينوس بالكلمات الطقوسية. والرجال كوموا الصخور النهرية فى رابية عظيمة فوق القبر. وحينما تم كل شىء، وقفت وناديت باسمه عالياً ثلاث مرات: آينيس! آينيس! آينيس! والآخرون نادوا على اسمه معى. ثم فى صمت، حاملين المشاعل المطفأة إلى أعلى وإلى أسفل، مشينا عائدين إلى مدينته.

فى اليوم التاسع بعد موته، قدم لاتينوس أضحية الملوك، ذبح الحصان الجميل الذى أهداه لـ"آينيس" أمام الضريح الصخرى. ودفن الحصان إلى جانب القبر.

وفى ذلك اليوم، نصب أيضاً أسكانيوس ملكاً على "لافينيوم"، ليشارك فى الحكم معه كما كان آينيس. كان من الضرورى أن يضفى لاتينوس على هذا التنصيب كل ثقل سلطته، ولأننى طالبت أيضاً بأن يعترف شعبى بـ "أسكانيوس" كملك: لأنهم لم يريدونه.

لقد قام بمعاداتهم منذ البداية. إنه هو الذى أصاب غزال سيلفيا. هم لم ينسوا هذا أبداً. كان مغروراً، ميالاً للنزاع، متباعداً، يبدو غريباً أكثر بكثير مما كان والده. شعبى فى "لافينيوم" أرادوا أن يحكمهم لاتينوس، أرادونى هناك فى "الريجيا"، أربى سيلفيوس، صغيرهم، أميرهم، ملكهم الذى سيكون. كانوا يقفون عابسين، والدموع تملأ وجوههم، بينما لاتينوس يعلن تنصيب أسكانيوس ملكاً.

فى أيام الحداد، ناشدنى أسكانيوس للمرة الأولى من أجل الدعم؛ وجد أننى يمكن أن أعطيه له، وأتى إلىّ ليبكى. وخلال المراسم بدا وتصرف بالشكل الذى كان عليه، صبى يغمره الحزن، جزِعاً، متوتراً، مرعوباً من المسئولية التى يتحتم أن يتحملها. وافق على تنصيب الملك له، وأدى القسم للناس والأرض. تكلم بصوت ضعيف مرتعش غير مسموع. وعند نقطة معينة كان ينبغى أن أقول له بلطف: "أيها الملك اللاتينى، ارفع رأسك!". وأطاعنى.

لا أدرى من أين جاءتنى القوة فى ذاك الوقت. أظن أننى مثل شعبى. تشكلت مثل شجر السنديان. السنديان لا ينحنى، على الرغم من أنهم من الممكن أن يكسروه. وكنت أعرف ما سيأتى. لقد عشت مع موت آينيس وقتاً طويلاً، منذ أن رأيت وجهه فى المرة الأولى، مرتفعاً فى مقدمة السفينة، قاتماً فى نور الصباح، يحدق فى النهر فى صلاة ابتهال وخشوع. ثلاث سنوات، هكذا قال الشاعر. ثلاث سنوات حتى

ذلك اليوم الذى كان. فالعجائز الثلاثة اللواتى يغزلن ويقطعن الخيوط حددنها تماماً، بالبوصة، بدون أية زيادة. فلا منحة لأيام الصيف.

فى السنة الأولى من موت آينيس، كان قادته، ورفاقه، دعامة أساسية لى، بخاصة أشاتس. والعزيزة مارونا، ونساء البيت، والصديقات مثل إيليفيا منحننى بمنتهى الكرم حباً وتعاطفاً وتأييداً، أردته فى معظمه لأبقى مع أصدقاء آينيس، لأنه يشبه قليلاً أن أكون معه. كانت لهجة الرجال فى الكلام، الطريقة التى يتحركون بها، ما يتحدثون عنه، حتى اللكنة الطروادية، تسبب الراحة لى. ولا أحس أنه بعيد عنى.

لقد أحبه أشاتس ـ سوف أقول هذا على الرغم من أن قلبى يقاوم ـ كثيراً جداً بقدر ما أحببته. أعرف أن أشاتس فكر أكثر من مرة بالانتحار فى ذاك الصيف. كان يلوم نفسه لما وقع عند النهر، كان ينبغى عليه أن يصر على لبس الدروع، لقد كان قريباً من آينيس خلال القتال. لم يكن ينبغى عليه أن يترك آينيس يحرر ذلك الشاب، أو كان عليه أن يتبعه، يبقى عينه عليه، أن ينتبه للسلاح الملقى على الأرض ـ كان يلوم نفسه على كل شىء، فعله.

كان أشاتس هو أول من أخبرنى، حين أحضروا آينيس للبيت، بما حصل عند مجرى النهر. وجدت أنه بالسماح له بالكلام عما حدث مع مرور الوقت، فإنه يحكى عن خزيه وغضبه الشديد، وباختلاف فى كل

مرة، كما لو أننى أود سماع ذلك من جديد، يقصه على مرات ومرات، حتى صرت أرى ذلك كما لو أننى كنت هناك، كما لو أننى كنت أشاتس، كما لو أننى أنا التى صرخت متفجعة على آينيس، وسحبت النصل المرعب من ظهره، وأمسكته بذراعى، وراقبت دمه يلون سطح المياه التى تجرى بين الصخور. قال أشاتس: "هو لم يكن ميتاً، لقد أمسك بى، لكن لا أظن أنه رآنى، كان ينظر نحو السماء حين رفعته لأضعه على النقالة، أغلق عينيه، ولم يتكلم أبداً". هو لم يتكلم، لكنه لم يكن ميتاً حينئذ". وطوال الوقت الذى يحكى فيه أشاتس القصة، لا يكون آينيس ميتاً.

كان أسكانيوس مضطرباً بسبب المسئوليات الجديدة، وكان فى البداية غيوراً من بقائى بين القادة الطرواديين: كانوا رجاله وليسوا رجالى، يحتاج إليهم للنصيحة، ولتنفيذ أوامره، وليس لديهم عمل ليتأخروا بإنجازه مع النساء فى الريجيا. أعطى تعليماته إلى أشاتس بأن يتوجه إلى ألبا لونجا ويحكم هناك. قبل أشاتس أمره بدون كلمة، لكنى كنت خائفة من أجله. ذهبت بشكل شخصى إلى ابن زوجى، وطلبت منه أن يرسل مينيسيوس، أو سيريستو" اللذان يعرفان المستوطنة بشكل أفضل، ولن يكون لديهما اعتراض على مغادرة لافينيوم. قلت: "دع أشاتس يبقى هنا، على الأقل حتى السنة المقبلة، إنه يذهب يومياً لمقبرة آينيس دع حزنه يُشفى. هو ليس لديه قوة للذهاب إلى "ألبا لونغا".

سأل أسكانيوس بجفاف: "تريدينه هنا بجانبك؟".

لقد لاحظت أن الرجال الذين تتوجه رغباتهم الجنسية إلى الرجال وليست النساء، يظنون أن كل النساء مشبعات بالشهوة للرجال. لا أعرف إذا كان هذا انعكاساً لرغباتهم الخاصة، أو خوف، أو مجرد غيرة، لكنها تؤكد قدراً كبيراً من الازدراء وسوء الفهم. أسكانيوس كان يميل إلى النظر للنساء بمثل هذه الطريقة، وعاطفته التى تتمنى جعل ذكرى آينيس غير سارة، قادته للتفكير بى مع كل رجل. كنت أعرف هذا بطبيعة الحال. إنه تطاول مفرط على شرفى، جعلنى أحس بهذا الازدراء بدورى نحو أسكانيوس، لكن ليس الغضب، ولا الازدراء لن ينفعانى فى أى شىء. قلت: "أتمنى لو كان بمقدرتى الاحتفاظ بكل أصدقاء آينيس وابنه الأكبر، هنا معى. لكننى أخشى أن يمضى أشاتس حياته فى الحزن. أرجوك أن تدعه هنا معك، على الأقل خلال الشتاء، وأرسل أى أحد آخر إلى "ألبا لونجا".

قال أسكانيوس: "أتمنى لو كان بإمكانى الذهاب بنفسى".

مشى خطوات واسعة مجيئاً وذهاباً فى الغرفة التى كنا فيها، لم يكن يشبه والده كثيرا، لكن فى بعض الأحيان يتحرك مثله.

قال: "ما عنيته أن فى هذا تكريم لـ "أشاتس" رئيس لاتيوم سيكون رئيس "ألبا لونجا،"وليس "لافينيوم" هذا الوضع حتماً أفضل. أرض أعلى

وأفضل. وتقع فى المركز حيث ستكون سلطتنا، حينما أُحكِم قبضتى الفعلية على روتاليا اعتقدت أن أشاتس سيعتبرها تشريفاً. لكن إذا كان محبطاً كما تظنين، فسوف أرسل منيسيوس، وأتيس لذلك لست فى حاجة لأن تركعى، أماه". ذلك أننى كنت أستعد للانحناء فى وضع رسمى للتضرع، وأمسك ركبتيه. عرفت أنه لم يمسكه أحد بهذا الشكل من قبل. لم يكن رجلاً قاسى القلب، لكنه لطيف بطبيعته، يُغير وجهات نظره بسهولة، على الرغم من أنه متشدد فيما يتعلق بالتدرج الرئاسى والرسميات، وأى شىء يدعم ثقته بنفسه غير المؤكدة.

ولم يكن من السهل عليه الاحتفاظ بهذه الثقة بالنفس هنا فى "لافينيوم"، حيث الناس ينعون باستمرار آينيس، ويتغنون بـ "لاتينوس" العجوز، ويحبوننى كابنة وأرملة لملكيهما، واستاءوا منه. وفى محاولة منه لتقليد سلطة آينيس، كان قاسياً فى سلوكه، وغالباً عشوائياً فى أحكامه. كانت سنة صعبة بالنسبة إليه، على الرغم من أن المحصول كان رائعاً، وظلت "لاتيوم" تنعم بالسلام، مع القليل من الغارات والتجاوزات. خفنا جميعاً مما يمكن أن يحدث فى أعقاب موت ملك على أيدى الخارجين عن القانون.

كان الشتاء قاتماً، أمطاره ثقيلة وباردة، الثلج يغطى التلال وحتى حقول المزارعين فى المناطق الواقعة بين الجبال. تعلمت أخيراً فى ذاك الشتاء أن أنسج جيداً، إذا لم يكن هناك أى عمل آخر يشغل

ذهنى ويداى، لا أفعل شيئاً سوى الاختباء فى غرفتى والبكاء. فى البداية خفت أن يكون لدى مرض أمى، جنونها. فى الليل كنت أتسلل إلى الأماكن المعتمة فى عقلى. أذهب إلى أسفل تحت الأرض بين الظلال، ولا أستطيع أن أجد الطريق إلى أعلى أو إلى الخارج. فى غرفتى فى العتمة، سمعت أطفالاً يبكون تحت الأرض. لم أجرؤ على أن أتقدم خطوة خشية أن أخطو على طفل منهم.

لم أحكى هذا كله بالترتيب الذى حدث به. مازال من الصعب الحديث عنه. فبعد موت آينيس بشهر، فقدت جنينى الذى كان من الممكن أن يكون ابنتى. النسوة فقط كن يعرفن أننى كنت أحمل طفلاً، وأن الحمل أُجهض. ذهبت مع مارونا فى العتمة قبل الفجر، ودفنا البقية الصغيرة من الحياة التى لم تعش، عميقاً تحت الأحجار العظيمة لقبر آينيس.

ذهب أسكانيوس كثيرا إلى "ألبا لونجا"، وفى الصيف الثانى بعد موت آينيس، ليس بعد وقت طويل من إقامة طقوس مرور عام على موت أبيه، انتقل إلى هناك. فقد احتدمت الاضطرابات من جديد على حدودنا، أراد أن تكون ألبا مكاناً محكم السيطرة عليه. أخذ معه بيناتيس، إلهة "طروادة"، وسيلفيوس وأنا. ترك منيسوس وسيريستوس ليتوليا أمر لافينيوم. أشاتيس اختار البقاء هناك، كما فعل كثير من الطرواديين، كبار السن. الرجال الذين تبعوا أسكانيوس كانوا أصدقاءه الخاصين والحميمين من

بين الشباب الطروادى، مثل أتيس، الذى كان رفيق طفولته، ومجموعة من الشبان "اللاتينيين" الذين شكلوا حراسه والمدافعين عنه. العديد من هؤلاء الرجال لم يكونوا متزوجين؛ فإذا كان لديهم زوجات لأحضروهن مع أهل البيت ليستوطنوا فى "ألبا". سُمح لى أن أُحضر معى عشرين امرأة لمرافقتى. ولأن أسكانيوس لم تكن لديه زوجة، فقد أعطى لنا القسم كله الخاص بالنساء فى "الريجيا"، كان أكبر وأجمل من البيت الصغير الذى بناه آينيس فى لافينيوم. كان بيت أسكانيوس المرتفع مهيباً، وأقسامه الدخلية لها وقع جليل. من خلال الجدران والأسطح لتلك القلعة، يمكنك النظر يميناً إلى أسفل نحو البحيرة العظيمة وعلى جانبها من الحائط الشرقى انخفاض يشبه الصحن. وفى مكان أبعد قليلاً، يوجد جبل من حقول العنب المزهرة، وكما تنبأ أسكانيوس، فإن المدينة التى تتمدد أسفل القلعة ستزدهر أيضاً، مليئة بالنشاط، والعمران، بالرائحين والغادين من الرجال المسلحين.

أحسست هناك كما لو أننى مكشوفة، كان هناك الكثير من المنحدرات الرمادية، الكثير من المرتفعات، لاتوجد أماكن ظليلة. مياه البحيرة لا تتحرك، لا تبوح، مثل المياه التى عرفتها، بل تبقى صامتة، زرقاء، قاسية، أحسست أننى معزولة هناك. وبأنى عديمة الفائدة.

كنت أُدير البيت من أجل ابن زوجى، بالطبع أخطط وأمرن الجوارى على أعمال المنزل والطهو

وتنظيف الثياب، وأهتم بالطقوس والاحتفالات كالعادة. أشارك فى حضور المجالس ودعوات العشاء مع الرجال، كما كنت أفعل فى بيت أبى وزوجى، لكننى لم أكن أرغب بذلك. ولا أنتمى إلى المكان. مارس يحكم "ألبا". الكلام كله عن الحرب، حتى فى فصل الشتاء حين لا يكون هناك قتال.

لم يكن مسعى أسكانيوس أن يظل تحت السلاح، لكنه بدا عاجزاً عن تجنب المعركة، والمعركة تتقدم باستمرار على طول الحدود الجنوبية والشرقية. كان يقابل أى تهديد أو تحدٍ بالبدء بالهجوم، يلاحق النصر عبر الانتقام، والهزيمة بهجوم. لقد استثار حتى ايفاندر العجوز لينقض التحالف. أعتقد أنه كان مجنوناً إلى حد الشجار مع الإتروسكانيين، لو لم يمنعه أبى. لاتينوس احتفظ بصداقة قوية مع كيرى وفيى. لقد جعل أسكانيوس يعرف أنه لو عرض هذه العلاقة للخطر، فهو يثبت زعمه بالحكم المشترك لـ "لاتيوم" الغربية. لقد كان غاضباً بشدة من أسكانيوس، ليس فقط لأنه سحبنى معه أنا وسيلفيوس إلى ألبا.

جاء ذات مرة لزيارتنا هناك، إنها رحلة شاقة بالنسبة له، لأنه كان عجوزاً يعرج من جراحه القديمة. لقد منحنى أنا وآينيس الكثير من أشيائه الثمينة؛ أتى بالحالة التى استطاع أن يأتى بها، مع من تبقى له من العدد القليل من حراسه المرافقين له فى أواخر ديسمبر. تقبل ترحيب "أسكانيوس" الشرفى بتصنع.

جلس مع الشباب على مائدة الوليمة، ولم يتكلم، كما قال الخدم. وكلما كان بمقدوره كان يأتى إلينا ليجلس معنا فى الفناء الداخلى أو قرب النار فى غرفة الحياكة، يتحدث معى، ويراقب حفيده.

فى ذاك الوقت كانت لعبة سيلفيوس المفضلة ثمرتين كبيرتين مع كأسيهما وعقدة صغيرة غريبة من الخشب وجد أنها تشبه قليلاً الحصان. كان يلعب بهذه الأشياء باهتمام شديد أسفل الموقد، ويهمس بقصة تتعلق بهم من بين أنفاسه. ومن هنا وهناك نستطيع أن نسمع شذرة منها: "أذهب، أشرب. لا. السمين قال ألا... انظر، أهو بيت؟".

قال أبى: "إنه ولد لطيف يا لافينيا".

أخبرته وأنا أضحك من هذه النبوءة المحببة: "أعرف".

كان من الجيد أن أضحك، فالضحك من النادر حدوثه فى ذاك البيت.

"تربينه بشكل جيد". كانت عبارة، وليس أمراً، لكنها كانت تحمل نبرة الأمر أو التحذير.

"أتمنى أن أربيه جيداً كما قد يرغب آينيس.

أومأ لاتينوس برأسه بحيوية وقال: "حسناً، ابقى معه".

"هذا ما أفعله يا أبى".

"كان زوجك محارباً عظيماً، لكنه بحث عن السلام".

فكرت فى أننى تجاوزت هذا، لكن الدموع انهمرت. قاومت البكاء ولم أتحدث.

قال لاتينوس: "ابنه سيحكم جيداً بما يكفى من سلام، لكنه ليس لديه الصبر لخوض الحروب. لاتدعيه يدرب ابنك على هذا".

كيف بمقدورى أن أمنع أسكانيوس من الضلوع فى تربية سيلفيوس إذا أراد؟ ليست لى سلطة.

قلت فى النهاية وأنا أحرص أن لا يكون صوتى مرتعشاً مثيراً للإشفاق: "لم أكن لآتى إلى هنا لو كان بمقدورى البقاء فى لافينيوم.

"أعرف يا ابنتى أنه من الأفضل ألا أعارضك".

هززت رأسى بالموافقة.

"ولكن إذا جاء الوقت الذى تشعرين فيه أنه ينبغى عليك المغادرة، خذى آلهتك وابنك وغادرى، هل ستفعلين؟".

"سأفعل".

ظننت أنه يبلغنى أن أذهب إليه، لكنه قال: تارشون فى كايرى سيهتم بك، ويعاملك بإخلاص.

قلت، وأنا أحدق به، مصدومة ومندهشة: "أوه. بالتأكيد لن يصل الأمر إلى هذا الحد".

"لا أعرف ماذا سيحدث. إذا تعلم دروساً قليلة من الحرب وسحب قرونه، سيكون كل شىء على ما يرام". كان هو أسكانيوس. "حاولت مرة أخرى فى

الليلة الماضية أن أطلب منه أن يترك إيفاندر وبالينتيوم وشأنهما. الرجل العجوز يحتضر. الإتروسكانيين يستولون بعد موته على التلال السبع. فى السلام. لايوجد سبب لأن لا يفعلوا. ما عدا نفاد صبره. لقد كنت أحمق كشاب، لكن ليس لدرجة أن أهاجم "إتروريا" أفضل حلفاء يمكن الاعتماد عليهم. كيف أجعله يفهم ذلك؟"

"لن تستطيع يا أبى".

وجاءت همسة خافتة من سيلفيوس، "انظروا، انظروا، إنهم يعطونه السلطانية الذهبية!".

راقب أبى الطفل بنصف ابتسامة، لكن عينيه كانتا حزينتين. قال: "الصبر! أحتاج إليها بقدر ما يحتاجها".

كانت المرة الأخيرة التى شاهدت فيها أبى. غادر فى البرد، مشى عبر الأراضى المزروعة بينما المطر يتساقط، ويصل إلى رئتيه؛ مات بعد عدة أيام، فى اليوم الثالث عشر من شهر يناير. أمرت بعض الرجال والخيول ليرافقوننا، أنا ومارونا وسيكانا إلى لورانتيم. كان أسكانيوس منشغلاً على الحدود بمقاتلة "المارزيين"(*) بالقرب من نهر تايبر، ولا يعرف شيئاً عما جرى. لم آخذ معى سيلفيوس، فقد كان يعانى من سعال وسخونة منذ عدة أيام، وكان الطقس محملاً

(*) المارزى Marsi: شعب قديم فى إيطاليا كانوا يعيشون فى منطقة تسمى الآن مارسيكا. (المراجع).

بالأمطار الثلجية. شجرة الغار الكبيرة كانت تقف فى عتمة شتائها بالقرب من النافورة فى الفناء الخارجى لبيتى القديم. "بوابة الحرب" مازالت معلقة مفتوحة، يعلو الصدأ مفصلاتها المشئومة. بدا الناس جميعاً فى "لورانتيوم" هرمين؛ لم تكن هناك وجوه ولا أصوات شابة. بقيت هناك ما يكفى من الوقت لأقوم بدفن أبى على الطريق إلى مدينته. لم أستطع أن أبقى هناك أيام العزاء التسعة. كان على العودة إلى ابنى فى مدينة منفاى.

صار أسكانيوس الآن الملك الوحيد فى لاتيوم. لم يكن كل المزارعين اللاتينيين سعداء بذلك، لكن لم يصدر عنهم أى اعتراض أو مقاومة؛ كانت الضغوط عل حدودنا تشتد، ويريدون قائداً واحداً خلال الحرب. وقدرنا أن تأتى الحرب منذ سنوات. الفولسكانيون والهيرنسيون، على أمل أن موت لاتينوس قد أضعف المملكة، أزعجوا باستمرار المزارع والبلدات الواقعة على الحدود. قبل فترة طويلة، جاء كاميرس حاكم أرديا ليرى آينيس كحليف وتقريباً كأب، يهاجم الآن بسبب غطرسة أسكانيوس؛ وبدأ يترك الروتاليين يشنون غارات وهجمات على لاتيوم، كما أعاد تحالفه مع الفولسكانيين. وعلى الرغم من أن ذلك لم يؤدى إلى تزايد القتال، فإن الإتروسكانيين فى المدينة الداخلية العظيمة فيى، كانوا يرسلون جماعات من عائلات المزارعين ليستوطنوا التلال السبع على ضفة تايبر. لم يحتلوا المستوطنة اليونانية الصغيرة،

لكنهم انتقلوا ببساطة إلى المناطق حولها، وبنوا على جانبى ضفة النهر، حيث كانت جانيكولوم(*) أعلى التل الذى يسمونه "بالاتين"، وأزالوا الغابات بطول ضفتى النهر، وأطلقوا قطعانهم ترعى خلال الوديان. انتقل العديد من الشبان اليونانيين من بالانتيوم إلى مدينة ديوميدس فى آربى، جاء آخرون ليستقروا فى "ألبا لونجا"، وكانت "لاتيوم" لها مزاعم منذ زمن بأحقيتها فى إقليم التلال السبع، وكل الجانب الجنوبى من النهر الأب حتى نومينتوم. كان أسكانيوس مستاءً بمرارة من هذا التوسع، لكنه تذكر تحذير لاتينوس، ولم يتحد إتروريا. عرضت المستعمرات "الفينيقيّة" علينا شروطاً رائعة للملح من الملاحات عند فم النهر، ولم يظهروا أية دلالة على رغبتهم فى التوسع فى أراضينا. وأسموا المستعمرة على اسم نهر ريوما.

كان درع آينيس معلقاً فى الممر الداخلى فى البيت المرتفع فى ألبا لونجا. لم يرتديه أسكانيوس عندما ذهب للحرب، كما لم يرتد درع الساق، أو الدرع المذهب، والخوذة ذات القمة الحمراء المشقوقة، والسيف البرونزى الطويل. ذات مرة قال على مسمعى إن تلك الغارات من قبل المزارعين، تلك المنازعات بين تلك الممالك البربرية التافهة، لا تستحق مثل هذا السلاح الثقيل، ويجب أن تُسوى بالفئوس والمعاول. أظن أن الدرع كان ثقيلاً جداً عليه.

(*) جانيكولوم Janiculum: تل غرب روما، ثانى أطول تل فى إيطاليا. (المراجع).

رأيت سيلفيوس يقف أمام الدرع، ينظر إليه بثبات. كان فى السادسة أو السابعة من عمره. سألته: "ما الذى تشاهده يا سيلفيوس.

ظل صامتاً لبرهة قبل أن يقول بصوت خفيض كما لو أنه قادم من بعيد: "أراقب كل الناس فى المكان المستدير العظيم".

وقفت بجانبه أحدق. رأيت الأم الذئبة، السفن المحترقة، رجل فوق رأسه مُذَنب، جنود يقتلون جنودًا، رجال يعذبون رجالاً. رأيت شيئًا مدهشًا: أقواس عظيمة من حجر أبيض ينحدر من الجبال عبر الوديان إلى المدينة بتلالها ومعابدها. مدينة "روما".

كنت خائفة من الدرع، لكن الطفل لم يكن خائفاً، فالقوة التى صنعتها وسكنت بداخلها كانت فى دمائه. وضع يديه على الدرع الذهبى، متتبعًا براحة يديه وأصابعه الانحناءات والزخارف، وهو يبتسم.

قلت: "سوف ترتديه ذات يوم".

أومأ برأسه ثم قال: "حينما أعرف كيف".

كان لدى سيلفيوس قوة كبيرة، كطفل. لم يكن يثير الصخب، وغالباً ما أساء الأولاد الأكثر قسوة فهم هدوئه على أنه خجل ووداعة. ولو أنهم أسسوا حكمهم على ذلك لاكتشفوا خطأهم. كان يتجاهل الانتقادات الشفوية، لكنه كان يواجه البلطجة الفعلية أو التهديد بالمقاومة الفورية والانتقام: يضرب بقسوة.

كان ميالاً للتنافس؛ وأحب كل أنواع الرياضات والألعاب. الركوب والصيد كلما استطاع. وكان تلميذاً مهذباً مع معلمه الكبير أسكانيوس فى لعبة السيف، ورمى الرمح، والرماية، وسائر فنون القتال. مع الصبيان والرجال كان جاداً، صامتاً ومتحفظاً. كان يخرج عن تحفظه معى فقط ومع النساء اللواتى برفقتى وأطفالهن. سيلفيوس الذى فى ساحة الفناء كان مرحاً، محباً، مشاكساً، شرهاً للحلوى، وصبوراً مع الأطفال، ومتبرماً بشعائر الطقوس، مولعاً بالمزاح وبالألغاز التافهة وبالقصائد المقفاة البسيطة.

فى تلك الأيام الأولى من حكمه، فقط بعد مرحلة الصبا، عاش أسكانيوس فى مجد اسم والده المتوهج، محاولاً صنع مجده الخاص. كان يوقر ذكرى آينيس التى تجعله يشعر بالحزن. لكنه كان غيوراً وممتعضاً من أية قوة أو شعبية أخرى، بخاصة فيما يتعلق بى. ظن أن بإمكانه التفوق على أبيه، يجاهد لكى يكون الابن الذى يفوق أباه، يجاهد من أجل أن يكون أكثر إشراقاً من الشمس، وهنا كنت أنا القمر الذى يلمع بالضوء المنعكس من الشمس بدون أدنى جهد، يحبنى شعبى، لأننى كنت واحدة منهم، ولأنهم قد أحبوا آينيس. وعلى كل الأحوال، فقد عشت متواضعة، مختبئة مثل أسير فى بيت أسكانيوس، كان يتصور أننى التهديد الدائم لكرامته. كان انزعاج شعبنا يتزايد مع حالة الحرب التى لا تنتهى، والتى عرضت الشباب إلى الخطر، وتركت الحقول للرجال العجائز ليحرثوها

. فكيف يكونون سعداء بذلك؟ لكن أسكانيوس ألقى باللوم فى اعتراضاتهم وترددهم علىَّ أنا. فأنا سممت أفكار مستشاريه، وتهامست مع النساء، وقلبت عليه اللاتينيين. لقد تصرفت كراهبة للإلهة فيستا، وليس مثل ملكة، لا أفعل شيئاً مطلقاً أعتنى بشئون البيت والمذابح: مازلت أنا المخطئة.

كانت حياة بليدة، ليست مريرة، لكنها غير مريحة، لكنها مغبرة، غبار جاف، لا ربيع فيها، فيما عدا ابنى الجميل، المشرق، الرزين. لقد كَبُر وترعرع، ومنحنى على الأقل شريان الحنان والأمل.

وهناك جاء مارس عندما هاجمنا نحن اللاتينيين الفولسكانيين والروتاليين، وأبعدنا جيوشهم إلى أسفل تماماً نحو الشاطئ، أخذنا آرديا وآنتيوم، وقلصنا شروطهم إلى القبول بسيادتنا. وعاد رجالنا من هذه الحملة فى إبريل ليحرثوا وكانوا فى الوطن طوال الصيف. وعند المعرفة بالانتصار، بدأ أسكانيوس يسترخى، ويظهر جانب الخير الذى كان طبيعته الأصلية. دعانى عدة مرات إلى المآدب فى قاعته الكبيرة، يعاملنى بتقدير رسمى. وفى مرات قليلة تحدث معى حتى بشكل غير رسمى، بمنتهى الحرص، لكنه بدأ يُظهر وميضاً من الثقة. وكان حينئذ أنه أخبرنى بقصة غريبة، نبوءة لم أسمعها من قبل. سوف أحكيها كما سمعتها منه.

فى ذلك الوقت الذى كان فيه "تورنوس" يجمع الجيوش ليطرد "الطرواديين". آينيس كان يستعد لأن

يحر إلى تايير لطلب المساعدة من إيفاندر. فى صباح ذلك اليوم، قال أسكانيوس، إنه شاهد هو وأبوه أنثى خنزير وحشية بيضاء عظيمة ضخمة، ترقد على ضفة النهر، مع ثلاثين خنزيراً أبيض صغيراً يرضعون منها. وفى الحال دعا آينيس لتقديم أضحية، وعند المذبح أعلن النذير: مملكته الجديدة سوف تتأسس فى مكان يسمى "أبيض"، هذه هى "ألبا"، وسوف يحكم وريثه هناك لمدة ثلاثين سنة ستكون فى مكان "أبيض"، إنها ألبا، ووريثه سوف يحكمها لمدة ثلاثين عاماً.

لم يخبرنى هو أو الشاعر عن هذه النبوءة. عرفت فقط أنه بصدد بناء مدينة جديدة فى إيطاليا ويطلق عليها اسم زوجته. لم أتحدث حول هذا الأمر منذ أن تبنى أسكانيوس نبوءة رؤية أنثى الخنزير كمبرر للانتقال إلى "ألبا لونجا". بدا الأمر غريبًا فى ذهنى. فقد حلمت أكثر من مرة منذ ذلك الحين وصاعداً بخنازير صغيرة بيضاء تعدو وراء بعضها البعض، مع أن الجزء الداخلى من عنقها كان مقطوعاً وتتثاءب كتلاً متخثرة من الدماء، وكان هناك مخلوق أبيض ضخم يلهث ويتمرغ على العشب، وقد جفت دماؤه من النزيف لكنه لم يكن ميتاً، ولا يمكن أن يموت.

كان العام التالى عام سلام، لكن السابيين لحقوا بـ"الإيكوانسيين" ضد المدن الشمالية الشرقية والمزارع، يحرقون وينهبون ويأخذون العبيد بعيداً فى أراضينا، مثل "تيبور" و"فيديناى". لقد مضى عامان فى قتال هؤلاء الناس. هزمهم "أسكانيوس" فى معركة طويلة

وحاسمة فى نهاية العام عند التلال فوق آنيو. جميع الطرواديين الكبار قاتلوا معه هناك، آشاتس، منثيوس، سيريستوس، والرجال الذين قاتلوا سابقاً أمام أسوار طروادة، حينما كانوا شباباً. كانت معركتهم الأخيرة. عاد الجنود إلى البيت تحت أمطار الشتاء، منحنين ومنهكين مثل الذئاب العجوزة، لكنهم منتصرون.

ومن جديد كان أسكانيوس معتدلاً ومهذباً عند النصر. استدعى الطرواديين من لافينيوم، ليتلقوا تكريماً خاصاً فى ألبا لونجا، وتأكد من أن قادته الشباب قد عاملوهم باحترام. وعلى الرغم من أنه لم يربح إلا القليل من هذه الحرب الدفاعية، إلا أنه أيا كانت الغنائم، يوزعها فيما بين الرجال الذين قاتلوا من أجل لاتيوم، كما أجزل العطاء والهدايا لـ الجابيين والبرينستيين كمقابل لمساعدتهم.

وخلال زمن التحول القاتم، عاد من رحلة قصيرة إلى آرديا. أرسل إلى وقال لى: "أماه، أعرف أن قلبك لم يكن أبداً هنا فى "ألبا لونجا".

قلت: "قلبى حيث يوجد ابنى".

رد بلطف: "وفى المكان الذى يكون فيه قبر زوجك، كما أظن"، وأومأت برأسى.

"لقد حكمت بيتى بلباقة وحكمة، والعديد هنا سيحزنون لذهابك، إذا ذهبت. لكننى أقول لك الآن، إذا كنت تريدين الذهاب يمكنك ذلك. لقد طلبت يد شقيقة كاميرس ساليسا، وستأتى إلى هنا كعروس لى

فى شهر إبريل. واذا كنت هنا لتعلميها طرق البيت، وتعلمينها مهارات إدارة المنزل التى برعت فيها، فستقومين لنا بمعروف لا ينسى. ولكن إذا كنت ترين أنه ليس من الحكمة وجود ملكتين تحت سقف واحد، أو إذا رغبت ببساطة أن تعودى إلى لافينيوم التى هى وطنك الذى بناه لك أبى دون أدنى شك، فإننى أود أن تشعرى بأنك حرة فى اختيار أى شىء يسرك".

إن الحماقة المنمقة والنوايا الطيبة كانت تشبهان أسكانيوس كثيراً. كنت أصنف كلماته، وشعاع من الأمل بدأ يشرق داخلى ويبعث الدفء فى كل روحى، حينما مضى يقول: "وبالطبع سأحتفظ بـ سيلفيوس هنا، للقيام بتدريباته، لقد حان الوقت لأكون الأخ المسئول عنه ـ فأنا بمثابة الأب له".

قلت: "لا".

حملق.

"إذا كنت ستحضر زوجة هنا، فمن الصواب أن أذهب. فهى سوف تحكم هنا. سأعود إلى لافينيوم برغبتى ممتنة. لكن ليس بدون سيلفيوس.

كان حائراً، غير مسرور، لقد ظن أن عرضه كريماً ومنطقياً للغاية.

"الصبى فى الحادية عشرة، أليس كذلك؟"

"نعم".

"لقد حان الوقت لينشأ بين الرجال".

"لن أترك ابنى. هذا ما كلفنى به آينيس .

"ليس بإمكانك أن تكونين الأم والأب بالنسبة إليه" .

"أستطيع، أنا كذلك. أسكانيوس لا تطلب منى هذا . أنت لن تبعدنى عن سيلفيوس. أشكرك فعلاً على رعايتك الأخوية له. ليس هناك أى خوف عليه فى "لافينيوم" سوف ينشأ على كل طرق الرجال وفنونهم عن طريق رفاق أبيه، وقادتك اللاتينيين هناك. أظن أنك تعرف أننى لم أقم بتدليله. هل هو يفتقر لمهارة ما بالنسبة إلى عمره، أو هل هو كسول أو جبان؟ هل هو بأى شكل من الأشكال غير جدير بالانتماء إلى أبيه؟" .

حملق مرة أخرى. كنت أنا الذئبة على الدرع الآن. لقد رأى أنيابى" .

قال أخيراً : "هذا غير لائق" .

"أن أرفض التخلى عن ابنى؟"

"سيبقى هنا معى. لا يبعد سوى عدة أميال عن "لافينيو" .

"سيكون، حيث أكون أنا" .

استدار مرتبكاً، مكرراً قوله: "غير لائق بالمرة" .

قلة من الناس، كما افترض، عارضوا إرادته علناً منذ أن صار ملك "لاتيوم" . لكنه نسى أنه مازالت هناك ملكة.

وقفت صامتة. قال أخيراً: "سنتحدث فى هذا مرة أخرى". وبينما هو يغادر الغرفة، قال بتعجل وبشكل سليط: "خذى مكانتك بعين الاعتبار. فليس بمقدورك أن تسلكى طريقك فى كل الأشياء".

لم يقدر أن يتحمل التناقض؛ لم تكن لديه القوة التى تسمح بالمعارضة. يمكن أن يكون سخياً فقط حينما يفرض إرادته. رأيت حتى حينئذ أنه لن يغير موقفه. لقد بررت شكوكه. هو عرف الآن أنه كان على حق فى أن يشك فىّ على طول الخط، طوال هذه السنين التى أطعته فيها، وخدمت بيته، وأحنيت رأسى، وعقدت لسانى، لقد كنت امرأة، مما يعنى أنه لا تجدر الثقة بى، ولا ينبغى طاعتى أبداً. ينبغى إهمالى أو العمل على هزيمتى.

حين ذهبت إلى جناحى فى غرف النساء فى هذه الليلة، أحسست برأسى مزدحمة بالأفكار أكثر مما يمكن أن تحتمله جمجمتى، إلا أننى استطعت فقط أن أفكر فى شىء واحد. لقد حكم أسكانيوس حياتى مدة عشر سنوات. لقد نفذت إرادته لا إرادتى، وهو اعتبر هذا كما لو أنه أمر مفروغ منه، كما لو أننى جارية. الآن هو أراد بدون ضغينة، لكن بدون حاجة أو مبرر لأن يأخذ منى الفائدة والهدف من حياتى. لم يكن هو الرجل الذى يربى ابنى، ابن آينيس. أبى قال ذلك، وأنا عرفت أن الأمر كذلك.

سألتنى مارونا حينما كنا فى الحمامات: "هل حدث شىء؟"، وقلت: "الملك سيعيدنى إلى "لافينيوم".

تهلل وجه مارونا.

"هو ينوى أن يبقى سيلفيوس هنا".

صمتت.

قلت: "لن أذهب بدونه".

وبعد لحظة قلت وأنا ذاهبة إلى الحوض لأغتسل: "ولن أبقى هنا. وكفى هذا!".

جاءت لتقف بجانبى، وأنا أنادى على الفتاة: مايا أحضرى لنا ماءً نظيفاً يا طفلتى!". جاءت الطفلة ذات الأعوام العشرة، وأحضرت معها وعاء فيه ماء بارد، بينما شقيقتها الصغرى تسرع بإحضار المناشف. كانت هاتان الطفلتان حفيدتى سيكانا، ليستا جميلتين، لكنهما مشرقتان. قلت لهما: "ستعودان معنا إلى "لافينيوم" أنتما - الاثنين -"، فاتسعت عيناهما دهشة مما أعنيه.

كررت لـ مارونا وأنا أجفف يدى: "سوف أذهب". ساعد هذا على تهدئتى لأقولها عالية. "هل أنا مع سيلفيوس مثل أمى يا مارونا.

وكالعادة، صمتت قبل أن ترد، ثم قالت أخيراً: "فى الكثير من الطرق".

"لأننى أعرف كيف جُنت. أعرف الآن أننى من الممكن أن أجن مثلها. أخبرينى حين ترين أننى فى طريقى إلى الجنون. عدينى أن تفعلى".

"سأفعل".

"أبى موجود فى داخلى أيضاً. أظن أنه إذا بدأ الجنون يجتاحنى، أستطيع إيقافه. لكن ليس إذا فقدت سيلفيوس.

أومأت برأسها.

لقد فهمت بعمق شيئاً ما عن الكيفية التى يعمل بها عقل أمى حين كان ينتابها الجنون: دوامة الأفكار التى لا تتوقف، الدوران المتواصل للأفكار، الخطط، المكائد، الغضب المخيف من أى شىء يبعدها عن فكرتها، ومن أى شخص لا يفهمها، والإحساس كما لو أن هناك كميناً منصوباً لها. تذكرت العينين الذهبيتين الشاحبتين اللتين تلمعان فى ضوئهما الخاص. كنت الذئبة فى الكهف تقف بثبات وصمت، فى الظلام، على أهبة الاستعداد.

جرت الاستعدادات لتجهيز زفاف "أسكانيوس" و"ساليسا" فى الوقت ذاته الذى كانت تجرى فيه الاستعدادات لأترك بيت الملك فى "ألبا لونجا". تركت أنا والنساء البيت فى حالة تنظيم تام للملكة الجديدة، تم ملء جميع الخزائن بالمحاصيل، وكانت الصناديق الخاصة بملاءات النوم والثياب نظيفة تماماً، والأشياء فيها مطوية بعناية، الحرير، الفرو، والصوف، كما تم تجهيز الوجبة المقدسة، وتنظيف المذبح، ومسح الأرضيات. لم يكن هناك حشرة، أو فأر فى المخازن. وكان كل بساط صوفى موضوع على الأرض جديداً.

كان لدى فرح، وكنت أريد أن تحس ساليسا بالترحيب فى البيت. كانت شابة، فى الثامنة عشرة، وعلى الرغم من أن أسكانيوس لن يُسىء معاملتها، أظن أنه لن يكون زوجاً جيداً. لم يكن لديه اهتمام جنسى بالنساء، كما أنه لا يحبهن كرفيقات. لقد قرر الزواج فقط لأن الناس يفكرون أنه من الغريب ألا يختار الملك زوجة، ولأنه يحتاج إلى وريث كى يُبرهن عن رجولته، وربما كى يدعم تنافسه غير المعترف به مع "سيلفيوس".

كنت قد تحدثت فى الحال مع سيلفيوس عن مغادرتنا، وتكلمنا بالأمر مطولاً، فقد كان ولداً ذكياً وحكيماً، والأطفال لديهم حكمتهم الخاصة. فكرت أنه من الممكن أن يُشجع بقاءه فى "ألبا لونجا"، ولا يود التشاجر مع أسكانيوس، ولأنه يرى أن طاعته لملكه وأخيه الأكبر واجباً عليه. قال :"يبقى أسكانيوس ليحكم هنا، ويتركنا نحكم "لافينيوم". أنا وريث "اللاتينيين" كما هو "آينيس". أريد أن أعيش فى الغرب وآخذ دروسى من أصدقاء أبى. أسكانيوس لا يريدنى حقاً هنا. ثم أضاف بعد برهة وهو يتنهد بحسرة: لكن أتيس قال إن الخيول هنا أفضل بكثير من الخيول فى "لافينيوم".

"لقد اختار لك والدك المهر الذى أنجبه حصانه الخاص. أظن أن هذا الحصان موجود فى الإسطبلات الملكية".

توقف عند هذا الكلام.

سألته: "إذًا أنت ترى 'لاتيوم 'لها ملكَين مرة

أخرى؟"

قال بحزن كرجل فى الأربعين: "إن اقتضى الأمر، أنا لا أريد البقاء هنا بدونك!".

"وأنا لن أتركك هنا. لذا حُسِم الأمر".

قال سيلفيوس: "هو وخنزيرته والخنازير الثلاثين".

أخبرته بشعور من الفرح يتراقص فى قلبى: "حينما نكون فى "لافينيوم" سوف آخذك إلى غابة "ألبونيا"؛ حيث جدك فاونوس من الممكن أن يتحدث إليك فى عتمة بساتين السنديان عند المساء، كما تحدث مع جدك لاتينوس.

قال الصبى: "حدثينى عن بيكوس. وهكذا أخبرته من جديد عن جده، الذى تحول إلى طائر نقار الخشب. كان يحب أن يسمع حكايا عن أرضه وشعبه هنا، كما كان يحب أن يسمع الطرواديين العجائز يخبرونه عن حربهم مع اليونان.

كنا سعيدين بتلك الترتيبات والتخيلات، وأقنعت نفسى أن أسكانيوس سيرى الدافع الذى رأيته. لكن عندما ذهبت لأطلب منه المغادرة رسميا إلى "لافينيوم" مع ابنى، كان غاضباً تماماً، ولم يبذل جهداً لإخفاء هذا الغضب.

قال: "بإمكانك الذهاب، لكن سيلفيوس سيبقى هنا، كما أخبرتك الشهر الماضى".

لم يكن هناك حل سوى فى التوسل له. قلت وأنا أجثو على ركبتى: "يا ابن زوجى، يا ملك "لاتيوم" أنا

ابنة ملك، وزوجة الملك، ووالدة ملك أسألك أن تلبى رغبتى فى هذا الأمر، لقد ترك لى آينيس سيلفيوس كى أربيه، وأنا سأطيع رغبته المقدسة. أنت لن تخسر شيئاً لو تركت أخيك يذهب معى. وستكسب حبنا وامتناننا. ستحكم هنا، مع زوجتك، وأطفالك القادمين. وربما ستكون القوى التى تحمى أرحام النساء داعمة لك! دع سيلفيوس يعيش فى بيت أبيه، بين أصدقاء أبيه المحاربين القدامى، ويصبح رجلا هناك. حينها سيكون أهلا للقدوم إليك وخدمتك، إذا شاء القدر وسمح بذلك".

إنه لمن الصعب جداً أن تقف بينما أحد ما يمسك ركبتيك ويناشدك بفصاحة من على الأرض. فالقبضة تلك لن تسمح لك بالتوازن، كما أن موقعك سيجعلك متعاطفاً، كل هذا يشبه كما لو إنك تسمح بالجنس الفموى. ربما البعض يكونون مسرورين حين يتلقون مناشدة ما، لكننى دوماً كرهت هذا، وتمنيت أن يجد أسكانيوس هذا الأمر غير باعث على السرور. أحنيت رأسى إلى أسفل بعد أن تكلمت حتى لامست جبهتى قدميه. كان بإمكانه التحرك فقط عبر دفعى. حاول تحريك قدميه، لكنه لم يدفعنى. كنا فى غرفة مجلسه، ويحضر المجلس ما يقارب عشرة أو اثنى عشر من أصدقائه ومستشاريه، يشاهدون ويسمعون.

لم أكن أريد أن أتحداه بين الآخرين. لو أننى طلبت منه هذا وحده، ربما تمكنت من إقناعه. لكن تغيير الأمر، يمنح الفرصة لامرأة. لم يكن يسمح

لنفسه أن يُظهر مثل هذا الضعف.

قال: "الصبى سيبقى". استدار بما فيه الكفاية ليجعلنى أترك قدميه. ظللت جاثية على ركبتى لبرهة، صامتة. كان صمتاً عميقاً ومزعجاً. لم يكن مستشاروه الشباب أصدقاء لى أو من خاصتى، فمعظمهم لايهتمون بشأن سيلفيوس، لكن غالبيتهم من "اللاتينيين"، وشعبنا لديه عطف نحو علاقة الطفل بالأبوين، تماماً كما هى عادة احترام الأم فى البيت. كانت صدمة بالنسبة إليهم أن يشاهدوننى جاثية على ركبتى، أكثر مما هى صدمة أن يشاهدوا ابن زوجى يرفض توسلاتى بثبات.

وقفت أواجهه، وأنا أجمع ثوبى الأبيض حولى، وضعت أعلى الثوب فوق رأسى، كما فى الطقس المقدس. قلت: "إراداتنا فى هذا الأمر مختلفة يا جلالة الملك". استدرت إلى الخلف وخرجت من قاعة المجلس. ما أن وصلت إلى الممر حتى سمعت خلفى أصوات الرجال تتعالى فى القاعة، وتمكنت من سماع صوت "أسكانيوس" وأنا أبتعد، مرتفعاً وجهورياً، يحاول السيطرة عليهم.

لقد تمكنت من هزيمته بكل لباقة. ولكن هذا لايشكل فرقاً. هو مازال مسيطراً. وينبغى على الخروج من تحت سيطرته. لا وقت للتفكير أو الاستعداد.

أرسلت تيتا لتحضر سيلفيوس من ساحة التدريب، ومارونا وسيكانا وأنا استدعينا النساء. ست

عشر امرأة من بين العشرين اللواتى أتين معى إلى هنا منذ تسعة أعوام، والأطفال الذين ولد البعض منهم هنا، وآخرون ممن هم مرتبطين بى. أخبرناهم أننا سوف نغادر فى أسرع ما يمكن، سنسلك طرقاً مختلفة عبر التلال، سننتشر فى مجموعات، ونحرص ألا يرانا أحد قدر الإمكان، لنسلك الطريق إلى "لافينيوم". أرسلت كى يحضروا لنا عربتين وبغلين كى يدفعوا العربتين. وضعنا عليهما بعض الثياب والأشياء الثمينة بالنسبة إلينا. وضعت روساليا، وطفلها المولود حديثاً فى إحدى العربات، ترافقها العجوز "فيستينا"، التى أصبحت الآن ضعيفة البنية وفى حالة من التوهان الذهنى. سيلفيوس ومارونا وأنا، ركبنا العربة الأخرى. صعد سلفيوس بجانب السائق وأمره أن يدفع البغل للمسير. انطلقنا للمسير فى الطريق الشاغر، بعد ساعة من محادثتى مع "أسكانيوس".

انتهى يوم فبراير القصير حين وصلنا إلى لافينيوم. بدا سور المدينة مع قلعته المرتفعة عن النهر هادئاً وشاحباً فى ظل الضوء الشاحب من جهة الغرب. كان النهر الضيق يعكس السماء مثل آنية زجاجية مكسورة.

البعض من النساء الشابات ركضن فى الطريق الذى اعتدت أنا وسيلفيا الركض فيه، تقدمن أمامنا، أيقظن بعض الخادمات اللواتى يشرفن على الريجيا، ليفتحن الأبواب، ويشعلن النيران فى موقد فيست"، وفى المطبخ، وفى الجناح الملكى. لكن البيت المترمل

كان بارداً ورطباً ومغبراً. إن كل البطاطين وأغطية الفراش، والفرو الناعم، والصوف موجودة هناك فى ألبا لونجا. القمح والحبوب الموجودة فى المخازن كانت شحيحة وبلا طعم. كما لم تكن هناك غرف تكفى لنا جميعاً حين وصلنا. والعديد من النسوة بحثن عن الاستضافة عند بعض العائلات فى المدينة. وما أن شاع فى البلد خبر وصولنا، حتى قاموا بالترحيب الحقيقى بنا، أحضروا جميع أنواع الطعام والشراب ووسائل الراحة. نادونى "الملكة الصغيرة" كما اعتادوا مناداتى وأنا طفلة. "هل ستبقين هنا فى مدينتك؟ والملك، ملكنا الصغير، آينيس سيلفيوس انظروا كيف كبر". ومع الوقت وصل أشاتس للترحيب بى. تمكنت أن أقدم له مكاناً دافئاً وطاسة من الخمر الدافئ السميك مع الطعام والعسل.

من بين كل رفاق آينيس كنت مشتاقة جدًا لـ أشاتس، هو الأكثر لطفاً بينهم، الأكثر أخوة. كان يأتى غالباً إلى "ألبا لونجا" ليزورنى، وكنت أفرح جداً برؤيته وبإحساسى بأنه مستشار حكيم. وعلى الرغم من كل ولائه لـ أسكانيوس، أحسست أنه ضمناً يقف بجانبى. كانت هناك عاصفة وهو يقول: "لكن سيلفيوس لايمكنه البقاء هنا إن لم يسمح الملك بذلك".

قلت: "الملك، الملك"، ثم توقفت. سألته أخيراً: "من أكون أنا، يا أشاتس.

نظر إلىّ، متراجعاً.

قلت: "أنا زوجة ملكك".

قال بعد وقت طويل: "أرملة".

كان رجلاً شجاعاً.

قلت: "أم الملك القادم".

"ربما يكون ملكاً".

"ينبغى عليك حمايته حتى يكون الملك".

"أسكانيوس لا ينوى به أى أذى يا لافينيا".

"هو لا ينوى له أى أذى، لكن الأذى سيلحق به هناك. هو لا ينتمى إلى هناك. مكانه ليس فى المملكة إنه هنا. أسكانيوس سيكون مشغولاً مع عروسه الجديدة، وهى ستكون معه. لا أحد هناك سيهتم بشأن سيلفيوس. البعض منهم متآمرون وليسوا أصدقاءه. لن أترك ابنى الصغير من دون رعاية وسط الغرباء!".

تلك الصورة جعلت أشاتس يضع يديه على شعره الرمادى. قال: "الأفضل أن تقولى إنك لا تريدين لجرو الذئب أن يتربى فى الفناء". بعد ذلك رغب بوضوح لو أنه لم يقل شيئاً يحمل عدم الاحترام تجاه أسكانيوس، وتجهم وجهه. قال بتصنع: "إن الأخ الأكبر للصبى هو الحارس المناسب له، أنا أعرف أنه من الصعب عليك الابتعاد عنه ـ".

"كن عادلاً معى يا أشاتس حين يحين الوقت لأبتعد عنه سأفعل ذلك! لكن الوقت لم يحن بعد. إنه

صبى يحتاج أن يكون مع أصدقاء حقيقيين ومعلمين مثلك. إن والده وجده تركاه تحت وصايتى، وأنا لن أترك هذه الوصاية لأى أحد آخر".

ظننت أن بإمكانى التأثير فيه لكننى لم أستطع.

ولا أصدقاء آينيس القدامى، حين تحدثت معهم فى الأيام التالية، تقبلوا احتفاظى بـ "سيلفيوس" بعيداً عن بيت أسكانيوس. أظن أنهم جميعاً يعرفون أننى على صواب، لكنهم لا يجرءون على الإقرار بذلك. إن إرادة الملكة الأرملة لا يمكن السماح لها أن تنفذ فوق إرادة الملك الحاكم. لم يكن أسكانيوس يعاملهم بشكل جيد، لقد تركهم يكبرون بعيداً عن مركز القوة، لقد قام بتجاهلهم فيما عدا الاعتراف الرسمى بخدماتهم، إنهم رجال آينيس، وهو ابن آينيس، وكلمته كانت قانوناً. لو أن سيلفيوس كان الأكبر كانوا سيصغون له، لأنه ابن آينيس أيضاً وهو عزيز عليهم جداً، لكن بما أنهم رجال خط الشيب رءوسهم، فقد فكروا أنه لاينبغى عليهم أن يغيروا مواقفهم من أجل صبى فى الحادية عشرة.

خلال ذلك الوقت، كنا ننتظر الكلمة التى ستأتى من "ألبا لونجا". كنت أنظر يومياً عبر الأسوار خشية أن أرى قوات تمتطى الخيول وتصعد عبر التل، جنود لديهم أوامر بإحضار سيلفيوس معهم، أو أن أسكانيوس بنفسه يأتى من الجبال ليلعب فى سماء والده مزمجراً ومتقداً من الغضب.

على أية حال، فإن احتفالات الزفاف قد تمت فى

"أرديا" و"ألبا"، طوال تلك الأيام، وأظن أن "أسكانيو" وجد أنه من غير اللائق أن يتشاجر مع زوجة أبيه بينما مازال يرحب بعروسه. ببساطة لقد قام بتجاهلنا، ولا يمكننى القول كم بكيت غالباً من الفرح والألم لكونى هنا من جديد، فى بيتى، حيث عشت مع الرجل الذى أحببته.

أحضرت معى درع "آينيس" وسيفه ودرع صدره فى العربة. ساعدت "سيكانا" "سيلفيوس" وساعدتنى فى إنزالهم وحملهم. والآن ها هم معلقين من جديد فى بيته، حيث يجب أن يكونوا.

وانتظرنا قدوم نبأ من جانب "أسكانيوس".

فى صباح أحد الأيام، بينما كنت فى غرفة الغزل أبدأ بغزل قطعة جديدة، جاءت الفتاة أورسينا مسرعة. قالت: "فرقة من الرجال المسلحين، قادمين من طريق ألبا على الخيول، يبعدون من هنا مسافة ميل، ويقودهم رجل يمتطى فرسه، يا جلالة الملكة".

من أجل سيلفيوس.

كنت قد وضعت مئات الخطط لما سأفعله إذا أرسل أسكانيوس ليأخذ سيلفيوس، لكن هذه الخطط تبددت مع الغبار الذى تثيره حوافر الخيول. كان هناك شىء واحد من الممكن فعله، وهو ما فعلته ـ بطبيعة الحال ـ الهرب، الهرب والاختباء.

قلت لـ "أورسينا"، وهى ابنة شقيق مارونا، طفلة

فى الخامسة عشرة من عمرها سمراء وبرية مثل أنثى الأسد: أرسلى لى سيلفيوس. أسرعت مثل سهم. وأنا ذهبت إلى غرفتى وجمعت بعض الأشياء فى ثوب قديم، وحين وصل سيلفيوس لاهثاً، أخبرته أننا سنذهب إلى الغابة لنختبئ من رجال أسكانيوس.

قال: "سوف آخذ الخيول".

"لا حاجة لذلك، الخيول من الصعب إخفاؤها. أحضر عباءتك وحذاءك والحق بى إلى المطبخ".

جمعت بعض أوعية المطبخ، وبعض الطعام، وانطلقت حين جاء سيلفيوس. التقت مارونا بنا فى الممر، قلت لها: "آمل ألا يعاقبك". وكنت أعنى النساء وأهل البيت. "أخبرى رجال الملك: الملكة ذهبت مع ابنها إلى الهيكل العظيم عند الجداول قرب تايبر لتطلب مشورة الوحى. هذا سيجعلهم ينشغلون لبعض الوقت".

"لكن أنت...".

"أنت تعرفين أين يمكنك أن تجدينى يا مارونا، عند الحطاب".

أومأت برأسها. كانت قلقة علينا جداً، وكنت قلقة عليها أيضاً، لكن لا وقت للتردد. نزلنا أنا وسيلفيوس إلى الشارع، نتسلل عبر البوابة الصغيرة للمدينة، ونمضى عبر الحقول، نتبع مسار براتى إلى سفوح الغابات الشمالية الغربية تحت غطاء أوراق أشجار السنديان الجديدة. ومع الوقت وصلنا إلى الممر القديم من "لورنتيوم" إلى "ألبونيا"، نلف مع أسفل

التلال.

جعد سيلفيو أنفه، كان يتشمم شيئاً ما مثل كلب الصيد.

سألت: "بيض متعفن؟" لم نكن قد تكلمنا أبداً، مسرعين فى هروب صامت.

أومأ برأسه.

"إنها المنابع الكبريتية".

"هل سنذهب إلى هناك؟"

"بالقرب منها".

أتينا إلى الكوخ فى الغابة، حيث اعتادت مارونا أن تمضى الليل بينما أنا والشاعر نتحدث عند الإخدود المقدس. تعالت الشجيرات وتشابكت حول الكوخ، حتى أننى تجاوزته بدون أن أراه. قطعة الأرض الصغيرة، ومطبخ الحديقة تجمعت فيها نبات العليق والأعشاب الضارة. ناديت، فلم أسمع رداً. تقدمت نحو الباب ورأيت البيت مهجوراً. يبدو أن الحطاب وزوجته ذهبا إلى مكان آخر، أو ماتا.

دخل سيلفيوس إلى الكوخ، فقد كان كل ما حوله مثيراً لفضول طفل. قال: "هذا مكان جيد". وضع أغراضه عند عتبة الباب. لاحظت كيف كان من الصعب عليه أن يسير وهو يحملها، فقد سقطت على الأرض محدثة جلجلة وقعقعة. سألته: "ماذا وضعت بها؟". نظر إلى بطرف عينه، ثم فتح حزمة أغراضه.

لقد أحضر معه سهامًا، وسكين للصيد، وسيفًا صغيرًا كان يستخدمه للتدريب على ممارسة القتال.

قال: "من أجل الذئاب".

قلت: "آه، حسناً يا ولدى العزيز، أظن ربما نكون نحن الذئاب".

فكر قليلا، ويبدو أن الفكرة راقت له، فأومأ برأسه.

قلت وأنا أجلس عند عتبة البيت وأنا أبعد السلاح جانباً: "اقترب واجلس هنا". تسلل جزء من الضوء ونشر الدفء عبر عتمة أشجار الصنوبر والسنديان. جلس سيلفيوس بالقرب منى. نظرت إلى ساقيه النحيلتين البنيتين وإلى الحذاء الذى كان ثقيلا جداً على قدميه. مال برأسه نحوى. سألنى: "هو لايريد أن يقتلنا، أليس كذلك يا أمى؟". لم يكن يسأل خائفاً، بل من أجل التأكد.

"لا، هم يريدون تفريقنا. وأنا مؤمنة من كل قلبى أنه لا يجدر بى أن أتركك تذهب. لكن لا توجد طريقة لجعل أسكانيوس لا يأخذك إلى "ألبا" إلا بأن أخفيك حتى لا يستطيع".

فكر لوقت طويل ثم قال: "يمكننى الذهاب لأعيش فى إحدى مزارع البلدة وأتظاهر بأننى ابن مزارع".

"نعم يمكنك ذلك، لكنك ستعرض تلك العائلة للخطر".

أومأ برأسه كما لو أنه خجلاً من أنه لم ينتبه لهذا الأمر.

وكنت أشعر بالخجل أيضاً من التأثير عليه بأية خدعة. قلت: "اسمعنى، لقد كذبت بشأن ذهابى إلى الوحى عند النهر تايبر. لكننى أريد فعلاً أن أقوم بمشاورة الوحى. نحن، أبى، وأجدادى، نقوم بالمشورة هنا، فى ألبونيا. ربما يخبرك بما عليك فعله. لاأعرف إذا كان يتحدث إلى النساء، لكنه سيتحدث معك. يا حفيد لاتينوس ابن فاونوس ابن بيكوس ابن ساتورن. ضربت على كتفيه بخفة، فقد كان يغطيه العرق من جراء مسيرتنا الطويلة. قبلته، وأنا أقول: "يا ابن آينيس.

قبلنى هو أيضاً. قال: "لا أريد أن أتركك، أبداً".

"أوه، أبداً وإلى الأبد لا تكون للحب البشرى. لكننا لن نفترق، حتى أعرف أنه من الحق أن نفترق".

قال: "إنه لن يحدث أبداً إذًا".

غرد عصفور بصوت عذب من وسط عتمة الأشجار، زقزقة طويلة مع سعادة غير مدركة فى ذاك الربيع.

"هل هذا هو المكان الذى سنمكث به؟"

"الليلة على الأقل".

"حسناً. أحضرت نيراناً، أليس كذلك؟"

أظهرت له الشعلة الصغيرة، التى أخذتها من فيستا فى "الريجيا"، أحضرتها فى غصن سميك من الصفصاف. أخبرته: "ضع النار فى الموقد واتل الصلاة". قمت بمسح الكوخ بينما هو يفعل ذلك، وقمنا بإشعال نار الموقد معًا.

سألته: "لقد شب أبوك فى الغابات فوق الجبال العظيمة، إيدا هل تعرف ذلك؟".

كان يعرف هذا بالطبع، لكنه رغب فى سماعه من جديد، وأنصت لى بدقة بينما أحكى له عن القليل عن طفولة آينيس التى أخبرنى عنها. بعد ذلك قام من جانبى وأخذ سهامه ليرى إن كان هناك أرنب أو طائر سمان قريب. وشرعت فى تنظيف الكوخ، ثم صنعت لنا سريراً من أغصان الصنوبر اللينة التى أحضرتها من الشجرة الصغيرة. لم تكن هناك أية قاذورات فى الكوخ، فقط أوراق الأشجار، والعناكب، والحشرات، وبعض أوراق وسيقان النباتات. الناس الفقراء لديهم القليل ليتركوه. كانت هناك آنية فخارية مكسورة قليلاً على الرف، يبدو أنها حُفظت للاستخدام. وضعت فيها ملء راحة اليد من الملح أحضرته معى من البيت ثم أعدتها إلى الرف فهى ستكون بمثابة مائدتنا.

لم يتمكن سيلفيوس من صيد أى شيء، لكنه خطط لوضع الفخاخ لطيور السمان فى الصباح، ووضع فى الفخاخ أربعة من جراد البحر كان قد اصطادها من الجدول. كما قمنا بتزيين العصيدة

النباتية بجراد البحر. تمنيت لو كان بمقدورى إحضار الماء من البيت، لأن مياه الجداول حولنا كانت كبريتية ومثيرة للاشمئزاز.

نمنا ملتفين بعباءتنا. نمت طويلاً وبعمق. ففى "ألبونيا"، حتى خارج البستان كما كنا هنا، كنت آمنة من الخوف. أو على وجه أصح أحس بالخوف لكنه خوف مختلف تمامًا عن الخوف الحاد الذى شعرت به من قلقى لفقدان سيلفيوس، أو من المخاطر والقلق من العيش؛ كان هو الخوف الذى نسميه الدين، رعب مقبول. كان هو الرعب الذى نحس به عندما ننظر إلى السماء فى ليلة صافية، ونشاهد النيران البيضاء لكل نجوم الكون السرمدى. إنه الخوف الذى يمضى عميقاً. لكن التعبد والنوم والصمت هو جزء منه.

ظل سيلفيوس فى الخارج طوال اليوم التالى يستكشف مرتفعات الغابة فوق الجداول. لم أشعر بالقلق عليه؛ كان ولداً عاقلاً؛ ولم تكن هناك خنازير أو دببة فى المزارع القريبة، وهنا فى داخل "لاتيوم" لايوجد أعداء قريبون. وقرابة العصر ظهرت أورسينا عند حافة الأرض الخالية من الشوائب، سريعة وصامتة مثل أسد الجبال، همست لى قائلة: "لقد أرسلتنى عمتى مارونا أحضرت جرة من الماء النقى، وكيسًا فيه حبات من الفول، وبعض التين المجفف، والزبيب ـ لقد أرسلت تيتا هذه الأشياء من أجل سيلفيوس فهى تحنو عليه لأنها تعرف كم يحب

الحلوى.

سألت: "ماذا فعل الرجال الذين أتوا من "ألبا لونجا".

"لقد سألوا عنك، وأخبرتهم عمتى أنك ذهبتى إلى تايبر فى ألبونيا. والآخرون قالوا إنك ذهبت. لقد عاد الرجال إلى "ألبا" البارحة. أرسلتنى عمتى لأقول لك إنهم أمروا لورد آشاتس ومنيستيوس بإحضار سيلفيوس إلى "ألبا"حين تعودين إلى "لافينيوم".

قبلتها وطلبت منها أن تحضر غداً قليلاً من الخمر من أجل الأضحية. انسلت مبتعدة بسرعة كما أتت.

جلست عند عتبة الباب الخشبى المتهالك تحت ضوء الشمس الربيعية وأخذت أفكر.

إذا عدت إلى "لافينيوم"، فإن أشاتس المخلص سيطيع أوامر أسكانيوس.

يمكننى أن أرجع سيلفيوس إلى "ألبا لونجا" بنفسى والبقاء معه هناك، بدون ترحيب، وغير مرغوبة، ضيف غير مرغوب فيه فى بلاط أسكانيوس، أجاهد كى أحمى ابنى من الإهمال، الحسد، والأذى.

سأفعل ما اقترحه على أبى منذ أعوام: سأذهب إلى كايرى وأطلب من الملك تارشون أن يأخذنا تحت حمايته، ويساعدنى على تنشئة سيلفيوس كابن ملك.

بدت هذه الفكرة مرعبة تماما بالنسبة إلىّ،

لكننى كنت أفكر بها فعلياً.

كنت مازلت أفكر حين سمعت صفير عصفور الدورى، إنها إشارتنا، حينها ظهر سيلفيوس. كان متسخاً ومصاباً بالخدوش ومتعباً، بعد أن تمكن من اصطياد أرنب برى. وكان فخوراً بنفسه. اغتسل، وأنا قمت بنزع جلد الأرنب وتنظيفه، ثم صنعنا أسياخاً رفيعة من أغصان الصفصاف لنشوى اللحم فى النار القليلة المشتعلة فى الكوخ، كان عشاءً رائعاً.

أخبرت سيلفيوس: "سنصوم غداً، ونمضى الليل فى الغابة المقدسة".

"هل يمكننى أن أرى الكهف والبرك المتعفنة؟".

"نعم".

" ماذا يأخذ الناس معهم كقربان؟".

"حمل".

"يمكننى الحصول على حمل من المزارع الملكية من لافينيوم. سأتأكد من أحداً لا يرانى.".

"لا، لا يمكن لأى منا الاقتراب من المدينة. سنقدم ما نستطيع من القرابين غداً. جدك سيتفهم الأمر. لقد ذهبت إلى هناك من قبل بيدين فارغتين".

فى اليوم التالى، حين بدأ لون الشمس يتحول إلى الاحمرار خلف ضباب البحر من جهة الغرب، اتبعنا الممر الضيق فى الغابة نحو "ألبونيا" متجهين إلى السياج المقدس. بدا مهجوراً وموحشاً مثل كوخ

الحطاب. فنبوءتها تُقال إلى هؤلاء المنحدرين من سلالة أبى، وهناك قلة منا تبقت الآن. فبعض أبناء العم الكبار مازالوا يعيشون فى "لورانتيوم"، وأنا، وسيلفيوس. لم يقدم أى أحد أضحية هناك منذ سنوات مضت. بقايا قطع الصوف على الأرض كانت مجرد نتف ممزقة. قطعنا بعض العشب من أجل المذبح. وصب سيلفيوس زجاجة الخمر كقربان، فيما كنت أصلى للأسلاف ولآلهة المكان. كان الظلام حالكاً بالفعل على الذهاب إلى البرك. كنا قد أحضرنا معنا عباءاتنا. ابنى وضع عباءته عليه، كما فعل أبى حينما كنا هنا منذ وقت طويل. جلست فى مكانى القديم قرب المذبح حيثما جلست من قبل وتكلمت مع الشاعر. جلسنا فى العتمة لوقت طويل، صمت. النجوم متوهجة بالأبيض عبر أوراق الأشجار السوداء. حين نظرت إلى الأمام، رأيت سيلفيوس ممدداً، مكوراً فى عباءته. بدا مثل حملٍ ينام تحت ضوء النجوم. جلست يقظة. مخلوقات الليل أصدرت أصواتاً مختلفة، حفيف وخربشات، قريباً وبعيداً عن أرض الغابة، صاحت بومة من جهة اليمين، بعيداً من جانب التل، دمدمة طويلة أيييييى. لم أحس بحضور عاجل لأرواح المكان. كان كل شىء صامتاً، ومقدساً.

بعد وقت طويل، بعد أن تبدلت الكواكب، تكلمت إلى الشاعر، ليس بصوت مرتفع بل فى ذهنى. "يا عزيزى الشاعر، إن كل ما أخبرتنى به حدث بالفعل، لقد أرشدتنى حقاً، حتى موت آينيس .'ومنذ ذلك

الحين، تركت الآخرين يقودونني. لكنني تائهة. لايمكنني الوثوق بـ أسكانيوس إنه لا يعرف عداءه الخاص نحو سيلفيوس. أتمنى لو إنك هنا لتدلني. أتمنى لو بإمكانك الغناء لي".

لم يرد أى صوت. كان السكون عميقاً جداً، فى النهاية تنهدت ورقدت، وغلبني النوم. النوم يجعل الأرض تبدو ناعمة، والعباءة تبعث بى الدفء. اندفعت الكلمات والصور داخل ذهني. كانت الكلمات: "كلميني!". ثم تحولت وبدا أنها تعكس نفسها كلما انجرفت بعيداً: "أنا أقول كينونتك". رأيت درع آينيس واضحاً جداً للحظة، التفاتة رأس الذئبة على جانبها المضيء. أحسست بنفسي أرقد على الأرض كما لو أنني داخل صدفة سلحفاة من طين وحجارة تقوست فوق فتحة مظلمة رهيبة. وأسفل مني مساحات شاسعة من الظلال، غابات من الأشجار الظليلة. وفيما وراء تلك الأشجار، رأيت ابني يقف فى ضوء شمس خافت عند حافة نهر، نهر أكثر عمقاً من تايبر، عريض وضبابي، إذ لم أتمكن من رؤية الشاطئ الآخر. كان سيلفيوس رجلاً فى الثامنة عشرة أو العشرين من العمر. كان يتكئ على رمح آينيس العظيم، وبدا شبيهاً بـ"آينيس" عندما كان شاباً. كان هناك العديد من الناس فى أعلى وأسفل وعند الضفة المعشوشبة. كان العشب ذو لون رمادى باهت، ولم يكن أخضر. صوت قريب مني، ملاصق لأذني، صوت رجل عجوز، يتكلم بعذوبة: "... طفلك الأخير الذى ستربيه

زوجتك لافينيا 'فى الغابات، ملكاً، أبا ملوك". بعد ذلك أحسست بالحضور القوى لزوجى، حضوره الجسدى والروحى، معى، فى داخلى، كما لو أننى هو، مما دفعنى لليقظة، لأجد نفسى أجلس متحيرة فى الظلام أعانى الحرمان. لم يكن هناك أحد. سيلفيوس فقط نائم على الأرض. والنجوم تلاشت فى السماء الشاحبة.

نام سيلفيوس من دون أحلام. إنها أنا التى شاهدت الحلم وسمعت الصوت، لكنه لم يكن صوت جدى الذى تكلم.

نهضنا عند الفجر وذهبنا إلى الينابيع. بينما سيلفيوس يستكشف حول الكهف، جلست عند الصخرة الناتئة، وراقبت ضوء الشمس يخترق صفحة الماء عبر الضباب الرقيق المعلق دومًا فوقها. كانت رائحة الكبريت النتنة أقل حدة عند الصباح. اغتسلنا فى البرك السطحية التى تبعد قليلاً عن أسفل النهر، وعن المياه الراكدة، حيث الأرض موحلة عند فم الكهف. كانت المياه دافئة وناعمة على الجلد. بدا هذا المكان جيداً لالتهاب المفاصل، أو لعلاج الجراح القديمة المؤلمة.

عدنا نحو السياج، ولم يكن لدينا شىء لنقدمه، لكننا وضعنا عند المذبح كومة من النباتات العطرية، وأغصان الغار عند الخليج التى وجدناها فى أشجار الغابات. وحينما فعلنا هذا وتلونا صلوات الشكر، قبل

أن نغادر المكان المقدس، أخبرت سيلفيوس عن حلمى: "رأيتك رجلاً شاباً. كان الأمر كما لو إنك لم تولد بعد ـ كما لو أنك تنتظر الحياة، وبجانبى كان هناك رجل عجوز يتكلم. هو لم يكن يتكلم معى. كان يتكلم عنك لوالدك آينيس. قال: إنه ابنك الأخير، ملك، ووالد لملوك، الذى أحضرته زوجتك لافينيا إلى الغابات. وانتهى الحلم عند هنا.

كنا نفكر بالأمر ونحن نتجه لكوخ الحطاب.

قال سيلفيوس أخيراً: "هذا يعنى أنه ينبغى علينا البقاء هنا يا أمى، أليس كذلك؟".

كان هذا ما أفكر به، لذا كان دافعى الأول أن أنكره، أن أقول لا، لا يمكن أن يكون واضحاً وبسيطاً. لم أقل شيئًا حتى وصلنا إلى الأشجار، وحينئذ، "يبدو أنها تعنى ذلك. لكن كيف...؟ لا يمكننا أن نختبئ هنا مثل المنبوذين أو المتسولين. نعيش على ما تتمكن مارونا من أن ترسله لنا".

"يمكننى الصيد ونصب الفخاخ يا أمى"

"بالتأكيد يمكنك فعل ذلك، وستقوم به بشكل جيد، لو أنك أردت لحماً هذه الليلة، لكن مع مرور الوقت... الناس سيشاهدوننا، إن كل شخص هنا يعرفنا! ولا يمكننا أن نختفى تماماً فى الغابة".

"لو ذهبنا أبعد يمكننا ذلك، عند أعلى التلال".

"إلى متى يا بنى؟ الصيف ربما، الخريف ممكن،

لكن الشتاء لا. الحياة شاقة على هؤلاء الذين يعيشون بعيدين عن الآخرين، حتى لو كان لديهم سقف لا عيب فيه ومخزن قمح مليء. أنت وأنا أرق من ذلك بكثير... لكننى لن آخذ الأوامر من أسكانيوس. لو أننى أطعته فى هذا، إذا أعطيتك له، وحتى لو ذهبت معك، فإننى أكون قد أضعت مملكتك. يجب عليه أن يتقبل سيادتنا على لافينيوم. أين يمكننا أن نذهب؟".

"حسناً، وماذا لو تعرف علينا الناس؟ وعرفوا أين نكون؟ هل سيقوم أى شخص بالإبلاغ عنا للذهاب إلى ألبا. لو قلنا إننا من المحتمل أن نبقى فى الغابات - لو أننا أخبرناهم بأن النبوءة قالت هكذا؟".

"لا أعرف".

قال "سيلفيوس": "حسناً، دعينا نجد مخرجاً".

يبدو أمراً يدعو إلى السرور حينما يقول ابنك ما تريد أن تقوله.

قلت: "خنازيره أخبرته أن يذهب إلى ألبا كيف يمكنه أن يجادل جده الذى يخبره أن يبقى هنا؟".

بدأت أتذكر، كيف أنه حينما أخبر فاونوس أبى فى ألبونيا بأنه ينبغى أن أتزوج أجنبيًا، فإن لاتينوس أعلنها أمام الجميع كما هى. وكلما سمع الناس بالنبوءة، صارت أكثر قوة. فكل شخص، وليس الملك فقط سمع بالنبوءة.

قلت لـ "سيلفيوس": "أظن أنه ينبغى على الذهاب

إلى لافينيوم اليوم، وأنت ستبقى هنا. حاول الحصول لنا على أرنب أو طائر سمان إن استطعت. إذا جاء أى شخص إلى هنا غيرى، عليك أن تختفى. سأكون هنا قبل المساء".

وهكذا سرت فى طريق العودة عبر التلال، عبرت الحقول نحو مدينتى، أفكر طوال الطريق. ودخلت بوابات المدينة بعد أن انبلج الصباح. شعرت بالارتياح بالترحيب الذى أحاطنى به الناس، ازدحموا حولى يحيوننى ويعانقوننى ويتساءلون عنى بقلق. كنت مركز جذب لذاك الحشد منذ اللحظة التى تسلقت فيها الشارع فى طريقى إلى الريجيا.

هنا فرصتى. فكرت. لذا استدرت قبل أن أصل إلى بوابات البيت، بينما الناس يتدافعون من البيت ليخرجوا ويرحبوا بى. ناديت عليهم وقلت: "يا أهل مدينتى!". هدأوا ليستمعوا إلى، وأنا تكلمت بصوت عالٍ، لا أعرف ما الذى سأقوله من كلمة إلى أخرى. "فى الليلة الماضية فى غابة "ألبونيا" فى مكان النبوءة للأجداد، رقدت قرب المذبح لأنام. وهناك جاء صوت الملك أنشيسيس أبى ملكنا آينيس تحدث معى فى الحلم، تنبأ بأن حفيده سيلفيوس سيعيش معى فى غابات لاتيوم. وتنفيذاً لهذه النبوءة، فإننى لن أرسل ابنى إلى "ألبا لونجا" كما أننى لن أبقيه هنا فى لافينيوم، بل إننا سنعيش أنا وهو فى الغابة حتى تأتى العلامات والبشارة بأن نفعل غير هذا. الصوت فى الحلم قال عن سيلفيوس إنه ملك أبو ملوك. ربما

تبتهجون بهذه المعرفة كما فرحت بها!". أطلقوا صيحة عالية بعد سماعهم ما قلت، مما شجعنى، فختمت كلامى بالقول: "ولكن حتى يصل سيلفيوس إلى سن الحكم، فإن أسكانيوس يحكم بمفرده، وتستمر مدينتى تحت حكم أسكانيوس وحكم أصدقاء أبيه".

قال أحد الرفاق القدامى فى الحشد: "لكن كيف بإمكانك الحياة فى البرية أيتها الملكة الصغيرة؟" أجبت: "المكان ليس بعيداً جداً يا صديق! قلبى سيكون معكم هنا فى لافينيوم. هذا دفعهم للهتاف ثانية، ثم دخلت إلى البيت فى وسط اضطراب كبير، كان قلبى يخفق بشدة. كان أشاتس هناك ليلتقى بى. لم يتدخل بما فعله الناس معى وأظهروه من نوايا طيبة، توقعت ما يريد قوله، فقلت له: "صديقى، أعرف أن أسكانيوس أمرك بأن تُحضر سيلفيوس إلى"ألبا لونجا" وأنا كملكة، أطلب منك أن تطيعنى، أترك سيلفيوس معى، دع النبوءة تكتمل".

وافق على ذلك بانحناءة بطيئة من رأسه، ليقول فقط: "هل رأيت الملك أنشيسيس - مرتاباً، لكنه حزين، يرغب بإلحاح فى تصديقى.

"لا، لكننى سمعت صوتاً، كما لو أنه يتكلم إلى آينيس .'أخذته على أنه صوت أبيه. الآباء يتكلمون فى ألبونيا".

تردد آشاتس، ثم سأل: "هل رأيته؟" المقصود هو آينيس بالطبع، وتكلم آشاتس بمحبة وحنين، حتى أن الدموع طفرت إلى عينى. استطعت فقط أن أهز

رأسى، وبعد هنيهة قلت: "كان هناك معى، يا أشاتس للحظة".

لكن على الرغم من قولى هذا، فقد كنت أعرف أنه غير صحيح. آينيس لم يكن هناك معى كرجل بجسده، كما لم يتكلم أنشيسيس. إنه الشاعر الذى تكلم. كان الشاعر هو الذى تكلم. كانت كلها كلمات الشاعر، كلمات الصانع، المتنبئ، قائل الحقيقة: لاشىء أكثر، لا شىء أقل. لكن هل كنت نفسى مازلت، أو أقل من ذلك؟

لكن هذا لم يكن شيئاً، يمكننى قوله لأى روح حية، أو عاشت، حتى الآن.

لقد كنت على حق بأن آخذ فى الحسبان احترام أسكانيوس للنبوءة والبشرى، وهو ما تعلمه من أبيه، لكنه بالغ فيه تقريباً إلى حد الخرافة. لقد كان متشدداً فى كل الطقوس؛ واشتاق إلى أن يُقال إنه تقى مثلما كان آينيس. التقوى بالنسبة إليه تعنى طاعة القوى العليا والاستقامة الآمنة. هو لن يصدق أبداً أن آينيس رأى فى انتصاره على تورنوس، على أنها هزيمته الخاصة. هو لم يفهم أنه فى تقوى أبيه تكمن مأساته.

ربما كنت مخطئة فى حكمى عليه، وربما سيشترك مع آينيس فى بعض قلق ضميره، كلما كبر لكننى لم أعرف أبداً أسكانيوس جيداً.

ولكن على أية حال، حين أبلغه أشاتس

وسيريستوس بقرارى، استقبلهم من دون أن يوبخهم لأنهم أطاعونى بدلاً منه، ولم يرد على بأية رسالة واضحة. أظن بأنه شعر بنفسه محبطاً من اندماج القوى التى أحضرتها ضده. النبوءة المقدسة للإيطاليين يتحدثون مع الصوت المقدس لجد "الطرواديين". ومن خلال الصمت أعطى الموافقة.

وهكذا بدأنا الاستعداد لفترة "منفانا"، ولا يوجد منفى على الإطلاق بالمقارنة مع منفى "الطرواديين" العجائز الشاعرين بالوحشة بعيداً عن مدينتهم المنهزمة. منفانا نحن فى الغابات، التى تحولت إلى أن تكون حياة سهلة ناعمة. أرسلت إلى بعض النجارين لكى يصلحوا كوخ الحطاب، ويبدلوا بعض الدعامات، والجزء التالف من السقف من جراء المطر. أكملوا إصلاح الأشياء على أكمل وجه، وبنوا غرفة جديدة، وموقداً ملائماً، فيما قام العديد من المتطوعين باستخدام الفئوس لقطع العليق الشوكى والحشائش الضارة وإبعادها، وزراعة الأعشاب والخضراوات التى تنمو فى "لافينيوم" فى حديقة المطبخ، حتى أنهم زرعوا شجرة جوز، وشجيرة التوت البرى "الصقلية" المكتملة. لقد أرادوا أن يقيموا سوراً حولها كلها، لكننى منعت ذلك. قال جيرنوس العجوز: "الذئاب، والدببة، يا جلالة الملكة". قلت: "لا يوجد دببة فى "ألبونيا" أما إذا جاء ذئب هنا، سوف أدعوه أخاً". لقد نقلوا هذا القول إلى "لافينيوم"، ودعانى بعض الناس، بعد ذلك، "الذئبة الأم".

صار الطريق من "لافينيوم" إلى كوخ الحطاب مستخدماً، وكان على تحديد عدد المتطوعين من العاملين والزائرين لعدد قليل وفى أيام محددة فقط، وإلا فإننا لن نحصل هنا على السلام أبداً. فى وقت لاحق، خلال الصيف، انشغل كل العاملين، وحل هدوء شديد فى المكان. كان سيلفيوس فى الخارج طوال النهار، أو فى دروسه. فقد أخذ كبار "الطروادين" على عاتقهم تطوير طاقاته الجسدية، وأخضعوه لجدول صارم من التدريبات القاسية اليومية، والتدريبات العسكرية، واستخدام السلاح، تعلم الموسيقى، الخطابة، والفروسية. بعد أن انتهيت من ترتيب منزلى وتشذيب حديقتى. كان لدى القليل لفعله، وكونى اعتدت على وجود الكثير من أهل المنزل حولى. فقد شعرت بالملل والوحدة فى البداية. بيوت الريجيا التى نظمتها بعمل شاق ورعاية لا تنتهى فى لورانتيوم، ولافينيوم، وألبا لونجا، كانت كلها تسير جيداً بدونى. مارونا، مع "سيكانا" التى تليها فى الترتيب الوظيفى، حافظت على المنزل فى لافينيوم وأقامت الصلاة، مثلما دربتها أن تفعل منذ فترة طويلة جداً؛ لذا لم أطلب منها أن تكون معى فى الغابة.

لكن مع مرور الوقت أحببت عزلتى. فقدت الرغبة فى حضور أى زائر، أو سماع أى صوت يكسر صمت الأشجار، مرتبطة دائماً بغناء الحشرات والطيور وصفير الريح فى الأغصان. كنت أرعى الحديقة، وأغزل وأنسج، على النول الكبير المنصوب

فى الغرفة الثانية، وكنت راضية بالصمت، حتى اللحظة التى يأتى فيها ابنى فى المساء ليأكل ويتحدث معى قليلاً وسريعاً، قبل النوم.

وهكذا مرت السنوات.

وقعت بعض الحوادث عند الحدود، لكن أسكانيوس بدا كما لو أنه فقد موهبته التعيسة فى إثارة الحروب. كان زواجه قد تم الاحتفال به وسط طقوس رائعة، احتفالات عظيمة، وأضفت زوجته الروتالية على منزله المظهر الملكى، وزوجته الروتالية حرصت على أن يكون بيته فى حالة من الأبهة الملكية، وقيل إنهما زوجين سعيدين. لكنهما لم يرزقا بالأطفال. ثم بعد سنوات، استدعى أسكانيوس امرأة حكيمة وعرافين. المرأة الحكيمة قالت بأن ساليسا بصحة ممتازة، ولم يكن هناك سبب يمنعها من الحمل. لكن العرافين كلهم تنبأوا بأنها ستموت بدون أن تحمل. لم يعطوا سبباً أو علاجاً، وتم إخفاء نبوءاتهم فى صور ولغة غامضة، لأنه إذا كان العيب فى أسكانيوس، فإنهم لا يرغبون فى قول هذا.

سمعت عن هذا الأمر، وأنباء أخرى كنميمة من إليفيا، ونساء أخريات من اللواتى أتين لزيارتى، وأيضا من المستشارين الطروادين واللاتينيين الذين حكموا لافينيوم والشمال الغربى من لاتيوم باسمى واسم أسكانيوس. وأيضاً أشاتس، وسيلفيوس، رأيا أن هؤلاء الرجال كانوا يأتون لاستشارتى بالمسائل المهمة، لذا كنت أعرف تماما ماذا يحدث فى البلد وحولها، على

الرغم من أننى اقتصدت فى مشورتى إلى أقصى حد، كما أنى لم أكن أستقبل ضيوفاً على الإطلاق. وإذا قدم إلى "لاتيوم" مسافر مهم، أو ملك، أو تاجر، كان يُستقبل فى "ألبا لونجا". ويخبرونه بأن الملكة "لافينيا" كانت تعيش فى الغابة مع ابنها تنفيذاً للنبوءة، لذا لايمكن رؤيتها. كان على أن أتوارى أيضاً عن لقاء تارشون حاكم كيرى، الذى جاء إلى "لافينيوم"، وكنت أشتاق لرؤيته، لكننى جعلت سيلفيوس يذهب للقائه، وكان على ألا أظهر، أو بشكل آخر صار منفاى موضع سخرية. ولكننى كنت أثق بكل من أشاتس ومينيسيوس ليرحبا به باعتباره الملك الإتروسكانى العظيم الصديق المخلص لزوجى وابنى. لم يذهب تارشون إلى ألبا لونجا، وتلك كانت تعنى إشارة واضحة بأنه إذا كان أسكانيوس يريد صداقته فإن عليه أن يكتسبها.

ولسوء الحظ، فقد اختار أسكانيوس أن يختبر هذا بحدة، عبر إثارة "الفيين الإتروسكانيين" فى ريوما. كانت مستعمرتهم هناك تتوسع بسرعة. "اللاتينيون" فى فيدينا وتايبر" وحول "بحيرة ريجيلوس"، كانوا الآن يرسلون وحدات استكشاف عسكرية عند الحدود البعيدة عن مزارعهم، ومنذ ذلك الحين وقعت أحداث لا يمكن اجتنابها، من سرقة مواش، وأغنام، والمشاجرات عند أحجار النهايات. كان مارس مستعداً، كعادته الأبدية، للرقص على التخوم الحدودية. أسكانيوس كان لديه كل الحق فى الدفاع عن أملاكه، كما فعل لاتينوس عندما استقر هنا الملك

اليونانى إيفاندر. لكن لاتينيوس كان لديه القليل من الاهتمام بـ التلال السبع، كموقع لمدينة، حيث يعتقد أن قلاع النهر غير صحية، وأن التلال غير صالحة للحرث أو الرعى، لذا فإنه لم يبخل بالأرض على "إيفاندر". أسكانيوس ضن بها.

لقد كسب مع "الإتروسكانيين" هكذا إلى مدى بعيد عن طريق تجاهلهم. لقد ظن بأنهم متغطرسون، وغدارون، ومتقلبون. قال بأن المعاهدة مع الإتروسكانيين ضررها أكثر من نفعها، لأنهم لن يحافظوا عليها - مع أن المرة الوحيدة التى أقام معهم معاهدة كانت عندما ساعدوه فى الحرب على آنيو، وهم قد حافظوا عليها. ونظراً لأنه يُعِد أعلى من كل الإيطاليين، كابن السماء "الطروادى"، أرسله آينيس عن طريق القدر ليحكم إيطاليا، لذلك فقد استاء عندما وجد نفسه أقل من الإتروسكانيين فى الثراء، وقوة الرجال، والأسلحة، وفنون الحياة. إن تعصبه جعله يراهم كما لو أنهم جميعاً من طينة واحدة. فى الحقيقة، كان "الكايريين" و"الفيين" متنافسين قديمين. أما تارشون فلم يكن يحب أن يراقب مدن الدولة الأخرى التى تتمدد فى جنوب "تايبر"؛ وجاء إلى "لافينيوم" ليجس نبضنا بشأن المستوطنين فى "ريوما"، كما ود أن يتعاون معنا ليضع حداً لتوسع فيى لتبقى المستوطنة محدودة. تفهم أشاتس وسيريستوس هذا، ونصحوا أسكانيوس أن يجتمع به، لكنه لم يكترث بنصيحتهم.

فى شهر مارس، وسريعاً بعد أن رقص القفازون، قرر أن يلقن فيى درساً. أرسل فرقة من الجنود إلى حدود مُتنازع عليها بين "ريوما" و"بحيرة "ريجيلوس"، ودفع بـ"الإتروسكانيين"، ومعظمهم من الرعاة، إلى الخلف عند "التلال السبع". وعندما اقتربوا من المستعمرة، تلقوا إمدادات، وبدءوا فى التحول للقتال. وقُتل رجال من كلا الطرفين. وبالنسبة إلى جنود أسكانيوس، كانت خسائرهم مبررة لهم فى مقابل قطعان الحيوانات التى وقعت فى أيديهم. لكن مع نهاية اليوم التالى، كان عليهم أن يتراجعوا تماماً حتى "بحيرة ريجيلوس"، متخلين عن قطعان الأغنام التى استولوا عليها. جمع "الريومانيون" قطعانهم ومكثوا فى حراسة مسلحة عبر الحدود المُتنازع عليها.

وكما لو كان أسكانيوس يحتقر أعداءه، لم يذهب مع جيشه. وتركه فى عهدة صديق من أصدقاء الطفولة، آتيس. عرفت آتيس وسيماً عطوفاً طيب القلب، وبالأحرى رجل طفل، والذى كان يحنو على سيلفيوس، حينما كنا نعيش فى "ألبا لونجا"، وكان يعطيه دروساً فى ركوب الخيل. وعندما كان ينسحب مع جيشه، خلع آتيس خوذته بسبب حرارة الشمس الساطعة فى الربيع، فضرب رأسه حجر رماه أحد الرعاة "الإتروسكانيين"، فسقط من على جواده، ولم يعد إلى وعيه أبداً. أحضروا جسده وأجساد خمسة جنود آخرين إلى ألبا لونجا.

انهار أسكانيوس، رمى بنفسه على جسد آتيس منتحباً، ولم يتمكن من إيقاف دموعه. وحين حاولت زوجته أن تواسيه وتأخذه بعيداً، دفعها عنه بقسوة، أهانها بحماقة، صارخاً بأنها قد زنت مع نصف جيشه، وبأنها عاقر لأنها زانية. لم يتمكن من الابتعاد عن جسد آتيس حتى أنهكه البكاء، وصارت تنهداته تشنجات، ثم راح فى نوبة من الإغماء، لم يتسن إفاقته منها. حدث كل هذا فى ساحة "الريجيا"، وشهده الكثيرون. وصل هذا إلى لافينيوم فى غضون ساعات. أخبرنى سيلفيوس بهذا حين عاد من دروسه عند المساء.

كان كل شخص مصدوماً، مفزوعاً، متنبهاً لهذا الحزن غير العادى. كان آتيس الولد المحبوب عند أسكانيوس، لكن هذا كان منذ زمن مضى. فإذا كان "آتيس" عزيزاً عليه، فلماذا أرسله إلى هذه المهمة؟ وعلاوة على هذا، فهو قد جرب القادة الذين عرفوا الأرض بشكل أفضل، مثل روتليوس من جابى الذى كبر هناك. ومن بين الحديث والتخمين الذى نقلته سيكانا والآخرون لى فى اليوم التالى، كان هو القصة المستمرة بأنه فى وقت ما مضى، سُمع أسكانيوس يتشاجر مع آتيس، ويصيح بأنه يخجل منه. أصدقاء آتيس كانوا يتساءلون ما إذا كان قد أرسله لقيادة جيش غير مجهز إلى الخطر كعقاب، أو ليتخلص منه. وكان الكثيرون يقولون الآن إن آتيس وأسكانيوس لم يتوقفا عن أن يكونا حبيبين أبداً، حتى إنه فى عشية زفاف

"أسكانيوس" قد تقابلا، ومن بعد ذلك. ووسط هذا الحزن والنميمة المخجلة، ظل "أسكانيوس" منكوباً فى غرفته، لا يقابل أحداً.

وأُبعِدت زوجته ساليسا عن بابه. وشعوراً منها باستمرار الإهانات الماضية، ذهبت مع مجموعة من نسائها إلى منزل عائلتها فى "أرديا".

يبدو كما لو أنه القدر أن أعيش بين أناس يعانون مما خلفته أحزانهم، وفقدوا رشدهم بسببها. فعلى الرغم من أننى كابدت الحزن، إلا أننى محكوم على بالجنون. لم يكن هذا من فعل الشاعر. أعرف أنه لم يمنحنى شيئاً سوى حمرة التواضع، ولا سمة شخصية على الإطلاق. أعرف أنه قال إنه قد أصابنى الهياج، ومزقت جدائلى الذهبية عند موت أمى. هو ببساطة لم ينتبه: لقد كنت صامتة حينئذ، بدون دموع، وكل ما نويته هو فقط أن أجعل جسدها المتسخ لائقاً. أما شعرى فقد كان دائما أسود. فى الحقيقة هو لم يمنحنى شيئًا سوى الاسم، وأنا ملأته بنفسى. ومع ذلك من دونه هل كان يمكن أن يكون لى اسم؟ إننى لم ألُمه أبداً. حتى الشاعر لا يمكنه معرفة كل شىء بشكل صحيح.

ومن الغريب، وعلى الرغم أنه لم يمنحنى صوتاً. فإنى لم أتكلم معه حتى لقائى به فى تلك الليلة عند المذبح تحت أشجار السنديان. أتعجب، من أين جاء صوتى؟ الصوت الذى يبكى مع الرياح فى مرتفعات

لبونيا، الصوت الذى يتحدث بدون لسان لغة ليست لغته؟

حسناً، إنها أسئلة لا يمكننى الإجابة عنها. لكن الآن سأخبرك عن سؤال لا يمكننى الإجابة عنه، وشىء لا يصدقه الكثير من الناس. ولن تصدقه أنت أيضاً، أعرف، لكنها الحقيقة.

لم يكن لدى شأن بـ"بيناتس"، آلهة البيت فى "طروادة" التى تركت مذبح منزل الملك فى "ألبا لونجا"، وأتت إلى "لافينيوم".

لم أعط أوامر للنساء، بأن يطردوا الأرواح ليلاً، أو الرجال أيضاً، أو الأطفال؛ لأن هذا كان فعلاً محسوباً ربما من أجل التأثير السياسى، فستكون هناك ـ دوماً ـ شكوك، أو حتى افتراض مفتوح، بأننى قد خططت ونفذت هذا، أو عن طريق شخص آخر، أراد أن يُضعِف سلطة أسكانيوس. لا أعتقد أن الأمر كان هكذا. أعتقد أن الآلهة عرفت حينما حان الوقت للعودة إلى البيت.

جاءت إلى مارونا لاهثة، فى صباح يوم باكر، وطلبت منى القدوم معها إلى "لافينيوم"، إلى "الريجيا"، فى الحال. لم أكن قد دخلت بوابات مدينتى وبيتى منذ خمسة أعوام، لكنى أعرف أن مارونا لن تستدعينى بدون سبب. أسرعت معى عبر مزارع إبريل، من خلال بوابة المدينة، ومن خلال بوابات البيت، إلى موقد فيستا، خلف حجرة الموقد، حيث وقفت آلهة البيت،

بيناتس فى "لاتيوم" منذ موت أبى. ورأيت إلى جانبهم تقف تماثيل من الطين والعاج، آلهة بيت أنشيسيس التى أحضرها آنيس معه عبر الأراضى والبحار من طروادة.

كنت ألهث وأقف مرعوبة، وساقاى ترتعشان. كنت مصدومة، يتملكنى الشك، خائفة.

لكن الخوف لم يتسلل إلى أعماقى. فمن غير الممكن أن أكون مروعة لأننى لم أرى الأمر على أنه حق أن آلهتنا ينبغى أن تكون هنا، فى منزلنا.

لذا رأى الآخرون أننى أقل اندهاشًا مما كان متوقعًا، واعتقدوا أن دهشتى وأسئلتى هى نوع من الإدعاء. وفى الحقيقة أنا لم أطرح الكثير من الأسئلة. ظننت أنه من عدم التقوى طرح أسئلة بشرية حول مسألة من الواضح أنها حصلت بتدبير قوى عليا.

بالطبع، كان بمقدور بعض من النساء خاصتى أن يخرجن بيناتس، آلهة البيت فى "ألبا" وإلى "لافينيوم". لكننى فكرت فى ذلك، ولم أستطع أن أتخيل أيًا منهن تفعل ذلك. جميعهن كن مذهولات، فزعات، بل مرعوبات من رؤية التماثيل عند الهيكل، كما أن جميعهن نساء أمينات. كما أننى لا أريد أن أضعهن موضع استجواب. ولو أنى حقاً عرفت أن إحداهن فعلت هذا، فماذا عساى أفعل معها؟ أعاقبها؟ أم أثنى عليها؟ من الأفضل ترك المتعذر تفسيره غير مشروح. أما بالنسبة إلى الرجال، فقد تركتهم مع أشاتس، وسيريستوس، ومنيستوس

الذين أعرف أنهم أنفسهم عاجزين عن التخطيط لأخذ شيء مقدس، وعلى أية حال يا مرحبا بها من ورطة. لم يكن لديهم أى احتمال أو فكرة كيف ومتى تقع الأحدث الغريبة. أول من رأت الآلهة كانت مارونا نفسها، وهى أتية من أجل صلاة الصباح.

بقيت فى مدينتى، فى ذلك اليوم، بين شعبى. أرسلت إلى سيلفيوس، وأمرت بأضحية ثلاثية، حمل، وعجل، وخنزير صغير. واجتمع سيلفيوس مع القادة الطرواديين القدماء لمساعدته. ومع دماء الحياة واللحم المشوى للحيوانات الطيبة شكرنا وباركنا لارس وبيناتس، إلهتى البيت فى "طروادة" و"لاتيوم"، وطلبنا مباركتهما. وقرأت مارونا الأحشاء، كما يفعل الإتروسكانيون، وتنبأت منها بالمجد العظيم والدائم لبيت "آينيس".

ثم رجعت إلى البيت الصغير فى الغابة. لكن ابنى بقى فى "الريجيا" هذه الليلة، يحمى آلهته الأسلاف، طلباً لمباركتهم.

وكان هناك فى "ألبا لونجا" ـ بالطبع ـ رعب وفزع عظيمان حينما يُكتشف غياب بيناتس. إن خادم المذبح، المساعد، ولد فى التاسعة الذى دق ناقوس التحذير، جرى ضربه إلى حد الموت من جانب نساء ألقين باللوم فى الأذى عليه. إن الملكة ساليسا التى كانت ربما تهدئهم، لم تعد تعيش هناك.

حملوا الأنباء إلى الملك أسكانيوس بخوف

وارتعاش. خرج من حجراته حينئذ للمرة الأولى منذ موت آتيس. مشى عبر القاعة العظيمة إلى موقد فيستال، ووقف يحملق فيه. فقط بيناتس ربة البيت للقرية القديمة "ألبا لونجا" وقفت هناك، قليلة ومتواضعة مثل آلهة بيت الإنسان الفقير، "فيستا" نفسها، جسد النار المقدسة، احترقت بصفاء وإشراق أكثر من أى وقت مضى.

ألقى أسكانيوس وجبة مملحة صغيرة إلى النيران. رفع يديه للصلاة، لكنه لم يستطع الكلام؛ بدأت الدموع تجرى على وجهه؛ استدار ورجع فى صمت إلى حجرته، باكياً.

لم يبذل أسكانيوس أى مجهود لإيجاد قوة إنسانية من أجل عودة بيناتس إلى "لافينيوم". بالنسبة إليه، كما هو بالنسبة لى، كانت علامة واضحة على إرادة قوى أعظم منا. قبلناها كما هى. وبينما كان الأمر متعة إعجازية لى، ونذير بتأييد السماء لابن آينيس الأصغر، وبالنسبة إلى الابن الأكبر، كانت تقريباً ضربة قدرية.

لا أعرف ما إذا كان زواجه غير سعيد بشكل يدعو إلى السخرية مثلما يقول ـ الآن ـ كل شخص. فكل النساء فى البيوت لا يتوقفون عن الحديث عن كيف كانت ساليسا غير سعيدة منذ البداية، وكيف عانت من نفور زوجها منها، كيف أخفت مهانتها عن أقرب مرافقيها (فيما ـ عدا بالطبع ـ الشخص الذى يحكى القصة). فإذا كان كل هذا حقيقيًا، فقد ارتدى

أيضاً أسكانيوس قناعاً عاماً ولم يكشفه طوال كل هذه السنين. وأظن أنه من المحتمل أن شيئاً ما خطأ مضى تدريجياً فى الزواج، فربما عدم ارتياح أسكانيوس الجنسى مع النساء، قد جرفه بالتدريج إلى الخلف ليسعى إلى البساطة الرقيقة لحبه الأول؛ وآتيس الروح المخلصة المسكينة، كانت هناك لتقدمها له. روحان بائستان لكليهما.

لكن القدر كان أكثر قسوة على أسكانيوس. لقد فقد حبه والمعركة فى ضربة واحدة؛ وفيما بعد زوجته؛ ثم آلهة أبيه. إن اختياره للعاصمة بدا خاطئاً. إن كل شىء بناه ليدعم صورته عن نفسه، باعتباره الخليفة المستحق لـ"آينيس"، قد انهار، مثل ضفة النهر الطينية الناعمة تتساقط فى الماء.

لم يستطع أن يصمد لفترة طويلة، إلى حد أن قادة الحرب، يأساً من الحصول على أوامر منه، أتوا إلى "لافينيوم"، وطلبوا مجلس القادة الطرواديين القدماء والملك الصغير.

لذلك فقد استُدعى سيلفيوس الآن علناً. سيكون فى السابع عشر فى مايو. لقد عاش فى الغابة، وفقاً للنبوءة؛ لقد قضى مدته فى المنفى. إن عودة قوى الأسلاف إلى منزله كانت علامة واضحة. الملك الشاب والآلهة قد عادوا إلى البيت فى اليوم نفسه.

استقبله الناس فى "لافينيوم" وفى كل "لاتيوم" الغربية بترحيب حار ومخلص، وساندوه بتأييد غير مجدود. كان الناس يصلون من جابى، برينست، تيبور،

نومينتوم، ليروه ويحيوه ويقدمون له حملانهم البيضاء ومهورهم الجميلة، ويعرضون خدماتهم فى الأسلحة. كان هناك إحساس فى شتى أرجاء البلد بانقشاع الظلمة، وبزوغ أمل جديد. أعرف أنه لا يوجد أمل حيوى قد تحقق بالكامل قط، لكن هذا التدفق من المشاعر النبيلة والثقة، قد أمنت الكثير من تحققها: رأى اللاتينيون أنفسهم كشعب مرة أخرى، رفعوا رءوسهم. الأحمق فقط من يستطيع أن يُفسد هذه البداية الواعدة. ولأنه غير أحمق، فقد كان سيلفيوس حريصاً، وغالباً متشككاً فى حظه الجيد، واعتمد كثيراً على مستشاريه من الناس الذين تعلم أن يثق بهم؛ ولكن لأنه كان فى السابعة عشرة من عمره، فقد تمسك بكل ميزة، وتقبل كل منحة، وابتهج بشعبيته، وقدم الحب مقابل الحب، واعتلى رياح العدل مادامت كانت تهب، مثل صقر صغير سعيد.

حينما جاء القادة من ألبا لونجا، دعا إلى المجلس، ودعانى إليه.

اعترضت سراً له. فلم أكن معتادة على التواجد فيما بين الناس، بعد خمس سنوات فى الغابة، فهذه الفكرة أفزعتنى. قلت: "أنا لا أنتمى إلى هناك".

"أنت حضرت مجلس أبيك، ومجلس أبى".

"لا، أنا كنت أجلس فى الخلف، واستمع أحياناً".

"لكن أنت الملكة".

"الأم الملكة".

قال ابنى بلهجة ملكية: "الملكة هى الملكة".

بدا أنه يشبه آينيس إلى حد كبير، لكن كان به أيضاً شيء أيضاً من لاتينوس ومنى، شيء إيطالى، بالطريقة التى وقف بها، وبالطريقة التى أدار بها رأسه. لقد عرف كيف يحتل الفراغ. سيكون رجلاً وسيماً فى الخامسة والعشرين، ولكن سيكون رجلاً جميلاً بشكل مطلق فى الخمسين. كنت أنصرف لمثل هذه الأفكار الأمومية. كنت أحدق فيه مثل بقرة تحدق دون تفكير فى عجلها الصغير باطمئنان لا حدود له.

"أنت الملكة هنا، أماه، وليس بمقدورك فعل شيء إزاء هذا، مادام لم أتزوج. وحينئذ تستطيعين التقاعد، إذا كنت مصرة. لكننى لا أخطط للزواج قريباً. فإذا لم تكونى الملكة، إذًا أنت رعيتى، وأنا آمرك أن تحضرى المجلس".

قلت: "لا تكن طفلاً سيلفيوس. لكنه كسب المباراة بالطبع. حضرت مجلسه. جلست فى الخلف، ولم أتحدث أبداً. لم تكن هناك فائدة تُرجى من قادة أسكانيوس المفزوعين. لقد كانوا مروعين بما يكفى بالحالة التى كانوا عليها.

كانت لديهم معلومات تقول، إن فيى يرسل رجالاً مسلحين إلى ريوما، منذ غارتنا الفاشلة على الحدود. بدا كما لو إن الإتروسكانيين خططوا إما لغزوات على أراضينا، أو لهجوم شامل على جابى أو كولاشيا. لقد

أرسل رؤساء ألبا لونجا كل الرجال الذين استطاعوا أن يرسلوهم إلى المنطقة لحراستها، لكنها كانت حدودًا طويلة، وكان انتشار جنودنا ضعيفاً. كانت لديهم أوامر صارمة، ألا يهاجموا، فقط ليدافعوا.

قال مارسيوس، وهو جنرال شاب: "لكننا لا نعرف ما الذى سيواجهونه". كانوا كلهم شباباً. لم يكن أسكانيوس يحب الرجال الأكبر حوله.

قال مينثيوس: "نستطيع أن نضاعف الجيش بسهولة. فهناك روح عظيمة فيما بين الناس هنا".

قال سيلفيوس: يمكننا الاتصال ب تارشون الكيرى.

بدا الآلبانيون واجمين عابسين. قال "مارسيوس": "الإتروسكانى؟"

"كان تارشون هنا منذ وقت ليس ببعيد، وبدا أنه كان فى ذهنه التحالف لاحتواء ريوما.

تكلم سيريستوس: "لكننا لم نكن حينئذ فى حرية لمناقشة هذا معه".

وكان هناك صمت.

قال سيلفيوس: "أنا أعرف أنك تتذكر أن تارشون الكيرى ساعدك، أو ساعد آباءك، وضع أبى على عرش "لاتيوم" قال ذلك باعتدال بدون لوم أو تأنيب. رأيت أشاتس ينظر إليه بنصف ابتسامة. كان يستمع إلى ملكه يتكلم. كنا كلنا نفعل.

بعثنا برسل إلى كيرى، ومجندين ومتطوعين

لتقوية القوات الآلبونية التى تحيط بـ التلال السبع. وفى أبريل، تحرك جيش تارشون باتجاه الشرق من كيرى، قاطعاً الطريق من فيى إلى التايبر. كانت هناك بعض المناوشات فى إتروريا، ولم يحدث شىء فى لاتيوم. سحبت المستعمرة فى ريوما كل قواتها من حدودها؛ توقف رجالها عن تهديد مزارعينا ومدننا، واتجهوا إلى الحرث والحصاد. كسب سيلفيوس حربه الأولى بدون أن يحاربها.

وفى نهاية هذا الصيف، امتطى حصانه الكستنائى الرشيق، متوجهاً إلى منزل الحطاب، وقال لى: "أمى، أعتقد أنك يجب أن تعودى إلى مدينتك". كنت أفكر بالشىء نفسه، ووافقت تقريباً.

لقد كانت سعادة بالغة أن أعيش مرة أخرى فى المنزل الرفيع لـ لافينيوم، أن أنظف موقد فيستا وأُجهز للوجبة المملحة من أجل آلهتى وآلهة آينيس، أن أعتنى بالمخزن العظيم والبيت العامر، أن يكون هناك أطفال حول قدمى ونساء أناقش معهن الأشياء، وأصوات الرجال تأتى من الفناء الخارجى.

فى حياتى هذه التى استمرت طوال حياتى حتى ذهبت إلى الغابة، تسربت منى السنين. ذهب سيلفيوس إلى ألبا لونجا، غالباً ليقابل أخاه بمودة، ويشاركه واجبات الحكم، على الرغم من أن أسكانيوس الآن أخذ المكان الثانى، فيما وراء الملك الأصغر. أتى مرات قليلة إلى لافينيوم من أجل الاحتفالات أو

المجالس، عيناه حزينتان، متثاقلاً، الرجل الذى انحدر إلى التورط فى توافه الأمور. عاشت زوجته فى "أرديا" فى بيت أخيها فى كامير. أما سيلفيوس الذى كان يعبر تايير كثيراً، يجنى ثمار التفاهم مع إتروريا، فقد تزوج رامثا ماتونا، سيدة من كيرى، امرأة جميلة ونبيلة. وأقام حفل زفاف عظيم فى "لافينيوم".

بدأ الأطفال يفدون، بنت، ولد، ولد، بنت، ثم كنت الملكة الجدة فى الفناء الصاخب، حيث توجد شجرة الغار التى زرعتها حينما أتيت هنا مع آينيس، حيث علت فوق الأسوار.

حينما حكم أسكانيوس ثلاثين سنة فى ألبا لونجا، تخلى عن تاجه. حكم سيلفيوس الذى يُنادى من شعبه بـ آينيس سيلفيوس، لاتيوم بمفرده.

انتقل بعد ذلك إلى ألبا، لأنها كانت فى الحقيقة المركز الأفضل للحكم عن لافينيوم. رجانى أن آتى معه، ورامثا والأطفال، لكننى ما كنت لأترك مدينتى ثانية، أو ليس فى هذا الاتجاه. لم يحاول أن ينقل الآلهة، لارس وبيناتس، لأنهما مثلى قد أظهرتا إرادتهما فى البقاء حيث وضعهما آينيس.

وهكذا فقد عشت كملكة قديمة فى الريجيا القديمة داخل العتبة التى حملنى زوجى عبرها فى يوم زفافنا. ماتت سيكانا أخيراً، وتيتا، لكن مارونا كانت معى دائماً. ومن حين إلى آخر، كنا نمشى، أو نركب فى عربة يجرها حمار إلى "لورنتيوم" النائمة

فى صبانا، ونقضى ما بعد الظهيرة هناك إلى جانب الينبوع تحت شجرة الغار. وذهبنا فى مرة إلى مصب النهر الأب، وملأنا العربة بالملح الرمادى المتسخ المقدس. وكنا نمشى ـ فى الغالب ـ من "لافينيوم" من أسفل إلى نوميكوس، وراقبنا الماء يجرى ويأتى البيت، يبقى للحظة عند الحجر العظيم للمقبرة حيث يرقد آينيس فى سكون بالقرب من ابنته، التى يمكن أن تكون ظلاً فى الظلال. وأحيانا، كنا نمشى إلى "ألبونيا"، وتنام مارونا فى كهف الحطاب، بينما أذهب بمفردى إلى الغابة، أحمل النار إلى المذبح، وقرابين من الفاكهة أو الحبوب والنبيذ، وصوف نعجة سوداء، حيث أرقد عليها فى المكان المقدس لأنام. لم أسمع أى أصوات فى الظلام فيما بين الأشجار.

سقطت مارونا مريضة، فشل فى القلب، صارت ضعيفة، ولم تستطع أن تنهض لتكنس الموقد. وفى أحد الصباحات، سمعت النساء ينتحبن.

حضر سيلفيوس من أجل طقس اليوم التاسع لـ مارونا. لم يندهش أحد من أن الملك يحرص على القدوم إلى جنازة جارية. وطلب منى مرة أخرى أن آتى إلى ألبا معه، لكننى هززت رأسى. أخبرته: "سوف أعيش هنا مع آينيس. كانت هناك دموع فى عينيه، لكنه لم يضغط علىَّ. لقد كان، كما كنت أعتقد أنه سيكون، رجلاً رائعاً فى الخمسين، منتصب القامة، قوى البنيان، أسود العينين، بشعر رمادى.

فكرت: "أنت أكبر مما كان هو"، لكننى لم أخبره

بما فكرت.

كان عليه أن يكون بالخارج؛ فقد كانت هناك متاعب من جانب الفولسكانيين أو السابينيين أو الإيكوانيين. فهناك دائماً حرب على الحدود، وغالباً فى المعاقل. لذلك، فمادام هناك مملكة، سيكون هناك تورنوس آخريدعو إلى أن يُقتل.

ولبعض الوقت بعد موت "مارونا"، لم أذهب إلى ألبونيا. لم أستطع احتمال الذهاب مع أى أحد غيرها، وأصابنى نوع ما من العرج، فكنت أخشى من السير عبر الحقول، والذهاب إلى الغابات بمفردى. وأخيراً قلقاً من جبنى، كنت أرسل فى طلب أورسينا بنت أخت مارونا التى قد أعطيتها مزرعة فى براتى. تذهب معى إلى منزل الحطاب، ثم تعود إلى مزرعتها لترى حيواناتها، وتعود إلى فى الصباح. كانت مازالت لبؤة، فالسير لأربع أو خمس ساعات، لا يعنى شيئاً بالنسبة إليها. كذلك أستطيع أن أذهب إلى الغابة حينما أحتاج إلى هذا.

وحينما ذهبت هناك مرة فى الشتاء، ونمت على الأصواف فى البرد، على الرغم من أنها لم تمطر على الإطلاق، استيقظت متيبسة بشدة عند الفجر، ووجدت نفسى محمومة. مكثت فى منزل الحطاب فى هذا اليوم، لكن الأطباء فى "لافينيوم" أصروا على إرجاعى إلى المدينة، حيث يمكنهم أن يعذبوننى بسهولة أكثر. وربما هذا قد حدث أكثر من مرة. وحينما أتكلم الآن أشعر بصوتى يفشل، مثلما فشل

قلب مارونا، وغدا ضعيفاً، حتى إنه عند قاعدة حنجرتها يصعب أن تستشعر نبضها. وحتى فى حنجرتى لا أشعر بذبذبة صوتى.

لكننى لن أموت. لا أستطيع. لن أذهب أبداً إلى ما بين الظلال تحت ألبونيا لأرى آينيس طويلاً فيما بين المحاربين، يلمع فى البرونز. لن أتحدث إلى كروسا الطروادية، كما اعتقدت أننى ربما أفعل، أو إلى ديدو القرطاجية، فخورة وصامتة، مازالت تحمل جرح السيف العظيم فى صدرها. لقد عاشتا وماتتا كما تفعل النساء، وكما تغنى بهما الشاعر. لكنه لم يتغنى لى بحياة كافية لأموت. هو فقط أعطانى الخلود.

أنا لا أحتاج أن أنادى على أورسينا لتأتى معى بعد ذلك. ليس إلى وقت طويل. لابد للمرء أن يتغير، أن يكون خالداً. أستطيع أن أذهب من لافينيوم إلى "ألبونيا" على جناحىَّ. أنا سأعيش هنا الكثير والكثير، أصطاد فيما بين الأشجار عند الشفق، فى ضوء النجوم. تحتاج عيناى إلى القليل من الضوء لترَيا فريستهما؛ بالنسبة إلىّ يوجد ضياء فى الليل، إشعاع ناعم. حينما تبدأ الشمس فى الارتفاع، وتغمر كل السماء، أرى المكان المظلم فى تجويف البلوط. هذا هو منزلى العلوى الآن. لا يهم أن الريجيا فى لافينيوم هى الآن مجرد قوالب طوب طينية على الأرض. فى فراشى المظلم، أنام كل الأيام بالقرب من بحيرات الماء المتعفن الضبابى الذى كان مقدساً ذات مرة. أستيقظ مثلما تذهب الشمس إلى أسفل وتنصت. إن سمعى

جيد. أستطيع أن أسمع مولد الفأر فيما بين أوراق السنديان المتساقطة. ومن خلال خرير المياه فى الكهف، أستطيع أن أسمع أزيز المدينة الكبيرة وشائعاتها التى تغطى كل "التلال السبع"، وضفتى النهر الأب، وخطوط الأراضى القديمة لمسافة أميال وأميال. أستطيع أن أستمع إلى الصوت الذى لا ينقطع لمحركات الحرب على كل الطرق فى العالم. لكننى باقية هنا. أطير ما بين الأشجار على جناحين ناعمين لكى لا أحدث صوتاً. أحياناً أنادى، لكن ليس بصوت إنسانى. فندائى ناعم متهدج: "إيى، إيى"، أنا أنادى: "استمر، استمر".

فقط، أحياناً تستيقظ روحى كامرأة مرة أخرى، وحينئذ حينما أنصت، أستطيع أن أسمع الصمت، وفى الصمت أسمع صوته.

خاتمة

يقوم الإعداد والقصة وشخصيات هذه الرواية على الكتب الستة الأخيرة لـ "الإليادة"، الملحمة الشعرية لـ"فيرجيل".

ومنذ فترة طويلة، يعرف أى شخص فى أوروبا والأمريكتين ممن تلقوا تعليماً مكثفاً، قصة آينيس بشكل عام: إن رحلاته من طروادة، وعلاقة الحب التى جمعته بالملكة الإفريقية ديدو، وزيارته إلى العالم السفلى، اشتركت فيها كل المراجع المعروفة ومصادر القصة للشعراء والرسامين ومؤلفى الأوبرا. ومنذ العصور الوسطى، كانت اللغة اللاتينية التى يقال لها اللغة الميتة، تعيش بحيوية ونشاط وقدرة على التأثير من خلال آدابها. وخلال القرن الأخير، بدأ تدريس وتعلم اللاتينية يتراجع ويقتصر على الدارسين المتخصصين؛ لذلك فإنه مع الموت الحقيقى للغته، سوف يصمت أخيراً صوت فيرجيل. وهذا مؤسف للغاية، لأنه واحد من أعظم الشعراء فى العالم.

إن شعره موسيقى عميق، يتميز بجمال غريب جداً فى الصوت وترتيب الكلمات، التى يصعب ترجمتها بشكل أساسى. فحتى دريدن، حتى فيتزجيرالد لم يستطيعا أن يقبضا على السحر. لكن توق المترجم إلى التعريف بالنص لا يمكن كبته. وهذا ما حثنى على صنع بعض المشاهد، وبعض التلميحات، وبعض النذر من الملحمة، ووضعها فى رواية - ترجمتها إلى شكل مختلف - جزئى، هامشى، لكنه مخلص فى غايته. إن قصتى، أكثر من أى شىء آخر، هى فعل عرفان للشاعر، وقربان محبة له.

لقد كانت هناك محاولة أو اثنتان لـ"إنهاء" "الإنيادة"، مبررة بالمجادلات التى فكر فيرجيل نفسه إنها غير كاملة (حينما عرف أنه كان يحتضر، فطلب أن تُدفن)، وانتهى هذا بصدمة مفاجئة فى مشهد يبدو أنه يضع التقوى الشهيرة لـ آينيس وحتى انتصاره البطولى موضع الشك. أعتقد أن القصيدة انتهت حيث أراد لها فيرجيل أن تنتهى. إن هذه القصة ليست محاولة لتغيير أو استكمال قصة آينيس. إنها تفسير متأمل، رأت الشخصية الصغرى فى قصته - الكشف عن التلميح.

ربما وقعت الحرب الطروادية فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد؛ فمن المحتمل أن "روما" تأسست فى القرن الثامن قبل الميلاد، على الرغم من أنه لا يوجد تاريخ سليم عنها لقرون بعد ذلك. إن القول بأن آينيس ابن أخت بريام الطروادى له أى شأن مطلقاً فى

تأسيس "روما" هو محض خرافة، اخترع فيرجيل قدراً كبيراً منها بنفسه.

لكن فيرجيل ـ كما يعلم دانتى ـ هو رجل جدير بالثقة ليتتبعه. لقد تتبعته إلى "عصره البرونزى" الأسطورى. ولم يجعلنى أبداً أضل الطريق.

إلا أننى كنت أحتار أحياناً. لقد كان يعرف جيداً "لاتيوم" (الإقليم الواقع جنوب غرب روما)، وأنا لم أكن أعرفه؛ لكن بعضاً من جغرافيته بدت منحرفة، أو غامضة عن تعمد. إن "لافينيوم" الآن هى براتيكا دى مار، هذا صحيح؛ لكن بدا أولاً أنه من قبيل تبديد الوقت محاولة تحديد موقع "لورنتيوم" بدقة، أو غابة "ألبونيا" التى لا يمكن أن تكون الينابيع الكبريتية بالقرب من "تايبر"، الآن تيفولى التى أطلق عليها هوراس والكتّاب الآخرون، "ألبونيا؛ وكان النهر "نيوميكوس" أو "نيوميكيوس" مراوغاً فى موقعه كما هو فى اسمه. ولكن كروائية لم أكن أستريح لعدم معرفتى بالمدى الذى يمكن أن تكون شخصياتى قد سارت إليه من لورينتيوم إلى مصب النهر "تايبر"، كم يستغرق قطع المسافة بعربة يجرها بغل من "لافينيوم" إلى "ألبا لونجا". توصل جورج هيرش، صديقى المتخصص فى الجغرافيا، بعد التنقيب فى المصادر القديمة على الإنترنت، إلى الخريطة الحديثة التى احتجت إليها للأماكن والمسافات: لازيو، جزء من "خارطة الطرق الكبيرة فى إيطاليا". هناك، فى النطاق الواسع، بالقرب من "كروس دى سولفيراتو"،

توجد "ألبونيا" فيرجيل، ربما هى قريبة من "لورنتيوم"؛ وها هى "ريو تورتو"، النهر الذى ربما كان هو نيوميكوس... لقد تأثرت بعمق حينما وجدت هذه الأماكن فى الأسطورة موجودة على خريطة الطرق السريعة التى يصدرها "النادى السياحى الإيطالى". فهذه الأماكن حقيقية فى الخريطة وفى الأسطورة.

وفيما بعد، وجدت متعة مساوية مع اكتشاف "لاتيوم" فيرجيل عن طريق "بيرتا تيللى" التى تجولت فى شتى أرجاء الإقليم فى الثلاثينيات من القرن العشرين، بعقلية شغوفة، وعين ثاقبة، وكاميرا "براونى". لقد منحتنى تيللى سروراً لا حد له عن طريق إعادة ترتيب بعض مخطوطات خريطتى، وتأكيد معظمها. لقد صورت أكواخ الرعاة المبنية بالشكل الذى كانت عليه على مدى سبعة وعشرين قرناً. وبينت لى كيف تغير الخط الساحلى عند مصب "تايبر"، والمكان الذى لابد وأن الطرواديين نزلوا فيه، مبحرين فى "التايبر" عند الفجر إلى الغابة المظلمة المليئة بأجنحة الطيور وتغريد البلابل.

كانت رغبتى هى أن أتتبع فيرجيل، وليس تحسينه أو توبيخه. لكن "لافينيا" نفسها، أصرت أحياناً على أن الشاعر كان مخطئاً ـ فيما يتعلق بلون شعرها، على سبيل المثال. ولكونى روائية ومطنبة فى السرد، فقد توسعت وفسرت وملأت الكثير من الأركان المتوفرة فى قصته الرائعة. لكننى قد استبعدت قدراً كبيراً منها أيضاً. وقللت إلى أقصى درجة ممكنة من ذكر الأماكن

والتيجان وذبائح الأضحيات، والعظمة "الأوغسطية"[١] التى منحها إلى عمله. إن الاستخدام "الهوميروسى" لشجار الآلهة لتحفيز وإنارة التدخل فى الاختيارات والعواطف الإنسانية، لا يصلح فى الرواية، لذلك فإن الآلهة الإغريقية الرومانية، العنصر الجوهرى فى القصيدة، لا تشكل جزءاً من قصتى.

وبعيداً عن الآلية الأدبية المستعارة من مجمع الآلهة، وأخذاً عن بعض العلماء المحترمين فى الأديان، وجدت شخصياتى تتبع الممارسات المحلية المقدسة لهذا الشعب الرومانى المتدين بعمق. إن هذه الطرق من العبادة أقدم بقرون من أيام فيرجيل، واستمرت فى الوجود فى الأماكن الريفية خلال كل فترة الجمهورية والإمبراطورية، حتى تضاعفت أعداد الآلهة المستوردة، وهى التى قضى عليها وقمعها فى النهاية التعصب المسيحى. إن "الوثنية"، بمعنى عبادة الآلهة، هو الاستخدام المسيحى؛ فالوثنيون فى الأصل كانوا ببساطة هم الناس الذين عاشوا فى المنطقة الريفية، المزرعة الرومانية: المناطق الزراعية. إن هؤلاء الناس الريفيين يتشبثون طويلاً بالقديم، ديانة أعماق الأرض. فالأغنية التى تُغنى فى الـ "أمبرفاليا"[٢] فى

(١) الأوغسطية Augustan: الشعر الذي ازدهر في عصر القيصر أوغسطس إمبراطور روما، ويتضمن أشعار فيرجيل وهوراس وأوفيد، وغيرهم مما كان يُعتبر شعرًا سياسيًا مباشراً، يتضمن الكثير من الهجاء. (المراجع).

(٢) أمبرفاليا Ambarvalia: شعيرة رومانية للخصوبة الزراعية، تُعقد في نهاية مايو على شرف «سيرس» إلهة الزراعة والنماء (المراجع).

قصتى، ربما هى الأقدم فى القصيدة اللاتينية المعروفة، إلا أنها كُتِبت فى أواخر سنة ٢١٨ ميلادياً، وكانت فى هذا الوقت قديمة ضاربة فى القدم، وربما على الأرجح غريبة على هؤلاء الذين غنوها، كما هى غريبة علينا.

Enos Lases iuvate

neve luae rue Marmar sins incurrere in pleores

sature furere Mars limen Sali sta berber

semunis alternei advocapit conctos

enos Marmor iuvato

triumpe triumpe triumpe triumpe triumpe

مَنْ الناس الذين كانوا فى السفوح والأراضى الواطئة فى "لاتيوم" فى القرن الثامن قبل الميلاد - اللاتينيون، أسلاف الرومانيين؟ معرفة أكبر مما اعتدنا أن نعرفه عنهم تأتى إلى الضوء، لكن مازلت سعيدة بأن قصتى تدور فيما يشبه المشاهد الميثولوجية غير التاريخية التى يعرفها الشاعر وليس عدم اليقين المريض لعلماء الآثار. وبالنسبة إلى المؤرخين، فإن هذه الفترة المبكرة معوقة بالكامل تقريباً لهم. لا يوجد تاريخ موثوق به عن اللاتينيين أو الرومان أنفسهم حتى وقت متأخر بصورة مدهشة حتى القرن الثانى الميلادى. إن المؤرخ الرومانى ليفى (الذى عاش تقريباً فى الفترة نفسها التى عاش فيها "فيرجيل") هو قراءة رائعة، لكن ما تعين أن يعمل عليه

بالكامل، كان تقريباً أسطورياً وخرافياً وتخمينياً وتقليدياً ومتناقضاً، وقوائم بالاحتفالات وأسماء القناصل وشظايا من الألغاز؛ ونحن لدينا أقل مما كان لديه، على الرغم من أن علم الآثار لدينا يمكن الاعتماد عليه بشكل أكبر.

فربما كانت "روما" نفسها مستعمرة لاتينية، فهى بالتأكيد قد تم الاستيلاء عليها لفترة من "الإتروسكانيين" وتأثر بهم الكثيرون. لكن لا أحد متأكد تماماً من كانوا هم "الإتروسكانيون"، على الرغم من أنهم قد تركوا كنوزاً من الفنون والمعمار أينما استقروا، ونستطيع أن نفك شفرة كمية معينة - ليست كلها - من لغتهم. لقد عاشوا فى الغالب فى الشمال من "تايبر" فى تجمع من اثنتى عشرة مدينة ـ دولة، من الممكن أن تعتبر فى مقدمة اللاتينيين ثقافياً واقتصادياً.

إن "اللاتينيين" والشعوب المجاورة لهم، مثل "السابينيين" و"الإكوانيين" و"الهيرنسيين" و"الفولسكانيين"، كل المتحدثين باللغات المتصلة بالهندية الأوروبية، يهاجرون إلى أسفل من الشمال قبل سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد.

كان لهم مكان. فقد كان قدر عظيم من إيطاليا فى الخلف حينئذ من الغابات. وإلى حيث يذهب الإنسان، تموت الأشجار؛ أو على حسب التعبير الذى أعاد صياغته "تاسيتوس" (مؤرخ الإمبراطورية

الرومانية فى عصرها الذهبى)، نحن نقيم الصحراء ونسمى ذلك تقدماً. لكن مع سنة ٨٠٠ قبل الميلاد، انتقل الناس المتحدثون باللاتينية إلى "لاتيوم"، قطعوا الأشجار طهروا منها المزارع وأراضى المراعى؛ وربما كانوا ـ كما فى قصتى ـ مزارعين مستقرين وقرويين (وثنيين)، وتجمعوا فى قبائل أو شعوب تحت إمرة قادة أو ملوك. وربما لم يكونوا بأية حال مريحين ومتحضرين إلى الدرجة التى صورتها بهم. ما هو مؤكد، أنهم كانوا مزارعين محاربين، قضوا ردحاً طويلاً من الزمن يحاربون بعضهم بعضاً. مضى اللاتينيون فى فعل ذلك بنجاح كبير على مدى قرون حتى حكموا كل أوروبا الغربية وقدراً كبيراً من إفريقيا وآسيا.

إننى مثل فيرجيل، أُسمى البلدات مدن "العصر البرونزى"، البلدات التى ربما رآها أهلها على أنها مدن، لكن بالنسبة إلينا ربما تشبه تجمع من الأكواخ المسورة أو المطوقة حول حصن. يخرج أهلها إلى الحقول ليرعوا الأغنام والماعز وقطعان الماشية، ويزرعون الشعير والقمح والخضراوات وأشجار الفاكهة والجوز. ربما لم يكن لديهم قطن أو كتان حتى ذلك الحين؛ فالنساء يمشطن الصوف ويغزلنه وينسجنه إلى أثواب وعباءات يرتدونها (لا تختلف كثيراً عن السارى). ومن المحتمل أنهم عرفوا فقط الكروم البرية والزيتون البرى غير الصالح للأكل، ولم يتحملوا شراء الخمور أو زيت الزيتون من

"الإتروسكانيين" الذين كانوا يعرفونه فى هذا الوقت. لكننى لا أستطيع أن أتخيل إيطاليين بدون خمر أو زيت الزيتون. فإذا كان هناك أى عذر، لا يمكن منحه إلى فيرجيل.

حاولت أن أعطى لمحة عن الريف بالشكل الذى كان عليه حينئذ: غابة وسيعة من السنديان والصنوبر، تقطعها أخاديد رفيعة للنهر، تجرى إلى مراعى ومستنقعات وأهوار كثيفة بالقرب من الساحل. كانت المستعمرات فى معظمها تقوم على تكوينات صخرية للبركان العظيم المعقد لـ جبل ألبا. إن البلدات ومراعيها وحقولها الزراعية كانت جزءاً صغيراً من هذه البرية. كانت كل منها تبعد عن الأخريات. وسوف يمضى وقت طويل قبل أن تقترب من بعضها البعض، لتصبح "روما". لقد عاش الناس حينئذ فى عالم برى، عالم وحيد.

لقد بالغ فيرجيل فى تعقيدات هذا العالم، بينما لعبت أنا على بدائيته: فكل منا، لأننا أردنا ـ على ما أظن ـ هؤلاء الناس أن يكونوا رومانيين ـ على الأقل ـ رومانيى الصنع.

فمنذ أن قرأت عنها لأول مرة، انجذبت إلى "روما"، ليس إلى الإمبراطورية المريضة الفخمة التى تظهر فى الملاحم التليفزيونية، لكن "روما" المبكرة: جمهورية رجال الأدب المظلمة الممتدة، ليست الساحة الرخامية، بل الخشب وقوالب الطوب، الأناس

المتقشفون مع إحساس عميق بالواجب والنظام والعدالة: المزارعون الذين يقضون نصف السنة فى الجيش، النساء اللواتى يديرن المزرعة فى الوقت نفسه، الأسر الممتدة التى كانت تعبد النار فى الموقد، الطعام فى مخازن الحبوب، الينبوع المحلى، أرواح المكان والأرض. لم تكن النساء يُعزلن مثل الممتلكات، وإذا كان فقط من أجل هذا السبب، بمقدورى أن أتخيل ما يكون عليه البيت فى منزل رومانى قديم، كما لا يمكن أن يكون فى منزل إغريقى قديم. كان لديهم عبيد كما كان لكل الشعوب، لكن العبيد فى المنزل، "العائلة"، يجلسون على المائدة بحرية. لقد كانوا فظين ومتوحشين، وكانوا مختلفين كلية عنا، لكن من الصعب أن نشعر بهم باعتبارهم ـ فى الأساس ـ أجانب، فى الوقت الذى يأتى الكثير من ميراثنا الثقافى منهم مباشرة، نصف لغتنا، ومعظم مفهومنا عن القانون... وربما قيم معينة محلية لكنها قيم دقيقة مثل الولاء والتواضع والمسئولية، التى تتضمنها فكرة "فيرجيل" عن البطل.



صدر من هذه السلسلة

١ ـ «ملكة الصمت».. للكاتبة الفرنسية «مارى نيميه» .. رواية .. جائزة ميديسيس.

٢ ـ «فتاة من شارتر».. للكاتب الفرنسى «بيير بيجى».. رواية.. جائزة إنتر.

٣ ـ «موال البيات والنوم».. للكاتب المصرى «خيرى شلبى» .. رواية .. جائزة الدولة التقديرية.

٤ ـ «أوائل زيارات الدهشة» للشاعر المصرى «محمد عفيفى مطر» .. سيرة ذاتية.. جائزة سلطان العويس.

٥ ـ «اللمس».. للكاتبة السعودية «ملحة عبدالله».. مسرح .. جائزة أبها.

٦ ـ «عاشوا فى حياتى».. للكاتب المصرى «أنيس منصور» .. سيرة ذاتية.. جائزة مبارك.

٧ ـ «قبلة الحياة».. للكاتب المصرى «فؤاد قنديل» .. رواية.. جائزة التفوق.

٨ ـ «ليلة الحنة».. للكاتبة المصرية «فتحية العسال» .. مسرح.. جائزة التفوق.

٩ ـ العاشقات.. للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك» .. رواية.. جائزة نوبل.

١٠ ـ نوّة الكرم.. للكاتبة المصرية.. «نجوى شعبان».. رواية.. جائزة الدولة التشجيعية.

١١- «الفسكونت المشطور».. للكاتب الإيطالى «إيتالوكالفينو» رواية.. (عدد خاص).. جائزة فياريچيو.

١٢- القلعة البيضاء.. للكاتب التركى «أورهان باموق» .. رواية.. جائزة نوبل.

١٣ - أين تذهب طيور المحيط.. للكاتب المصرى «إبراهيم عبدالمجيد».. أدب رحلات .. جائزة التفوق.

١٤ ـ قرية ظالمة.. للكاتب المصرى «محمد كامل حسين» .. رواية.. (عدد خاص).. جائزة الدولة للأدب.

١٥ ـ الرجل البطىء.. للكاتب الجنوب إفريقى «ج . م . كوتسى».. رواية .. جائزة نوبل.

١٦ ـ طحالب.. للكاتبة الجنوب إفريقية «مارى واطسون» .. متتالية قصصية .. جائزة كين .

١٧ ـ شوشا.. للكاتب البولندى «إسحق باشيفتس سنجر».. رواية .. جائزة نوبل.

١٨ - شارع ميجل.. للكاتب من ترينداد «ف. س. نايبول».. رواية.. جائزة نوبل.

١٩ ـ الحياة الجديدة.. للكاتب التركى «أورهان باموق» .. رواية.. جائزة نوبل.

٢٠ ـ عشر مسرحيات مختارة.. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر».. مسرح.. جائزة نوبل.

٢١ ـ الآخر مثلى.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو» .. رواية .. جائزة نوبل.

٢٢ ـ المستبعدون.. للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك».. رواية ـ جائزة نوبل.

٢٣ ـ الأنثى كنوع .. للكتابة الأمريكية «جويس كارول أوتس».. قصص.. جائزة بن مالامود.

٢٤ ـ ثلاثة أيام عند أمى.. للكاتب الفرنسى «فرانسوا فايرجان» .. رواية.. جائزة الجونكور.

٢٥ ـ إسطنبول.. الذكريات والمدينة.. للكاتب التركى «أورهان باموق».. جائزة نوبل.

٢٦ ـ الطوف الحجرى.. للكاتب البرتغالى «جوسيه سارامارجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٢٧ ـ نار وريبة.. للكاتبة الألمانية «بريچيتّه كروناور» مختارات.. جائزة چورج بوشنر الكبرى.

٢٨ ـ الذكريات الصغيرة.. للكاتب البرتغالى «جوسيه ساراماجو» .. سيرة ذاتية.. جائزة نوبل.

٢٩ ـ إليزابيث كُستّلّو.. للكاتب الجنوب إفريقى «ج. م. كوتسى» .. رواية.. جائزة نوبل.

٣٠ ـ السيدة ميلانى والسيدة مارتا والسيدة جيرترود.. للكاتبة الألمانية «بريجيته كروناور» .. قصص.. جائزة چورج بوشنر الكبرى.

٣١ ـ حين تقطعت الأوصال .. للكاتبة المكسيكية «أمبارو دابيلا».. قصص.. جائزة بياروتيا.

٣٢- مارتش.. للكاتبة الأمريكية «جيرالدين بروكس» رواية.. جائزة البوليتزر.

٣٣ - اغتنم الفرصة.. للكاتب الكندى «سول بيللو».. رواية.. جائزة نوبل.

٣٤ - البصيرة.. للكاتب البرتغالى «جوسيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٣٥ - بريك لين.. للكاتبة الإنجليزية البنغالية.. «مونيكا على».. رواية.. جائزة البوكر.

٣٦- بريد بغداد.. للكاتب التشيلى «خوسيه ميجيل باراس».. رواية.. الجائزة الوطنية للآداب.

٣٧ - عن الجمال.. للكاتبة البريطانية «زادى سميث».. رواية.. جائزة الأورانج.

٣٨ - العار.. للكاتب الجنوب إفريقى «ج. م. كوتسى».. رواية.. جائزة نوبل.

٣٩ - قبلات سينمائية.. للكاتب الفرنسى «إيريك فوتورينو».. رواية.. جائزة الفيمينا.

٤٠ ـ هكذا كانت الوحدة.. للكاتب الإسبانى «خوان خوسيه مياس».. رواية.. جائزة نادال.

٤١ ـ الشلالات.. للكاتبة الأمريكية «چويس كارول أوتس».. رواية.. جائزة الفيمينا.

٤٢ ـ العشب يغنى.. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٣ ـ العالم.. للكاتب الإسبانى «خوان خوسيه مياس».. رواية.. جائزة بلانيتا.

٤٤ ـ ميراث الخسارة.. للكاتبة الهندية «كيران ديساى».. ر واية.. جائزة البوكر.

٤٥ ـ الطفل الخامس.. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٦ ـ بن يجوب العالم.. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٧ ـ ثورة الأرض.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٨ ـ ملك أفغانستان لم يزوجنا.. للكاتبة الفرنسية «إنجريد توبوا».. رواية.. جائزة الرواية الأولى فى فرنسا.

٤٩ ـ الكهف.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٥٠ ـ يوميات عام سيئ.. للكاتب الجنوب إفريقى «ج.م كوتسى».. رواية.. جائزة نوبل.

٥١ ـ كازانوفا.. للكاتب الإنجليزى «أندرو ميللر».. رواية.

٥٢ ـ انقطاعات الموت.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٥٣ ـ العم الصغير.. للكاتب الألمانى «شيركو فتّاح».. رواية.. جائزة هيلده دومين لأدب فى المنفى.

٥٤ ـ اللعب مع النمر.. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. مسرح.. جائزة نوبل.

٥٥ ـ فى أرضٍ على الحدود.. للكاتب الألمانى «شيركو فتّاح».. رواية.. جائزة نظرات أدبية.

٥٦ ـ الإرهابية الطيبة.. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٥٧ ـ المسرحيات الكبرى جـ١ .. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر» .. مسرح.. جائزة نوبل.

٥٨ ـ المسرحيات الكبرى جـ ٢ .. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر».. مسرح.. جائزة نوبل.

٥٩ ـ نصف شمس صفراء.. للكاتبة النيجيرية «تشيماماندا نجوزى آديتشى» .. رواية.. جائزة الأورانج.

٦٠ ـ مذكرات چين سومرز «مذكرات جارة طيبة».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٦١ ـ مذكرات چين سومرز «إن العجوز استطاعت».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٦٢ ـ الحوت.. للكاتب الفرنسى «جان مارى جوستاف لوكليزيو».. رواية..جائزة نوبل.

٦٣ ـ رقة الذئاب.. للكاتبة الأسكتلندية «ستيف بينى».. رواية.. جائزة كوستا .

٦٤ ـ رحلة العم مآ.. للكاتب الجابونى «چان ديڤاسا نياما».. رواية.. جائزة الأدب الكبرى لإفريقيا السوداء.

٦٥ ـ مسيرة الفيل.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو» رواية.. جائزة نوبل.

٦٦ ـ كرسى النسر.. للكاتب المكسيكى «كارلوس فوينتيس».. رواية.. جائزة سرفانتيس.

٦٧ ـ داى.. للكاتبة الإسكتلندية «أ. ل. كيندى».. رواية.. جائزة كوستا.

٦٨ ـ الحب المدمر.. للكاتب الأمريكى الكندى «دي واى بيشارد».. رواية.. جائزة الكومنولث.

٦٩ ـ أين نذهب يابابا؟.. للكاتب الفرنسى «جون لوى فورنييه».. رواية.. جائزة الفيمينا.

٧٠ ـ نداء دينيتى.. للكاتب الجابونى «جان ديڤاسا نياما».. رواية.. جائزة الأدب الكبرى لإفريقيا السوداء.

٧١ ـ صخب الميراث.. للكاتب الجابونى «جان ديڤاسا نياما» رواية.. جائزة الأدب الكبرى لأفريقيا السوداء.

٧٢ ـ المؤتمر الأخير.. للكاتب الفرنسى «مارك بروسون».. رواية.. جائزة الأكاديمية الفرنسية الكبرى للرواية.

٧٣ ـ كتاب الرسم والخط.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٧٤ ـ كلُّ رجل.. للكاتب الأمريكى «فيليب روث».. رواية.. جائزة فوكنر.

٧٥ ـ نُريد أن نتحدث عن كيڤين.. للكاتبة الأمريكية «ليونيل شرايفر».. رواية.. جائزة الأورانج.

٧٦ ـ ألم فذ.. للكاتب الإنجليزى «أندرو ميللر».. رواية.. جائزة جيمس تيت بلاك.

٧٧ ـ أناقة القنفذ.. للكاتبة الفرنسية «موريبل باربرى».. رواية.. جائزة المكتبات للرواية.

٧٨ ـ حزن مدرسى.. للكاتب الفرنسى «دانيل بناك» رواية.. جائزة روندو.

٧٩ ـ غدًا.. للكاتب الألمانى «فالتر، كاباخر».. رواية.. جائزة چورچ بوشنر الكبرى.

٨٠ ـ الكلمة المكسورة.. للكاتب الإنجليزى «آدم فولدز».. رواية/ قصيدة.. جائزة كوستا.

٨١ ـ أن نُصبح أغرابًا.. للكاتبة الإنجليزية «لويز دين».. رواية.. جائزة بيتى تراسك.

٨٢ ـ المرأة المسكونة.. للكاتبة النيكاراجوية «جيوكوندا بيلي».. رواية.. جائزة كاسا دى لاس أمير كاس.

٨٣ ـ بيتر كامينتسند.. للكاتب الألمانى «هِرْمَن هيسَّه».. رواية.. (عدد خاص).. جائزة نوبل.

٨٤ ـ بيت السيد بيسواس.. للكاتب من ترينداد «ف. س . نايبول».. رواية.. جائزة نوبل.

٨٥ ـ مدريد الأصيلة.. للكاتب الإسبانى «كارلوس أرنيتشيس».. مسرح.. وسام الاستحقاق.

يصدر قريبًا من هذه السلسلة

١ ـ أشجار متحجرة.. أمبارو دابيلا.. جائزة بياروتيا ١٩٧٧.

٢ ـ سنوات الهروب.. بلينيو أبوليو ميندوثا.. جائزة بلازا إى خانيس ١٩٧٩.

٣ ـ الباحث عن الذهب.. فتحى العشرى.. ج.م جوستاف لوكليزيو... جائزة نوبل ٢٠٠٨.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

www. egyptianbook org.eg
E - mail : info@egyptian.org.eg

الرواية

تعتمد "أورسولاكى لى جوين" فى رواية "لافينيا" على "الإنيادة" التى يخصص فيها "فيرجيل" أبرز أبياته لزوجة "إينياس" الثانية "لافينيا" ويركز عليها كنبوءة.. ففى اليوم السابق لنزول "إينياس" إلى "لاتينيوم" تمسك نيران غامضة بشعر "لافينيا" ابنة الملك "لاتينوس" والملكة "أماتا" اللذين كانا يحكمان "لاتينيوم" فى عصر ماقبل الرومان، وتفقد "أماتا" طفليها الولدين الصغيرين بعد مرضهما، وتُصابُ بالجنون وتصُر على زواج "لافينيا" من ابن أختها "تورنوس" ولى عهد "روتاليا" المملكة المجاورة، لكن "لافينيا" تتردد وتتبع كلمات النبوءة، ويعلن الملك "لاتينوس" أنها سوف تتزوج من "إنياس" الغريب القادم حديثًا من "طروادة" لتبدأ الحرب الأهلية، ويكون مقدراً البطل "فيرچيل" تأسيس أمبراطورية. إن رواية "لافينيا" وفقاً لقول المؤلفة، قصة تدور فيما يشبة الميثولوچيا غير التاريخية، بعيدًا عن عدم اليقين لعلماء الآثار فى فترة تاريخية غير واضحة تمامًا للمؤرخين من تاريخ ما قبل الإمبراطورية الرومانية.

الروائية: أورسولاكى لى جوين، كاتبة أمريكية.

الجائزة: جائزة ديمون نايت التذكارية الكبرى لعام ٢٠٠٣.



ISBN# 9789774217701
6 221149 020566

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٥ جنيهًا